تراث

ديوان
الباجي المسعودي

تقديم وتحقيق
عبد الفتاح الزيتوني

الدار التونسية للنشر

المكتبة الوطنية

المكتبة



صورة المحقق أيام الكفاح مع جماعة من المناضلين منهم الطيب سليم والشيخ عبد الوهاب الكرارطي

ⓒ جميع الحقوق محفوظة للدار التونسية للنشر 1983
نهج الواحة ـ المنزه الخامس ـ تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

المكتبة الوطنية

مقدمة

يتقدم هذا الديوان لسد ثغرة من الثغرات الهائلة التي يعاني منها الأدب وتاريخه في بلادنا أشد المعاناة . ذلك اننا لا نزال في حاجة ملحة لنشر تراث أدبي وتاريخي تزخر به مكتباتنا الخاصة والعامة ويحتاج إحياؤه الى إرادة وطموح والى زمن وجهود . وأهم ما يميز هذا الديوان انه يرسم بدقة شخصية صاحبه وحياته ثم هو يحدد خطوطاً عريضة تمكن من تصوير العصر بأحداثه السياسية والاجتماعية . وبتشابك هذين الرسمين : رسم شخصية الشاعر ورسم خطوط عصره تبرز للقارىء الأبعاد الأدبية والفكرية والثقافية لعصر المسعودي، وتربط بينها وبين العصر الذي سبقها ، كما أنها تكشف الأبعاد التي برزت بعده ، وبذلك يضيء الديوان مرحلة من أهم مراحل الأدب العربي في تونس والتي ينقصها كثير من الدرس والعناية .

الجانب الأول من هذا الديوان إذن يرسم شخصية الشاعر . يتجلى المسعودي من خلال ديوانه أديباً بارعاً وشاعرا حاذقاً وطائر الصيت . له اتصال وثيق بكبار علماء العصر وقادته ، تشهد بذلك مدائحه الكثيرة ومراثيه وإخوانياته التي شملت أفرادا من البيت المالك والوزراء والشيوخ والعلماء وسامي الموظفين .

ثم فوق هذا تمتاز شخصية المسعـودي بميزتين هامتين وأساسيتين :

أولهمـا : حبه لمجالس اللهو والطرب والتي يبدو أنها انتشرت انتشارا ليس بالبسيط خاصة عند كبار موظفي الدولة آنذاك . وقد أجاد المسعـودي وصف هذه المجالس كما أجاد بكاءها والتحسر عليهـا .

ثانيهمـا : تعلقه الشديد ببعض التقاليد الدينية التي انتشرت في عصور الانحطاط ، ونقصد بها الاعتقاد في الأولياء والتقرب إليهم والتوجه بهم إلى الله لتفريج الكرب .

وكأن المسعـودي أسرف على نفسه في مجالس لهوه وكأن الزمن لم يكن مطاوعاً دوماً لرغباته فكان لذلك — وهو من بيئة إسلامية محافظة — شديد التعلق بالأولياء كسيدي عبد العزيز المهدوي وسيدي أبي سعيد الذي يقول فيه : .

عون الغريق وغنية المحتاج ... خلف بن يحيى التميمي الباجي
هيض الجناح وبلغ السيل الزبى ... إن لم تعالج زائفي برواج

وكان يفر كلما ضاقت به الدنيا الى الدعاء والتوسل بالرسول — عليه الصلاة والسلام — وبالصحابة رضوان الله عليهم :

إذا ضاقت وسيعات المسالك ... وأضنتك المصائب والمهالك
تذكر أن بعد العسر يسرا ... لعل الله يحدث بعد ذلك
ياأهل بدر بالرسول توجهوا ... لله في حالي وحل عقالي
وصلاة ربي والسلام على النبي ... خير الورى مع صحبه والآل

تبقى ملاحظة حول شخصية المسعودي وتتعلق بالميزتين الأساسيتين اللتين ذكرناهما آنفاً ؛ فلقد واكب حبه للطرب وتعلقه بالأولياء إرهاف في الإحساس ورقة في المشاعر تبدوان من الديوان وكأنهما مفتاح شخصيته وسر حياته .

فإذا كان حبه لمجالس اللهو يوضح ترف حياته فإنه يوضح في الوقت

نفسه من جهة تكوينه النفسي رقة وإرهافاً لا ينبئان عن قوة جأش وشدة عزيمة.

وإذا أضفنا الى هذا الجانب الثاني من شخصيته وهو الاعتقاد في الأولياء ازدادت مناحي نفسيته وضوحاً وازدادت رقة حاشيته تأكدا ذلك ان التقرب إلى الأولياء من المواقف الدينية السلبية التي تلجأ إليها النفوس الأقل تجلدا ، فتقبل على الصالحين راجية عندها شفاعة لدى الله تعالى عوض أن تثبت وتستقيم ، وهي لا تستطيع مغالبة الهوى والشهوات ولكنها تخشى غضب الله وعذابه فتفر الى «وسيط» يعصمها من العذاب ولا يكلفها كبير عناء .

ونحن نستطيع أن نلمس رقة الشاعر ورهافة حسه في مناسبات عدة . وأوضح مثال على ذلك قصيدته في خميس المغني «أشاقك بارق» أو في رثاء بعض إخوانه وأحبائه كذلك في قصائده التي تبرز فيها نفحات وطنية لا تخلو من صدق . :

هو السعد قد وافى الى تونس الخضرا ... وحل ذراها بالمسرة والبشرى
فهزت له أعطافها وتزينت ... وعم الهنا في قطرها عندما أثرى
جهلنا المهني والمهنى وإنما ... نرى الكل منهم باسم الثغر مفترا
كأنهم نشوى وصال مماطل ... سقاهم عقيب الصد مشمولة بكرا

هذا جانب من شخصية المسعودي كما يرسمها الديوان . ثم هناك جانبه الفني المحض . والديوان — من هذه الناحية — بأسلوبه وصوره وفنه الشعري يربط بين الحياة الأدبية آنذاك وبين العصر الذي سبق المسعودي . فنشعر بجلاء ووضوح أن الحياة الأدبية كانت تمتاز بالركود والجمود ، وتعتمد المحسنات اللفظية والبديعية السهلة ، يبدو هذا نقيا في الديوان من محاولة المسعودي في التخلص من قيود المحاكاة والتقليد ومن عدم تمكنه من ذلك ، فكثيرا ما يتراءى لنا المتنبي بنفسه وصوره ، وكثيرا ما يذكرنا المسعودي الشعر العباسي ببديعه وطباقه وجناسه ، بل إننا نشعر في بعض القصائد بأن النابغة الذبياني يقود خطى شاعر تونس . هذا فضلا عن وضوح أثر الموشحات الأندلسية في عدد وافر من المنظومات .

هذا عن شخصية المسعـــودي، أما عن عصره فالديوان يحدد خطوطه العريضة هو عصر بدأ فيه اشتباك بين البلاد التونسية بما بقي لهـــا من تقاليـــد إسلاميـــة وبين الحضارة الأروبية بما لها من تقدم مغـــر وجذاب .

ولقد ساعد تفشي بعض الأمراض الاجتماعية التي نتجت عن انهيـــار الوازع الديني كسيطرة الأهواء على النفوس والميل الشديد الى المتع واللذات، ساعد هذا العالم الأوروبي كي يظهر في البلاد التونسية قوة لا تغالب وقدرا لا يرد.

ولقد كانت بعض قصائد المسعودي تشير الى ملامح هذ الاشتباك نخص بالذكر منها قصائد مدحه لمحمد الصادق باي وإشادته بما بذله من أعمال قصد بها الأخذ بمظاهر التقدم الأوروبـــي .

والديوان يصور مسألة ثانية تتعلق بالعصر وتؤكد ما كنا بصدده . فلقد كانت الثقافة آنذاك لا تزال ثقافة عربية إسلامية وآثارها بارزة في عديـــد من قصائد الشاعر غير أننا نشعر أن متبنيي هذه الثقافة — والمسعودي واحد منهم — بدؤوا يشعرون ببعض الشك فيما عندهم من ثقافة وآداب فيرون أنها غيـــر كافية، وبأن معاهد جديدة في منطلقها وبرامجها ضرورة لاستكمال هذا النقص وللحاق الشباب التونسي بالركب المتقدم :

الصادقية حسنهـــا بهـــر الـــــورى	فأجل لحاظك معجباً ومفكـــرا
هل غيـــرة وحميـــــة لبـــلادكم	فالجـــار أصبح عالماً متحضـــرا
ذا همة عليا فلســـنا دونــــــه	بل جـــد في التحصيـــل حتى أبصرا

" " "

وجيراننا فازوا بكـــل فضيلـــــة	وللفخر في الخيرات يسعى المجاور
ألسنـــا ســـواء غيـــر أنا لغفلـــة	تقدمنا مستيقظ الجفـــن ساهـــر
أجيبوا الى داعي الفـــلاح فقد دعا	لتهذيبكم شهـــم همام وظافـــر

هذا هو العصر، عصر دخول أوروبا إلى تونس بتقدمه وقوته وهو عصر تدهور الحالة الاجتماعية والأخلاقية، مما أدى بالمثقفين والأدباء إلى رغبـــة

في التغيير والتطور، رغبة يشير لها الديوان إشارات خفيفة ويشعر بها القارىء المتمهـــــل .

هذا هو ديوان المسعودي، هو رسم شخصية وهو تحديد ملامح عصـــر. وهو بالإضافة إلى هذا وذاك باشتباك ذلك الرسم وتلك الملامح يولد الأبعـــاد الفكرية التي ساهم فيها المسعـــودي مساهمة ذات بال . فندرك ونحن نتصفح الديوان بوادر حركة أدبية جديدة تنبع من تطور أعم وأشمل للحياة في تونس لا يقدر الأدب أن ينفصل عنه، هو وداع عقلية تقليدية وطلائع فكر وثقافة لها مميزات مختلفة ومتناقضة مع ما كان يطبع التراث في تونس . ويبـــدو المسعـــودي لذلك من آخر التقليديين الجدد ومن أول من بشر بقيـــام حركة أدبية وثقافية فرض عليها الابتعاد أكثر فأكثر عن منابع الأدب التقليدي وجارية وراء قيم ثقافية وأدبيـــة جـــديـــدة .

هذا هو ديوان المسعـــودي : أدب رائق، وشعـــر عذب، وأحداث مثيرة، وشخصيات متنوعة، وهو فوق كل هذا قطعة حية من تاريخ هذه الأمة ومن أدبهـــا .

ترجمـــة البـاجي المسعــودي (1)

هو المؤرخ الشاعر محمد الباجي المسعودي . ولد بمدينة تونس سنة 1226 هـ — 1811 م . نشأ بين يدي والده (2) . وتلقى العلوم على جهابذة العلماء منهم الشيخ محمد بن ملـوكة والشيخ محمد بن الخوجة والشيخ ابراهيـم الرياحي . وأخذ علم القراءات عن الشيخ محمد المشاط ، وبرع في الأدب . وتقدم لخطة الكتابة على عهد حسين باشا باي ، وسافر في كثير من الأمحال. ولازم خطة الكتابة إلى أن ارتقى إلى رئاسة القسم الثاني (3) من الوزارة الكبرى مع ما له من حسن المحاضرة واليد الطولى في الآداب . ونظم الشعر والتوشيح ، وقد أبدع في غزلياته ومدائحه ما شاء ، حتى كان شعره من أغزر الدواوين التونسية . وله حسن أخلاق ، ووفاء عهد ، ولطف معاملة ،

---

1) هذه الترجمة مأخوذة من تأليفه « الخلاصة النقية في أمراء افريقية » .

2) والد الباجي المسعودي هو عبد الله بن محمد المسعودي البوبكري التبرسقي .
قدم العاصمة بعد أن حفظ القرآن الكريم فتعلم في جامع الزيتونة على الشيخ صالح الكواش وغيره ، فظهرت نجابته وتم نجاحه ، فاستعمله الباي حمودة باشا في قلم الحسبان واستكفى به في أسفاره وفي محلة قسنطينة لكتابة أسراره . وإذ كان أبرع كتابه وأقربهم الى صناعة الانشاء استقل برئاسة قلم الحسبان عند انفصال الحاج ابن أبي الضياف .
وكان أبو المسعودي أديبا ، عارفا بالتاريخ ، راوية للشعر ، حسن المحاضرة ، فصيح اللسان ، كريم النفس ، طيب الاخلاق ، شديد التواضع مخيّرا ، محبا للعمل والعلماء .

3) القسم الثاني بالوزارة الكبرى هو قسم الأحكام المدنية.

وكمال أناة، وخبرة تامّة بحوادث العصور، ومعرفة بتاريخ البلاد مع التفنن في العلوم. وقد ألّف «الخلاصة النقية في أمراء إفريقية» وطبعت بمطبعة الدولة التونسية، فخلد بها فخرا للبلاد وجمع شمل ملوكها.

وقد أشار المرحوم أحمد ابن أبي الضياف في ديباجة تاريخه إلى «الخلاصة النقية» قال: وهذه المملكة التونسية، وفّر الله أعدادها وكثر أمدادها، اعتنى بأخبارها وأخبار ملوكها جمع من الفضلاء كولي الدين ابن خلدون الخ ... وجاء صاحبنا الكاتب البارع أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي وجمع في هذا الشأن خبرا أنيسا وعقدا نفيسا سماه «الخلاصة النقية في أمراء إفريقية». وانتهى عند فخر البيت الظاهر الصيت المشير الباشا أبي العباس أحمد باي، ذكر فيه كل واحد ومنثور آثاره، وما تيسر من أخباره، على أسلوب معجب وجيز، مصوغ من البلاغة صوغ الإبريز.

أخلاق الباجي المسعودي:

كان رحمه الله فاضلا ثقة وفيا، حسن الأخلاق كريم النفس لطيف المعاملة والمحاضرة والممالحة. يميل إلى مجالس الزهو والطرب. يدل شعره على تدينه الشديد وتعلقه بالرسول عليه الصلاة والسلام واعتقاده في كرامات الأولياء.

عصره:

عاش شاعرنا في القرن التاسع عشر وشاهد عهد البايات: حسين باي الثاني، مصطفى باي، أحمد باشا باي، محمد باي الثاني، محمد الصادق باي. وفي هذا العصر، ولا سيما مدة محمد باي الثاني، ازدهرت الحركة العلمية واشتهر فيها علماء أفذاذ وأدباء لامعون ذاع صيتهم في المغرب العربي، نذكر من بينهم العلامة محمد الطاهر ابن عاشور المتوفي سنة 1284 هـ – 1868 م، وهو جد اللوذعي أستاذنا الجليل محمد الطاهر ابن عاشور أطال الله بقاءه، والعلامة شيخ الاسلام محمد بيرم الرابع، والعلامة

الشيخ أحمد ابن الخوجة، والشاعر البليغ محمود قابادو، والمؤرخ النحرير أحمد ابن أبي الضياف. فلا غرو إذن أن يلمع نجم الباجي المسعودي في عالم الأدب نظماً ونثرا، وأن يعجب بشعره أدباء عصره، وأن يقدروا قريحته الوقادة لا سيما وقد عرف بحسن الأخلاق وكرم الأرومة.

وفاة الباجي المسعودي:

توفي بالعاصمة يوم الخميس 12 شوال سنة 1297 هـ 17 سبتمبر سنة 1880م، ودفن بزاوية شيخه سيدي إبراهيم الرياحي بالعاصمة. وقد رثاه الشيخ محمد المكي بن عزوز بالقصيدة الآتية وهي منقوشة على رخامة ضريحه بغرفة السماط بالزاوية المذكورة وإليك نصها:

دَهْرِي مَتَى أَلْقَاكَ غَيْرَ عَبُوسِ ... وَإِلاَمَ تَلْحَظُ بِالْمَآقِي الشُّوسِ

مَهْمَا ذَهِلْتَ وَسُرَّ فِيكَ أُولُو النُّهَى ... إِلاَّ عَقَبْتَ سُرُورَهُمْ بِالْبُؤْسِ

أَلْقِ الْعَصَا وَلْيَسْتَقِرْ بِكَ النَّوَى ... فَلَقَدْ رَجَعْتَ مِنَ الْوَغَى بِخَمِيسِ

إِذْ رُعْتَنَا وَالْمَوْتُ خَطْبٌ مُؤْلِمٌ ... بِسَمُومِ رَشْقٍ فِي الْقُلُوبِ بَئِيسِ

مَاتَ الْهُمَامُ مُحَمَّدُ الْبَاجِي الَّذِي ... تَحْلُو شَمَائِلُهُ لِكُلِّ جَلِيسِ

فَخْرُ الْكِتَابَةِ فِي الْوِزَارَةِ حَفَّهُ ... ظَرْفٌ يَرُوقُ بِلُطْفِهِ الْمَأْنُوسِ

أَمَّا الْقَرِيضُ وَنَثْرُهُ فَيَرَاعُهُ ... نَظَمَ اللَّآلِي فِي عُقُودِ طُرُوسِ

كَانَ الْمُمَتَّعَ مِنْ حَدِيثِ الْمُصْطَفَى ... يَتْلُوهُ فِي التَّهْجِيرِ وَالتَّقْدِيسِ

سَيَرى صَحيفَتَهُ وَقَدْ زُفَّتْ لَهُ
بِيَمينِهِ ضَاءَتْ كَضَوءِ شُمُوسِ
كَانَ الْمُقدّسُ نُطقُهُ عَنْ غَيْبَةٍ
يَا بَرْدَ مَضْجَعِهِ بِذي التَّقْدِيسِ
نَفْدِي سِيَادَتَهُ إنْ أمْكَنَنِي الْفِدا
بِالنَّفْس لَسْتُ أقُول بِابْنِ الْكِيسِ
لِمَ لا وَفِيهِ حُلَى الْخِلاَلِ تَجَمَّعَتْ
أعْظِمْ بِزَمَنٍ كَانَ يَومَ خَمِيسِ
لاَ تَعْجَبُوا وَالْفالُ مِنْهُ الْمُشْتَرَى
بِالسَّعْدِ فِيهِ لِرَاحِلٍ مَحْرُوسِ
أوْ مَا تَرَى عِنْوَانَ نِسْبَتِهِ غَدَا
بِسَعَادَةٍ نَعْتاً أعَزّ لَبُوسِ
يَا زَائِرًا لِضَرِيحِهِ امْدُدْ رَاحَةً لِتَزِيدَهُ فَالْفَضْلُ غَيْرُ مَقِيسِ
وَاطْلُبْ إلَهَكَ أنْ يُنَوِّرَ قَبْرَهُ بِرِضَاهُ وَالرِّضْوَانُ خَيْرُ أنِيسِ
وكَأنّنِي بِمَلاَئِكِ الرَّحْمَى سَعَوْا
لِثَرَاهُ تَكْرِيماً بِكُلِّ نَفِيسِ
وَيُبَشِّرُونَ بِمَا يَقُولُ مُؤَرِّخٌ: أُزْلِفْتَ نَمْ يَا بَاجِي نَوْمَ عَرُوسِ

– 1 –

قال يمدح العارف بالله تعالى الشيخ سيدي أبا سعيد الباجي رضي الله عنه في شعبان سنة 1279 هـ :

[الكامل]

عَوْنُ الْغَرِيقِ وغُنْيَةُ الْمُحْتَاجِ خَلَفُ بْنُ يحيَى التَّميميُّ البَاجِي
الرُّكْنُ المَلاَذُ أبُوسَعِيد مَنْ سَمَا فِي قَدْرِهِ عَنْ بَحْرِهِ (1) العَجَّاجِ
وهوَ الْغَمَامُ الْمُستَهِلُّ إذَا هَمَا لِلزَّائِرِين بِوَابِلٍ ثَجَّاجِ (2)
مِنْهُ اسْتَمَدَّ الجُلُّ فِي الْمحيَا وفي هَذَا الضَّرِيحِ لِمَنْ ألَمَّ يُفَاجِي
قَالَ الإمَامُ الشَّاذِلِي (3) لا زَمْتُهُ وَبِهِ انْتَفَعْتُ وَذَا كَمِثْلِ سِراجِ

1) هو أبو سعيد خلف بن يحي التميمي الباجي ، ولد بباجة سنة 551 هـ. وبها حفظ القرآن الكريم وتلقى العلوم وكانت تظهر عليه علائم التوفيق والهداية ، ثم انتقل الى مدينة تونس واشتهر امره بها ، فكان من اكابر أصحاب الامام محمد بن يوسف السنوسي . وكان له كلام كثير في التوحيد والمعاملات ومراتب المكاشفة وفي سنة 603 هـ. توجه الى الحج ومعه زوجه وجاور بمكة ثلاثة سنوات ، ثم رجع الى تونس سنة ست وستمائة 606 هـ.
وقد أقرأ كتب أبي الفرج بن الجوزي ورسالة القشيري وأخذ عنه الكثيرون من بينهم أبو الحسن الشاذلي . وكان أبو سعيد كثير الاجتهاد في العبادة طويل القنوت ، وكان إذا أضحى قرأ باثني عشر حزبا قراءة بطيئة وهو على حاله لا يتحرك . توفي سنة 628 هـ. ودفن بـ « جبل المنار» المطل على البحر فأنشئت حول ضريحه ضاحية جميلة سميت بـ «بسيدي أبي سعيد» .
2) مطر ثجاج : سيال وشديد الانصباب .
3) الامام الشاذلي هو سيدي «بلحسن الشاذلي» ضريحه كائن بالربوة المسماة «جبل سيدي بلحسن» جنوب مدينة تونس وحوله مقبرة الجلاز .

وَالْحَاتمي (4) وَالمهْدَوِي من صَحبه أسْدُ الْهِيَاج وأنْجُمُ الأبْرَاجِ
فَخرٌ عَلى هَام الْمَجَرَّةِ (5) قد عَلا
وَمَنَاقِبٌ كَالدُرِّ فَوقَ التَّاجِ
فَهَلُمَّ يَا مَنْ ضَاقَ مِثْلِيَ ذَرْعُه وَمنَ النَّوائبِ بَاتَ في إزْعَاجِ
ابْسُطْ أكُفَّكَ وامْلَ مِنْ بَرَكَاتِه
وَاكْتَلْ كَمَا قَالُوا بكَيْلِ بَاجي (6)
يَا مَنْ كَسَاهُ الله فَضْلاً قَصَّرَتْ عَنْهُ يَدُ السَّرَّاجِ وَالْحَلاَّج (7)
هَذَا سَمَيُّكَ وَابْنُ دَعْوَتِكَ (8) الَّتي
تَدْري فَعَاجِلْ مُعْضِلِي بعِلاَجِ
هيضَ الْجَنَاحُ وَبَلَغَ السَّيل الزُبَى إنْ لَمْ تُعَالِجْ زَائِفي بِرَوَاج
غَوْثَاهُ بِالْهَادي الشَّفِيعِ مُحَمَّد
حَاوي الْعُلَى في لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ جَلَّ مُسَلِّماً وَالآلِ وَالأصْحَابِ وَالأزْوَاجِ
وَعَلَيْكَ مَا دَام الدَّوامُ تَحِيَّةٌ تَغْشَى ثَرَاكَ بِوَابِلٍ ثَجَاج
وَتَعُمُّ خَادِمَكَ الْمُحبَّ بِقَوْله أرِّخ بِـ : قِفْ بِأبي سَعِيدِ الْبَاجي
[... ... ... 1279 ... ...]

4) «الحاتمي» هو محيي الدين بن عربي الشيخ صاحب الفتوحات فقد ذكر أنه جاور الشيخ أبا سعيد الباجي جهة المنار .

5) المجرة : هي منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة لا يميزها البصر فيراها كقبة بيضاء .

6) «بكيل باجي» المكيال الباجي ضعف الكيل التونسي ، فالصاع الباجي مثلا يعادل صاعين . ومعنى البيت : املأ وطابك بما شئت من بركات ، وضاعف الكيل .

7) «السرّاج» : هو السرّاج الطوسي ، من أعلام الصوفية ، صاحب كتاب «اللمع» . «الحلاج» : هو أبو المغيث الحسين شهر بالحلاج ، من أقطاب الصوفية ، يقول : إن هذين العلمين قصرا عن شأو ممدوحه .

8) «ابن دعوتك» : يشير الى أن والده قد كان توسل الى الله في ضريح الشيخ أن يهبه ولدا ، ولذلك سماه بمحمد الباجي .

— 2 —

وقال رحمه الله تعالى يمدح العارف بالله تعالى الشيخ أبا سعيد الباجي حين زاره بأهله وأولاده وإخوته وأنشدها أمام ضريحه أوائل محرم سنة 1270 :

[الطويل]

سَمِيّك (1) وَالْمَنْسُوبُ من قَبْلُ والذي
يُنَاديكَ مِنْ بُعْد أتى لَكَ يَا بَاجي
يُقَبِّلُ بِالإجْلاَلِ أعْتَابَ بَابِكُمْ
وَيَسْلُكُ في التَّبْجِيلِ أعْظَمَ مِنْهَاجِ
وَيَرْجُو منَ الرّب الْكَريمِ بجَاهِكُمْ
مُنَاهُ وَمَا يَرْجُوهُ في النَّفْسِ مِنْ حَاج
فَسَلْ هَيِّناً مِنْ رَبِّكُمْ لبُنَيِّكُمْ
بِجَاهِ الرَّسُولِ الْمُرْتَجَى صَاحِبِ التَّاجِ
عَلَيْهِ صَلاَةُ اللهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ
وَآل وَصَحْبٍ مَا سَجَا لَيْلُهُ الدَّاجي
وَزَادَكَ زُلْفَى (2) عِنْدَهُ وَكَرَامَةً
وَفَضْلاً وَبِرّاً يُوسِعُ الْقَاصِدَ الرَّاجي

1) «سميك» : من كان اسمه اسمك ، لان كلمة الباجي مشتركة بين سيدي أبي سعيد الباجي وبين الباجي المسعودي .

2) «الزلفى» والزلفة : القربة ، الدرجة ، المنزلة .

— 3 —

وقال رحمه الله تعالى مؤرخاً وفاة الشيخ سيدي عبد العزيز المهدوي (1) :

[الرمــــل]

ذَا مَقَامُ الْقُطْبِ ذِي الْقَدْرِ الْعَلِي
سَيِّدِي عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَهْدَوِي

جَامِعِ الْعِلْمَيْنِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي
بَكْرٍ الْحَاوِي الْجَلاَلَ الْقُرَشِي

فَضْلُهُ أَشْهَرُ مِنْ شَمْسِ الضحى
شَهِدَ الْبَاجِي بِهِ وَالْحَاتِمِي (2)

ضَامِنُ السَّعْدِ لِمَنْ قَدْ زَارَهُ
حَيْثُ قَالَ : لا يَزُرْ قَبْرِي شَقِي

يَا لَهَا وَاللهِ مِنْ مَنْقَبَةٍ
يَرْوِيهَا كُلُّ ذَكِيٍّ وغَبِي (3)

عَنْ عِيَانٍ لِشَرِيكٍ قَدْ هَوَى (4)
وَمُطِيعٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَصِي

---

1) كان الشيخ سيدي عبد العزيز المهدوي من معارف المولى أبي محمد الحفصي ، وحصلت له منه أموال كثيرة ودنيا عريضة وكان عالما ورعا . دفن في المرسى وإليه تنسب مقبرتها . توفي سنة 621 هـ. وكان الشيخ محيي الدين بن العربي ممن صاحبه وأقام مدة معه في رباطه بمرسى جراح ، وقد ذكر هذا كله في صدر كتابه «الفتوحات المكية» .

2) يعني بالباجي سيدي أبا سعيد الباجي ، وبالحاتمي الشيخ محيي الدين بن العربي . انظر ترجمتهما في هامش القصيدة (1) .

3) الصحيح ولا شك هو (يرويها) حذفت الياء للضرورة ، وللشاعر عادة مألوفة في التماس الضرورات الشعرية . وأمثلة ذلك كثيرة في شعره كما سيأتي .

4) الصدر غير متضح المعنى .

فَاغْتَنِمْ زَوْرَتَهُ وَاسْعَدْ بِهَا
وَاطْلُبِ الإِمْدَادَ مِنْ كَفٍّ سَخِي

وَسَلِ اللهَ لَهُ وَاسْأَلْ بِهِ
رَحْمَةً كُلَّ صَبَاحٍ وعَشِي

تَشْمَلُ الْكَوَّاشَ (5) مُبْدِي قَبْرِهِ
وَلِمَنْ جَاوَرَهُ مَيْتاً وَحَي

سِيَّمَا الْبَاجِي الذي أَشْهَدَهُ
أَنَّهُ آمَنَ اللهَ الْعَلِي (6)

وَصَلاَةٌ وَسَلاَمٌ شَمِلا ذَاتَه وَالآلَ مَعْ كُلِّ وَلِي
وَالّذِي أضْحى اسْمُهُ تَارِيخَهُ :
سَيِّدِي عَبْدِ الْعَزِيز الْمَهْدَوِي

[................ 621 ....]

— 4 —

وقال رحمه الله تعالى ملتجئا إلى الشيخ سيدي عبد العزيز المهدوي القريشي سنة 1281 ★ :

[البسيط]

إذَا سَجَا (1) لَيْلُ خَطْبٍ مُظْلِمٍ وغَشِي
فَلُذْ بِعَبْدِ الْعَزِيز الْمَهْدِوِي الْقُرَشِي

---

5) الكواش وفي نسخة أخرى الواشي : يعني المزين والناقش للقبر .

6) خلل واضح في وزن العجز واضطراب في المعنى ولعل تصويبه : أنه آمن بالله العلي .

★ التجأ الشاعر المسعودي في شهر حجة من سنة 1281 الى مقام العارف بالله سيدي عبد العزيز المهدوي المدفون بالمرسى . وهو أبو محمد عبد العزيز المهدوي يتصل نسبه الشريف بالخليفة الاول سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه . صالح مشهور علما وعملا . نزل بتونس ودفن بالمرسى وتوفي 621 هـ. يزار ضريحه ويتبرك به . وله صلة بالعارف بالله أبي علي النفطي المرابط بقصر الرباط بصفاقس والمنستير .

1) «سجا الليل» : سكن ، غشى ، اظلم .

وَالْجَأْ لِذَاكَ الْكَثِيبِ (2) الْفَرْدِ والْقَ بِهِ
عَصَا مَسِيرِكَ وَاسْعَدْ فِيهِ وَانْتَعِشِ

وَالثَمْ ثَرَى رَوْضِهِ الْمِعْطَارِ وَاهْدِ لَهُ
تَحِيَّةً كُلَّ إِبْكَارٍ وَكُلَّ عَشِي

وَقُلْ لَهُ بِأَبِي بَكْرٍ أَبِيكَ أَنِلْ
نَزِيلَكَ الأَمْنَ مِمَّا هَالَ مِنْ دَغَشٍ (3)

بِالْحَاتِمِيِّ الَّذِي وَافَاكَ مُقْتَبِساً
يَعْشُو (4) لِنُورِكَ فِيمَنْ أَمَّهُ وغشي

وَبِالظَّرِيفِ وبِالْبَاجِي وَصَالِحِ مَنْ
نَزِيلُهُمْ آمِنٌ مِنْ كَفِّ مُنْتَهِشٍ (5)

بِالشَّيْخِ جَرَّاح (6) عَجِّلْ بِالدَّوَاءِ لِمَا
أَلَمَّ بِالْقَلْبِ مِنْ جُرْحٍ وَمِنْ خَدَشٍ

بِحَقِّ جِيرَةِ هَذَا السَّفْحِ قَاطِبَةً
ابْلُلْ جَنَاحِيَ فَضْلاً بِالنَّدَى وَرِشِ (7)

حَتَّى أَطِيرَ سُرُورًا فِي الْحَيَاةِ وَفِي
يَوْمِ الْمَعَادِ إِذَا مَا النَّاسُ فِي دَهَشِ

2) الكثيب» : التل من الرمل . و «الق به» : الصحيح وألق به . وقس عليه «واهد له» في البيت الموالي ، تصويبه : أهد .

3) «الدغش» : الظلمة .

4) «الحاتمي» : هو محي الدين بن العربي الصوفي الشهير تقدم ذكره .
عشا الى النار يعشو : رآها ليلا فقصدها مستضيئا راجيا هدى أو قرى .

5) «الظريف» : هو سيدي الظريف الصوفي الاديب ، ضريحه بـ «جبل المنار» .
و «الباجي» هو سيدي أبي سعيد الباجي المتقدم الذكر ،
و «صالح» هو سيدي صالح وكان له ضريح يزار بالمرسى .
«منتهش» : من قولهم نهشه ، أي عضه ، ونهشه الدهر جهده وأوقعه في الحاجة .

6) «الجراح» : هو الذي تنسب اليه ضاحية المرسى فيقال : مرسى الجراح .

7) راش بريش من حاله : أصلحها .

وَكُنْ لِجَارِكَ مَعَ أَهْلِيهِ إِنَّ لَهُ
بِذَا عَلَيْكَ ذِمَاماً (8) بِالْخُضُوعِ وُشِي (9)

الطَّوْد (10) ظِلِّيٌّ وَأَضْحَى (11)شَاكِياً حُرَقِي
وَالْمَاءُ حَوْلِي وَيَا لَهْفِي وَيَا عَطَشِي

حَاشَا نَزِيلَكَ أَنْ يَمْضِي عَلَى مَضَضٍ
وَقَلْبُهُ بِسِهَامِ النَّائِبَاتِ حُشِي

وَفَضْلُكُمْ عَمَّتِ الأَقْطَارَ شُهْرَتُهُ
وَسَارَ مِنْ تُونِسٍ لِلْهِنْدِ وَالْحَبَشِ

نَعَمْ وَتَشْهَد بِالإِيمَانِ لِي وبِما
عَلَى ضَرِيحِكَ مِنْ خَطِّي وَمِنْ نَقَشِي (12)

وزَادَكَ اللهُ رَبِّي مِنْ رِضَاهُ إِلَى
لُقْيَاكَ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى عَلَى فُرُشِ

مُجَاوِرَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ عُدَّتِنَا
يَوْمَ الْمَعَادِ وَيَوْمَ الهَوْلِ وَالدُّرَشِ (13)

عَلَيْكَ أَزْكَى صَلاَةٍ تَجْلُ (14) عن بَصَرِي
وَخَاطِرِي غَيْهَبَ الأَوْهَامِ وَالْعَمَشِ

8) «الذمامة» : الكفالة .

9) «وشى الثوب» : حسنه بالالوان يعني أن له على سيدي عبد العزيز حق الكفالة الموشاة بخضوع المسعدوي .

10) «الطود» : الجبل العظيم .

11) «ضحى يضحى» : أصابته الشمس . يعني : أنا في حماك مستجير بك والمرض يمضني ويلهب فؤادي . وفي هذا البيت من البلاغة ما لا يخفى .

12) «ومن نقشي» : أراد أنه نقشت على ضريح سيدي عبد العزيز القصيدة بعد هذه التي أولها «ذا مقام القطب» التي نظمها المسعودي وضمنها كلمة الشهادة وتاريخ الوفاة .

13) «الدرش» : مفرده درشة وهي اللجاجة ، الخصومة .

14) كذا بالاصل ، والصحيح : تجلو . وحذف الشاعر الوار للضرورة .

— 5 —

قال رحمه الله تعالى ملتجئا إلى الأستاذ الشيخ سيدي صالح دفين المرسى رضي الله عنه :

[الطويل]

سَلاَمٌ كَنَشْرِ المِسْكِ غَادٍ وَرَائِحِ
عَلَى حَرَمِ المَوْلَى المُقَدَّسِ صَالِحِ (1)

شَهِيرُ المَزَايَا وَالكَرَامَاتِ وَالعُلا
وَمَنْ فَضْلُه كَالصبحِ أَبْلَجُ وَاضِحُ (2)

حَلَلْتُ لَهُ جَارًا بِهِ مُتَشَفِّعًا
مِنَ الأَلَمِ المَكْنُونِ (3) بَيْنَ الجَوَانِحِ

عَسَى اللهُ يَشْفِي رِيكَتَيَّ(4) بِجَاهِهِ
وَيَهْدِي إِلَى فِعْلِ الجَمِيلِ جَوَارِحِي

وَيُصْلِحُ في الدَّارين حالي وَمَنْ مَعِي
وَمَنْ كَانَ لِي مِنْ كُلِّ دَانٍ وَنَازِحِ

1) اشتهر سيدي صالح على ألبسة سكان المرسى ويوصف بـ «بوقبرين» ولا تعرف ترجمته وكانت بالمرسى زاوية تنسب اليه أزيلت الآن ولم يعثر على ضريحه .
2) بمقارنة عجز البيت السابق وعجز هذا البيت تتجلى عاهة الاقواء في القافيتين ، وهي إحدى العيوب المتفشية في شعر المسعودي على ما له من فضل .
3) «الالم المكنون» يبدو من شعره انه كان يشكو علة ربما كانت داء الصدر أو القلب لكن يؤكد الشيخ الفاضل ابن عاشور أنها ما يسمى بالداء الافرنجي .
4) وردت بالمخطوط (ريكي) وتصويبه : ريكتَي جاء في اللسان (ج 12 ص 314) : الريكتان من الفرس زنمتان خارجة أطرافهما عن طرف الكتد واصولهما مثبتة في أعلى الكتد كل واحدة منهما ريكة . والكتد : مجتمع الكتفين .

فلاحا أبا كل الفلاح لكلهم
وَصُنْ كُلَّهُمْ مِنْ كل سُوءٍ وَفَاضِحِ

وَأَمِّنْهُمُ مِنْ كُلِّ مَا يَحْذَرُونَهُ
وَإِنْ هُمُ ثَنَوْا لِلْغَيِّ مَقْوَدَ جَامِحِ

فَسَلْ لَهُمُ الغُفْرانَ وَادْعُ بِهَدْيِهِم
وَسَالِمْهُمُ باللهِ وَاحْلُمْ وَسَامِحِ

مَهَابَتُكُمْ ملءُ القُلُوبِ فَهَبْ لَهَا
رِضًى مِنْ رَحِيمٍ كَاظِمِ الغَيْظِ صَافِحِ

بجَاهِ رَسُولِ الرَّحْمَةِ المُرْتَجَى وَمَنْ
بِرَأْفَتِهِ نِلْنَا جَمِيعَ المَنَائِحِ

عَلَيْهِ صَلاَةٌ مَعْ سَلاَمٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ وَالمَوْلَى المُقَدَّسِ صَالِحِ

— 6 —

تَوَسَّلٌ بأَهْلِ بَدْرٍ (1) رَضِيَ الله عنهمْ :

[الطويل]

عَلَى أَشْرَفِ الرُّسْلِ الكرَام أولي القَدْرِ
صَلاَةٌ وَتَسْلِيمٌ يُصَانَانِ عَنْ حَصْرِ

كَذَا آلُهُ الأَطْهَارُ والصَّحْبُ مَنْ سَمَوا
وَمَنْ شُبِّهُوا في الهَدْيِ بالأَنْجُمِ الزُّهْرِ

وَمَنْ هَاجَرُوا حُبًّا لَهُ وَكَرَامَةً
وَأَنْصَارُهُ الأَتْبَاعُ في سَاعَةِ العُسْرِ

1) غزوة بدر وقعت في السنة الثانية للهجرة انتصر فيها المسلمون انتصارا مبينا رغما عن قلة عددهم إذ كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وستة أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة . وبدر موضع ماء كائن بين مكة والمدينة .

وَمَنْ جَاهَدُوا في الله حَقَّ جِهَادِه
وَلَا سِيَّمَا أَهْلُ الشَّهَادَةِ في بَدْرِ
هُمُ قَدْ عَلَوْا قَدْرًا وَنَالُوا مَزِيَّةً
وَأَوَّلُ حِزْبٍ فَلَّ حَدَّ ذَوِي الْكُفْرِ
وَمَنْ نَزَلَ الأَمْلَاكُ جَهْرًا لِنَصْرِهِم
فَيَا لَكَ مِنْ عِزٍّ وَيَا لَكَ مِنْ نَصْرِ
وَمَنْ قِيلَ يَا بُشْرَاكُمْ فَاعْمَلُوا الذي
أَرَدْتُمْ مِنَ الذَّنْبِ الخَطِيرِ أَوِ النَّزْرِ
فَقَدْ غُفِرَتْ آثَامُكُمْ وَسَعِدْتُمُ
وَلَمْ يَثْنِهِمْ مَا قَدْ حُبُوهُ مِنَ الشُّكْرِ
وَمَنْ نَزَلَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ مُفَصَّلًا
بِمَا خَصَّهُمْ في ذَلِكَ اليَوْمِ مِنْ ذِكْرِ
فَفِي آلِ عِمْرَانَ اسْتَجَابَ دُعَاهُمْ
وَأَذْهَبَ في أَنْفَالِهِ (2) الرِّجْسَ بِالطُّهْرِ
وَثَبَّتَهُمْ وَالرُّعْبَ أَلْقَاهُ في العِدَى
فَأَضْحَوْا حَيَارَى نُهْبَةَ الْقَتْلِ وَالأَسْرِ
وَأَصْبَحَ دِينُ اللهِ جَذْلَانَ بَاسِمًا
وَأَحْزَابُهُ تَخْتَالُ في حُلَلِ النَّصْرِ
وَكَانُوا عَلَى الْمَشْهُورِ كَالرُّسْلِ عِدَّةً
وَيَعْلَمُ أَهْلُ السِّرِّ مَا فِيهِ مِنْ سِرِّ
وَقَدْ جُرِّبَتْ أَسْمَاؤُهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهَا
لِتَنْفِيسِ مَكْرُوبٍ وَإِنْقَاذِ مُضْطَرِّ

---

2) استجاب دعاءهم يشير الى الآية الكريمة «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين» والى قوله تعالى «إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان» (سورة الانفال ، الآيتان : 9 ، 11) .

وَغَوْثًا لِمَلْهُوفٍ وَعَوْنًا لِطَالِبِ
وَأَمْنًا لِذِي ذُعْرٍ وَيُسْرًا لِذِي عُسْرِ
وَكَمْ مِن عَوِيصَاتٍ تَجَلَّتْ بِذِكْرِهِم
وَكَمْ مِنْ كَسِيرِ الْقَلْبِ أَصْبَحَ في جَبْرِ
فَلَازِمْهُمُ سَرْدًا وَحَمْلًا تَنَلْ بِهِم
مُنَاكَ وَمَا تَرْجُوهُ في السِّرِّ وَالْجَهْرِ
أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ يَا خَيْرَ شَافِعٍ
وَمَنْ فَضْلُهُ يَرْبُو عَلَى الرَّمْلِ وَالْقَطْرِ
وَيَا خَيْرَ مَن أَمَّ الْعُصَاةُ جَنَابَهُ
فَقَابَلَهُمْ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَالْبِشْرِ
أَتَيْتُكَ يَا كَهْفَ الْوَرَى مُتَوَسِّلًا
بِهِمْ وَبِجَمْعِ الصَّحْبِ مَعْ آلِكَ الطُّهْرِ
تَوَجَّهْ إِلَى مَوْلَاكَ في حَلِّ مُشْكِلِي
وَتَفْرِيجِ مَا يَدْرِيهِ في الْقَلْبِ وَالصَّدْرِ
وَيَغْفِرُ لِي مَا أَثْقَلَ الظَّهْرَ حَمْلُهُ
وَيَسْتُرُ لِي الْبَاقِي إِلَى آخِرِ الْعُمْرِ
وَيُسْعِدُ في الدَّارَيْنِ مُنْتَصِرٌ بِكُم
عَلَى كُرَبِ الأَيَّامِ مَعْ نُوَبِ الدَّهْرِ
وَيُصْلِحُ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَسْرِهِم
وَيُبْدِلُهُمْ مِنْ حَالَةِ الْعُسْرِ بِالْيُسْرِ
وَصَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَمَا نُوِّرَتْ حُلْكُ الدُّجُنَّةِ بِالْبَدْرِ
وَآلِكَ وَالأَصْحَابِ مَعْ تَابِعِيهِم
وَلَا سِيَّمَا رُكْنِي وَحِصْنِي أُولِي بَدْرِ

وقال رحمه الله تعالى مادحاً المشير الأول أبا العباس أحمد باشا باي عندما جمع العساكر بالمحمدية (1) سنة 1259 هـ :

[الكامل]

السَّعْدُ يَنْطِقُ والمَحَاسِنُ تَشْهَدُ
أنَّ المُؤَيَّدَ بالعِنَايَةِ أحْمَدُ
أسَدُ الإمَارَةِ بَدْرُهَا السَّاري ومَنْ
في كُلِّ يَوْمٍ عِزُّهُ مُتَجَدِّدُ
مَجْدٌ تُرى زُهْرُ الثَّوَاقِبِ دُونَهُ
وَذَكَاءُ ذِهْنٍ غَارَ مِنْهُ الفَرْقَدُ
المَانِعُ الشَّهْمُ الهُمَامُ وَمَنْ لَهُ
سَهْمُ المَعَالي وَالحجا وَالسُّؤْدَدُ
هَا تُونسٌ تَدْري وَأنْتَ أميرُهَا
لَوْ لَمْ تَكُنْ فيهَا لَذَابَ الجَلْمَدُ
ألبَسْتَ أهْلِيهَا البَهَاءَ وَصُنْتَهُمْ
وَكَسَوْتَهُمْ فَخْرًا بهَا لاَ يُجْحَدُ
وَسَهِرْتَ حَتَّى في الأنَامِ أقَمْتَهُمْ
وَمَنَحْتَهُمْ عِزًّا بهَا لاَ يَنْفَدُ

1) في أوائل سنة 1259 هـ. شرع المشير أحمد باشا باي في تشييد مدينة على بعد أربعة عشر ميلا من مدينة تونس سماها المحمدية ، فابتنى بها قلاعا وأسواقا وجامعا ومدرسة ومساكن لخاصته ورجال دولته ، وغير ذلك من المباني الانيقة ثم اتخذها مقرا لحكومته عوض باردو . وهي الآن أنقاض .

أبَدًا نَرَاكَ تَقُومُ في إعْزَازِهِمْ
وَسِوَاكَ في حِجْرِ البَطَالَةِ يَقْعُدُ
فَلأنْتَ وَالفُرْقَانُ فيهِمْ نِعْمَةٌ
وَعَلَى العِدى وَالله أنْتَ مُهَنَّدُ
مَنْ مِثْلُ مَوْلاَيَ الأمِيرِ وَسَعْيِهِ
فيمَا يُؤَثِّلُ مَجْدَهُ وَيُخَلِّدُ
جَمَعَ العَسَاكِرَ لِلْجِهَادِ وَسَاسَهُمْ
وَرَقَى بِهِمْ لِلْفَخْرِ وَهْوَ الأوْحَدُ
مَا هَمُّهُ إلاَّ الوُقُوفُ لِشَأنِهِمْ
وَالسَّعْيُ في تَدْرِيبِهِمْ كَيْ يَرْشُدُوا
فَأنَالَهُ الإسْعَادُ وَمِنْ تَهْذِيبِهِمْ
في قُرْبِ وَقْتٍ مِثْلُهُ لاَ يُعْهَدُ(2)
وَمَن الذي تُولِيهِ فَضْلَ عِنَايَةٍ
فَيَبِيتُ وَهْوَ عَلَى الكَمَالِ مُقَيَّدُ
تَلْقَاهُ كَالعِقْدِ المُحَكَّمِ نَظْمُهُ
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ مُبْرِقٌ أوْ مُرْعِدُ
أوْ كَالمَجَرَّةِ كَثْرَةً وَتَلألُؤًا
أوْ كَالمَنَايَا بِالمَنَايَا تُورِدُ
وَتَرَى الفَوَارِسَ وَالصَّوَارِمَ وَالقَنَا
لِعَلِيِّ مَجْدِكَ كُلَّ حِينٍ تَسْجُدُ
وَتَرَى المَدَافِعَ حَوْلَ كُلِّ مُدَافِعٍ
صَبٍّ عَلَى ألْحَانِهَا يَتَأوَّدُ

2) أراد الشاعر ان يقول : فأناله الاسعاد من تهذيبهم ما لا يعهد مثله في قرب وقت . فأسقط (ما) الموصولة ، وهو ولا شك تصرف غريب مناف لقواعد العربية . على أن مثل هذا التصرف له نظائر في الشعر العربي القديم وحتى في القرآن ، لكنه يكثر عند شاعرنا .

مثلَ الثّعابين الفواغر شُرّعاً
أفواهُها وكأنّها تتنهّدُ
وَهَلُمَّ جَرّاً منْ مَبان شُمّخٍ
ومَصانعٍ بالفضْل جهْراً تشهَدُ
يا سيّداً مهْما رأيتَ جلالَهُ
تدْري وتعلَمُ ما رأيتَ وتحمَدُ
نلتَ الهَناءَ بذا الآلاي وحُسْنه (3)
ولنَا الهَنا ولكُلّ منْ يتشهّدُ
وبَقِيتَ تُوجِدُ كُلّ وقتٍ مفخَراً
في كُلّ قُطْرٍ مثلُهُ لاَ يُوجَدُ
يا بَهْجةَ الأيّام يا شمْس الورَى
يا مُفْرَدَ العَلْيا وأنتَ السيّدُ
حتّى نَراكَ بلَغْتَ ما أمّلْتَهُ
في العَالَمينَ كمَا تَشاءُ وأسْعَدُ

— 8 —

تهنئة المشير أحمد باشا باي بالشفاء :

[الكامل]

كرّرْ هناءك (1) وابْدئي وأعيدي (2)
فاليَوْمَ في التّحْقيق يَوْمُ العيد

3) الآلاي : الفرقة من العسكر ، ج. الآلايات . والكلمة تركية عربيتها : الفيلق .

1) قوله : «كرر هناءك» : جرد من شخصه شخصا آخر وخاطبه بطريقة التجريد .
2) قوله : «وابدئي واعيدي» ـ خطاب لنفسه كقول البوصيري :
يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت .

يَوْمٌ به تَبْدو ثُغُورٌ بَواسمٌ (3)
وَبه خُدُودُ الغيد (4) في تَوْريد
والبِشْرُ قدْ ملأ الفَضَا والسَّعْدُ قد
وافاكَ يرْفُلُ في جديد بُرُود
والأنسُ عمّ النّاسَ حتّى خلتَهُم
طُرّاً تَشاوَى بابْنَة العُنْقُود
جمَعَ المُهَيْمنُ شمْلَهُمْ بإمامهمْ
بعْدَ الشّفاء كمثل نظْم عقُود
السّيّدُ الباشا المُعظّمُ أحْمَدٌ
فَرْدُ الكمَال ولاتَ حينَ مَزيد
إنسانُ مُقْلَة تُونسٍ وعمَادُهَا
غيْثُ الوُدُود وغَيْظُ كُلّ حَسُودِ
مَنْ حَازَ بالحَزْم المُبين عِنانَها
في لُطْف تخْمين ويُمْنِ جُدودِ
وسعَى إلى إعْزازها بعَزيمَة
وقَريحَة غَرّاء ذات وقُودِ
وأنَامَ في حُلَل الأمَانِ مُقيمَهَا(5)
وأقامَ معْهَدَ فَخْرها المَعْهُودِ
آثَارُها تُنْبيكَ عَنْ أخْبَاره
فانْظُرْ لها واسْتَغْنِ عَنْ تقْليد

3) «ثغور بواسم» ، إذا قرئتا بالتنكير والتنوين لا يستقيم وزن البيت والاصح والذي يلائم الوزن هو : يوم به تبدو الثغور بواسما .
4) الغيد ، مفرده غيداء وهي الفتاة الغضة التي لانت أعطافها .
5) في نسخة أخرى (أقام) عوض (أنام) يشير بذلك الى القانون الذي أصدره الباي في نظام التعليم بالجامع الاعظم .

مـن مَعْشَرٍ فَاقُوا بِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ
أهْلَ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى وَالْجُودِ

حَدِّثْ عَنِ الْبَحْرِ الْخِضَمِّ وَعَنْهُمُ
وَانْثُرْ عَلَى الأسْمَاعِ كُلَّ فَرِيدِ

يَا أيهَا الْبَاشَا الْمُشِيرُ وَمَنْ بِهِ
أسْطُو عَلَى نُوبِ (6) اللَّيَالِي السُّودِ

هَذِي نَتِيجَةُ خَاطِرِي وَجَهْتُهَا
يَوْمَ الْهَنَا مِثْلَ الْفَتَاةِ الرود (7)

تَرْجُوكَ تَلْحَظُهَا بِعَيْنِ عِنَايَةٍ
يَنْدَى بِهَا كَفِّي وَيُورِقُ عُودِي

لاَ زِلْتَ فِي أُفُقِ السَّعَادَةِ نَيِّرًا
سَامِي الضِّيَا فِي طَالِعٍ مَسْعُودِ

— 9 —

تهنئة المشير أحمد باشا بالمولد النبوي سنة 1266هـ :

[الكامل]

عِيدُ الْمَسَرَّةِ وَهْوَ شَهْرُ الْمَوْلِدِ
وَافَاكَ فَانْهَضْ لِلْمَكَارِمِ وَاسْعَدِ

يَرْجُوكَ مَا عَوَّدْتَ مِنْ تَعْظِيمِهِ (1)
وَهْوَ الأمَانُ فَحَيَّهَلْ لِلْمَوْلِدِ

6) نوب مفرده : نائبة .

7) الرود مخففة من الرؤد وهي الشابة الحسنة .

1) المشير أحمد باي سن عادة الاحتفال بعيد مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

بِالطَّلْعَةِ الْغَرَّاءِ وَالْوَجْهِ الَّذِي
يَشْفِي وحَقِّكَ كُلَّ جَفْنٍ أرْمَدِ

وَيُعِيدُ فِي الرِمَمِ الْبَوَالِي رُوحَهَا
وَيَنَالُ مِنْهَا وَرْدَةَ الْقَلْبِ الصَّدِي

وَيُطِلُّ (2) مِنْ بَعْدِ السِّرَارِ بِغُرَّةٍ
إنْ قَابَلَتْ قَمَرَ الدُّجُنَّةِ يَسْجُدِ

فِي أنجُمٍ مِنْ أسْرَةٍ وَعَسَاكِرٍ
تَخْتَالُ زَهْوًا فِي اللِّبَاسِ الْعَسْجَدِي

وَافَى قُلُوبَ أُولِي بِلاَدٍ مَا لَهُمْ
أمَلٌ سِوَى أنْ [لا] (3) تُضَامَ وَتَخْلُدِ (4)

يَفْدُونَ نَعْلَكَ بِالنُّفُوسِ وَيَجْعَلُوا(5)
آثَارَهَا كُحْلاً مَكَانَ الإثْمِدِ (6)

لِمَ لاَ وَقَدْ حَامَيْتَ دُونَ حِمَاهُمُ
فِي الأمْسِ وَالْيَوْمِ الْمُشَاهَدِ وَالْغَدِ

وَتَعِبْتَ فِي رَدِّ الْمَخَاوِفِ دُونَهُمْ
بِعَزِيمَةٍ غَرَّاءَ ذَاتِ تَوَقُّدِ

وَبَنَيْتَ سُورًا مِنْ جُنُودِكَ مَانِعًا
لَهُمُ مِنَ الْهَوْلِ الذِي لَمْ يُعْهَدِ

2) بالاصل «ويحلّي» ووزن البيت لا يستقيم معها ، والاقرب والاصح الذي يتفق مع الوزن هو «يطل» لان القمر هو الذي «يطل» كما تفيده قرينة «السرار» .

3) سقطت من الاصل وبدونها لا يستقيم الوزن .

4) «تخلد» : يدوم ملكك ويبقى . وفيه عطف «تخلد» مرفوعا على «تضام» منصوبا فقد تقدم أن مثل هذا مألوف عند شاعرنا .

5) وردت بالاصل : «ويجعلا» والصواب «ويجعلوا» وسقوط الواو سهو من الناسخ ، أما حذف نون الرفع من «يجعلوا» فهو من مألوف عادة الشاعر .

6) الاثمد : حجر يتخذ كحلا .

لِبِلادِكَ المَثلُ الأغَرّ فَلاَ تُرَعْ
وَارْمِ الظُّنُونَ عَلَى وُجُوهِ الحُسَّدِ

لَهُمُ الأمَانُ عَلَى الزَّمَانِ فَمَنِّهِمْ
وَابْذُلْ وَطَوِّقْ للزَّمَانِ وَقَلِّدِ

وَاخْلِصْ (7) دُعَاءَكَ لِلْجَمِيعِ فَإِنَّهُ
تِرْيَاقُ مَا يَجِدُونَهُ مِنْ مُنْكِدِ

لاَ تُولِهِمْ مِنْكَ العِتَابَ لِفَلْتَةٍ
أوْ عَثْرَةٍ مِنْ جَاهِلٍ مُتَمَرِّدِ (8)

فَهُمُ العِيَالُ العَاجِزُونَ وَمَا لَهُمْ
بَعْدَ الإِلَهِ سِوَى الجَنَابِ الأحْمَدِي

وَبَقَاءُ مَوْلاَنَا المُشِيرِ سَمِيِّهِ
لاَ زَالَ فِي أمْنٍ بِفَضْلِ المَوْلِدِ

وَبِفَضْلِ صاحِبِهِ وَفَضْلِ صِحَابِهِ
وَالآلِ وَالأتْبَاعِ وَالمُتَشَهِّدِ

وَالشَّاذلي وَمحْرِزٍ وَالفَاضِلِ الْ
حَطَّابِ وَالبَاجي وَكُلِّ مُحَمَّدِي (9)

7) الهمزة قطعية في «أخلص» من أخلص يخلص لكن الشاعر تعمد جعلها وصلية كي يستقيم له الوزن .
8) «لا تولهم منك العتاب لفلتة» .. الخ أي اعف ولا تعاتب من تبدو منه غلطة أو هفوة .
9) الشاذلي : هو أبو الحسن الشاذلي ومحرز : هو محرز بن خلف والحطاب : هو علي الحطاب والباجي : هو أبو سعيد الباجي . وكل محمد : أي كل من اسمه محمد تبركا بالاسم الشريف .

وقال رحمه الله تعالى يذكر بعض المنازه ومآثر المشير أحمد باشا :

[البسيط]

حَيَّا نَسِيمُكَ حَتَّى كَادَ يُحْيِينِي
يَا تُونِسَ الأُنْسِ يَا خَضْرَا المَيَادِينِ

سَرَى عَلِيلاً وَوَافَى بالسَّلاَمِ إلَى
مُضْنًى بِحُبِّكِ نَائي الدَّارِ مَغْبُونِ

فَجَدَّ بي الشَّوْقُ واسْتَوْلَى عَلَى جَلَدي
وَصِرْتُ أخْفِيهِ حَتَّى كَادَ يُخْفِينِي

وَبِتُّ في حُرَقٍ وَالطَّرْفُ في أرَقٍ
وَالنَّوْمُ أعْصِيهِ أحْيَاناً وَيَعْصِينِي

سَقَى رُبَى تُونِسَ الخَضْرَا وَسَاكِنَهَا
سُحْبٌ مِنَ السَّعْدِ تُرْضِيهِمْ وَتُرْضِينِي

وَلاَ أذَاقَنِي الرَّحْمَانُ فُرْقَتَهَا
فَبُعْدُهَا مُوجِبٌ ضَعْفِي وَتَوْهِينِي

رَبْعُ الأمَانِي وَمَأْوَى كُلِّ ذي أدَبٍ
وَمَسْكَنٌ لِلْمَهَا وَالخُرَّدِ العِينِ

مَنْشَا شَبَابي وَأتْرَابي وَمُرْضِعَتي
ثَدْيُ السُّرُورِ الذي لاَ زَالَ يُرْوِينِي

قُمْ يَا نَدِيمِي نُبَاكِرْ رَوْضَهَا سَحَرًا
فَالسَّعْدُ نَادَى بِنَا مِنْ بَابِ سَعْدُونِ (1)

1) باب سعدون وهو أحد أبواب مدينة تونس من الجهة الغربية . وكان به حيّ الاجانب أين تكثر الحانات وما يتبع الحانات ...

أهْدى الرّبيعُ لنَا ظَرْفاً وَتَكْرِمَةً

شَمِيمَ أنْفَاسِهِ ضِمْنَ الرّيَاحِينِ

أمَا تَرَى أعْيُنَ الأزْهَارِ شَاخِصَةً

للّهْوِ وَالأنْسِ وَالأفْرَاحِ تَدْعُونِي

سَاعِدْ أخَاكَ إلى أرْيَانَةٍ (2) فَبِهَا

رَوْضٌ تَوَشّى بِوَرْدِيٍّ وَنِسْرِينِ

وَاغْنَمْ بهَا نَفَسَ الأزْهَارِ مُصْطَبِحاً

منْ خَمْرَةٍ عُتِّقَتْ فِي دَيْرِ عَبْدُونِ

وَمِلْ لشُطْرَانَة (3) عِنْدَ الغَبُوقِ وَقِفْ

وَاشْرِطْ بِهَا مَا تَشَا يَأتِيكَ فِي الحِينِ

وَجَعْفَرٍ (3) لاَ ذَوَتْ أغْصَانُهُ وَسَقَتْ

ثُغُورَ أزْهَارِهِ بِنْتُ الزّرَاجِينِ

ظِلّ ظَلِيلٌ وَمَاءٌ كَالسُّلاَفِ عَلَى

رَجْعِ النّوَاعِيرِ رَبّاتِ التّلاَحِينِ

وَارْتَدْ لِنَفْسِكَ فِي رَوّادَ (4) مَنْزِلَةً

وَاخْلَعْ عِذَارَكَ فِيهَا خَلْعَ مَأمُونِ

وَاحْمِلْ إلى شَاطِىء المَرْسى (5) وَقُبّتِهَا (6)

خَمْراً مُشَعْشَعَةً مِنْ خَمْرِ بَرْزُونِ

2) أريانة هي إحدى ضواحي تونس الشمالية ، ويكثر بها اليهود ، وبها أجود الورود .

3) شطرانة وجعفر : بساتين ومنازل ومنازه قرب أريانة .

4) رواد : شاطيء جميل قرب أريانة .

5) المرسى : ضاحية من ضواحي تونس الشرقية مشهورة بشاطئها الجميل يسكنها الاعيان من التونسيين والاجانب .

6) قبتها : قبة الهواء أنشأها حمودة باشا الحسيني ، داخلة في البحر ، ثم صارت فيما بعد ملهى وأصبحت اليوم مقهى .

وَوَاصِلِ القَصْفَ وَارْفُلْ في مَلاَبِسِهِ

وَاتْرِعْ (7) بِهَا الكَأسَ وَاشْرَبْهَا وأسْقِيني (7)

وَسَرِّحِ الطَّرْفَ مُرْتَاحاً وَمُبْتَهِجاً

فِي خُضْرَةِ البَحْرِ أوْ خُضْرِ البَسَاتِينِ

وَالغِيدُ تَمْرَحُ وَالغِزْلاَنُ تَسْبَحُ مَا

فِي البَرِّ ضَبٌّ (8) وَلاَ فِي البَحْرِ منْ نونِ

تُلْفِي العَذُولَ عَذِيراً (9) فِي خَلاعَتِهَا

إذْ حُسْنُهَا نَابَ عَنْ نَصْبِ البَرَاهِينِ

وَاسْلُكْ إلى جَبَلِ البَاجِي (10) وَتُرْبَتِهِ

وَاسْألْ هُنَاكَ عَطَاءً غَيْرَ مَمْنُونِ

حَتّى إذا مَا بَلَغْتَ الحَدَّ مِنْ طَرَبٍ

وَأبْتَ للجِدِّ بَعْدَ اللَّهْوِ وَاللّينِ

فَاسْرِعْ إلى حَلْقِ وَادِيهَا (11) وَشِمْهُ تَرَ (12)

مَا خَلّدَتْهُ يَدُ الشّمِّ العَرَانِينِ

تَرَى بِهِ الفُلْكَ بالأبْرَاجِ مُحْدِقَةً

مِثْلَ البَيَادِقِ طَافَتْ بالفَرَازِينِ (13)

تَزَيّنَتْ بِصُنُوفٍ مِنْ مَدَافِعِهَا

سُودٍ فَوَاغِرَ أمْثَالَ الثّعَابِينِ

7) الصحيح : «وأترع» بالقطع ، والصحيح كذلك «واسقني» بوصل الهمزة وحذف الياء من الامر الناقص .

8) ضب : الضب من الزحافات الصغيرة ترتاع منها النسوة والعذارى خاصة ، كما ترتاع من السمك وهو النون إذا كانت تستحم في البحر .

9) وهو الذي يعذر . يقول : إن العذول أصبح يمنحك العذر في التهتك والخلاعة بهذا الشاطيء الجميل .

10) جبل الباجي : يريد به «جبل سيدي بوسعيد» «جبل المنار» وفيه ضريح سيدي أبي سعيد .

11) حلق واديها : حلق الوادي : ضاحية من ضواحي تونس الشرقية ومصيف جميل ومرفأ حربي .

12) عمد الشاعر هنا في هذا المصراع الى إسقاط همزة «أسرع» القطعيّة وإثبات حرف العلة في «ترى» مع وجوب حذفه . وذلك كله مراعاة للوزن .

13) البيادق والفرازين : قطع تستعمل في لعبة الشطرنج .

وَاسْأَلْ أَبَا لِحْيَةٍ (14) ذَاكَ الْمُجَاهِدَ عَنْ
أَفْعَالِهِ فِي أَعَادِيهِ الْمَلاَعِينِ
وَادْخُلْ إِلَى الْقِشْلَةِ الْكُبْرَى فَإِنَّ بِهَا
جُنْداً مَفَاخِرُهُمْ بِالْمَدْحِ تُغْرِينِي
أُسْدُ الْعَسَاكِرِ فِي غِيلِ السِّلاَحِ جَثَوْا
لِنَصْرِ سُلْطَانِهِمْ وَالْقُطْرِ وَالدِّينِ
فِي سُورَةِ الصَّفِّ مِنْ أَحْوَالِهِمْ مَثَلٌ
لاَ زَالَ سَعْدُهُمْ فِي حِرْزِ يَا سِينِ
وَارْكُضْ إِلَى قِشْلَةِ الْمُرْكَاضِ (15) تُلْفِ بِهَا
قَوْماً كِرَاماً عَلَى غُرٍّ مَيَامِينِ
تَحْكِي قَوَاضِبُهُمْ لَمْعَ الْبُرُوقِ دُجًى
بِكُلِّ عَضْبٍ بِمَاءِ النَّصْرِ مَسْنُونِ
وَفِي فِنَا قِشْلَةِ الْقِنْدِيلِ (16) أُسْدُ شَرًى
قَدْ تَاجَرُوا اللهَ تَجْراً غَيْرَ مَغْبُونِ
الْحَزْمُ وَالصَّبْرُ وَالإِذْعَانُ دَأْبُهُمُ
فِي حُسْنِ سَمْتٍ بِعِزِّ النَّصْرِ مَقْرُونِ
وَإِنْ وَصَلْتَ إِلَى قَصْرِ الخِلاَفَةِ قُلْ
حُيِّيتَ حُيِّيتَ يَا مَأْوَى السَّلاَطِينِ
يَا قُبَّةَ الْعَدْلِ يَا دَارَ الإِمَارَةِ يَا
مَلْجَا لِكُلِّ غَرِيبِ الدَّارِ مِسْكِينِ

---

14) أبو لحية : اسم مدفع تونسي عتيق من مفاخر عتاد الجندية التونسية .
15) قشلة الفرسان : هي ثكنة المركاض بتونس العاصمة .
16) «قشلة القنديل» : هي قشلة الطبجية الكائنة خارج باب الخضراء من تونس وتطلق كلمة قشلة في اللسان التونسي على الثكنة .

لاَ زِلْتَ تَخْلُدُ فِي عِزٍّ وَمَكْرُمَةٍ
لِسَادَةِ الْمِصْرِ أَرْبَابِ الدَّوَاوِينِ
فَيَا مَنَازِلَ ذِي فَتْكٍ وَذِي نُسُكٍ
وَيَا مَعَالِمَ تَلْحِينٍ وَتَأْذِينِ
أَنْتِ الْمَنَازِلُ حَقّاً لاَ مَنَازِلُ مَنْ
يَقُولُ يَا نَسْمَةً مِنْ نَحْوِ دَارِينِ (17)
مَا شَادَ (18) ذِكْرَكِ قَبْلِي مَنْ يَقُولُ بِهَا
«بَاكِرْ سُعُودَكَ لَيْسَ الْوَقْتُ بِالدُّونِ» (19)
حَذَوْتُ حَذْوَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ فِي
« نَسِيمُ تُونِسَ حَيَّانِي وَيُحْيِينِي » (20)
فَخْرِي وَذُخْرِي وَأُسْتَاذِي الشَّهِيرِ وَمَنْ
وَجْدِي بِهِ فِي تَجَاوِيفِ الشَّرَايِينِ
مُثَنِّي الْوِزَارَةِ (21) مِنْ سَيْفٍ وَمِنْ قَلَمٍ
وَمَنْصِبٌ غَيْرُ مُحْتَاجٍ لِتَبْيِينِ
يَدُومُ فِي الْعِزِّ فَذّاً لاَبِساً أَبَداً
سَعَادَةً مِنْ إِلَهِ الْكَافِ وَالنُّونِ

---

17) أشار بهذا البيت الى قول الشاعر الاندلسي أبي القاسم عامر بن هاشم .
يا هبة باكرت من نحو دارين وافت الي على بعد تحييني
وهذه القصيدة عارضها كثير من أدباء تونس .
18) هكذا بالاصل . ويظهر أنها مصحفة عن «شان» لان غرض المسعودي هو التنويه بما نظمه متقدمه الورغي في نفس تلك المنارة لا الحط من مقامه .
19) إشارة الى قصيدة الورغي التي مطلعها «باكر سعودك ...» التي يصف بها منازل تونس معارضا بها القصيدة الاندلسية المشهورة في مدح معالم أندلسية .
20) أشار بهذا الى القصيدة التي قالها ابن أبي الضياف متشوقا الى تونس حين كان في مأمورية في اسطنبول . أول القصيده :
نسيم تونس حياني ويحييني .
21) مثنى الوزارة : ذو الوزارتين .

— 11 —

مدح لسان الدولة الشيخ أحمد ابن أبي الضياف (*) :

[الكامل]

مَا للمَلِيحَةِ (1) لاَ تُبيحُ رُقَادي ... وَيَسُرُّهَا أرَقي وَطُولُ سُهَادي

بُخْلاً وَضَنًّا أن يَزُورَ خَيَالُهَا ... وَيُلِمَّ بِي فَيَبُلَّ غُلَّةَ صَادي

أبَخيلةٌ بالطيْفِ مَنْ لِمُتَيَّمٍ ... قدْ كَانَ طَالِبَ خلّةٍ وَوِدَادِ

وَالآنَ يَعْثِرُ في عُقُودِ دُمُوعِه ... قَوْلي لعًا (2) أطْمَعهُ في الإسعَادِ

فإذَا أبل فَوَاصِلي أوْ صَارمي ... غَلَبَ الغَرَامُ فَمَا تُرِيدُ مُرَادي

يَا ضَرَّةَ البَدْرِ المُنير وَحَسْرَةَ ... الغُصن النَّضير وَفِتْنَةَ الزُّهَادِ

مَا كَانَ ضَرَّكِ يَومَ زُمَّ (3) رِكابُنا ... وَالعيس مُصْغِية لصَوْتِ الحَادي

أنْ لو نظَرْتِ إلى قَتيلِكِ نَظْرَةً ... فتكون في جَوْب (5) المهاوي (6) زادي

يَاعَاذلي لاَ تُفْشِ منْ سرِّ الهَوَى ... سِرَّ امْرِىءٍ ذي خِبْرَةٍ نقَّادِ

★ أحمد ابن أبي الضياف ولد بتونس سنة 1219 . وهو شهم أبيّ وأديب وكاتب قدير . وهو أول من هذب التحارير الادارية في الدولة الحسينية . ولي الكتابة في دولة حسين بن محمود باي وتدرج الى أن ارتقى برتبة كاتب سر الامير أحمد باي ثم الامير محمد باي من بعده ثم واصل مهامه في أوائل دولة الصادق باي حتى انقطع عن وظيفه لمّا أساءت له الدولة بإيعاز من وزيرها مصطفى خزنه دار بأن قدمت عليه من هو دونه كفاءة وسنا . وقام بعدة بعثات رسمية ، منها الاستانة . وصحب أحمد باي في رحلته الى فرنسا .. وهو الذي باشر تحرير قانون عهد الامان وكتب مذكرات تاريخية عن الفترة التي عاشها في دواليب الدولة وتوفي في شعبان سنة 1291 هـ.

1) «ما للمليحة» : عندما يمدح المسعودي أصدقاءه يستهل القصيدة بالغزل مقتديا بالشعراء الاقدمين ، لكنه يخالف هذه العادة عندما يمدح الأمراء والوزراء .

2) «لعا» : يقال للعاثر «لعًا لك» أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك .

3) «زم ركابنا» : شدت رواحلنا ، وزم الجمال : خطمها .

4) «العيس» : الابل البيض يخالطها سواد . والحادي هو سائق الابل .

5) الجوب : مصدر من جاب يجوب ، و «جوب المهاوي» اجتيازها وقطعها .

6) «المهاوي» : مفرده المهوى والمهواة وهو ما بين جبلين .

أهْوَى المُمنع وَصْلها وَيَصُدُّهَا ... مهْمَا تُرِدْ جَدّى عدّى وَعَوَادِ

غَرّاء يحْميهَا الجمَالُ وَتَارةً ... تُحْمَى بأطْرَافِ القَنَا الميَّادِ

تَنْبُو (7) على خُضر (8) الزمَان خَلائقي
وَتَصدُّ عَنْهُمْ مُهْجَتي وَتُعَادي

وَأعفُّ أحيَانًا وَأصْرِفُ هِمَّتي ... لِمَديحِ مَالكِ خلَّتي وَوِدَادي

الفَاضِل الصدر المُقَرّب أحمَد (9) ... أعني أبَا الأضْيَاف وَالقُصَّاد

سرُّ الكتَابَة وَهْوَ كَاتِبُ سِرِّهَا ... أبْدَتْهُ يَنْقَعُ غُلَّةَ الأكْبَاد

منْ بَعْد ما كَادَتْ رُسومُ طُرُوسِهَا ... تمحَى كأنسقِيَتْ بصَوْب (10) عِهَادِ

فأتَى يُجَدِّدُ فَخْرَهَا وَيُمِدُّهَا ... ببَدَائعٍ كالحَلي في الأجْيَاد

أشْهَى عَلَى الأسْمَاعِ منْ نَيْلِ المُنَى
وَألَذُّ منْ صلة بلا ميعَاد (11)

آيَاتُ إحْسَانٍ جَعَلْتَ فُصولهَا ... تُتْلَى عَلَى الأحْقَابِ وَالآبَاد

فَضْلٌ من المَوْلى عَلَيْكَ أفَاضَه ... فاشْكُرْهُ فَهْوَ مُكَرِّرُ الإمْدَاد

وَاذْكُرْ أخَاكَ رَهينَ شُكْرِكَ إنهُ ... منْ رَيْبِ هَذَا الدهْرِ بالمرْصَاد

وَا خَجْلَتَاهُ وَأنتَ أنتَ وَرَاحَتي (12)
ممَّا تُؤمِّلُ في مَنيعِ قِيَادِ

7) نبا ، ينبو بصره : تجافى وتباعد .

8) «خضر الزمان» : لعله يقصد الذين ظاهرهم حسن وباطنهم قبيح ، أي أنه يترفع ويبتعد عن مثل هؤلاء الناس الذين هم مثل خضراء الدمن .

9) «الفاضل الصدر المقرب أحمد ...» الخ هو الوزير الجليل أحمد ابن أبي الضياف . ولد بحاضرة تونس واعتنى به والده وأحسن تربيته . وبعد تحصيله العلوم تقلد عدة رتب دولية وتفرد في الانشاء فرقاه المشير أحمد باي وجعل قلم دولته بيده واستصحبه في سفره الى باريس سنة 1262 هـ. (1846 م) لما علم من أمانته وفصاحته . وكان رحمه الله أقدر من أبرزه الادب في ذلك العصر من نبغاء هذا القطر وتاريخه الكبير الذي وضعه لاخبار البلاد التونسية أقوى دليل على اقتداره وبراعة يراعه .

10) الصوب : مصدر من صاب الماء ، أي أراقه . والعهاد مفرده عهادة : أول مطر الربيع .

11) «ألذ من صلة بلا ميعاد» : أي أحلى من الوصال بلا سابق وعد .

12) لا يخلو التعبير هنا من غموض وتعقيد ، ولعله يريد : أن أمالي غير مذعنة لي ولا مسلسة قيادها لراحتي ، أي ليدي . يقال : فلان سلس القيادة ، ويقابله في تعبير الشاعر : منيع القياد . يريد : أن اماله مستعصية عليه غير مسلمة له قيادها .

لاَ عَاجِزٌ فَأَقُولُ مَعْذِرَةٌ لَـــهُ | أَوَلَسْتَ مَوْضِعَ زُلْفَــةٍ وأَيَادِ
وَإِلَيْكَهَا غَرَّاءَ حُسْنُ حَدِيثِهَا | يَسْتَوْقِفُ الأَسْمَاعَ فِي الإِنْشَادِ
جَاءَتْ على استحيا تُهَنِّي مَجدكُم | بالعيد دُمْتَ الدَّهْرَ للأَعْيَادِ
يَرْنُو لَهَا شَزْرًا حَسُودِي فيكُمُ | لاَزِلْتَ في عَلْيَاكَ ذَا حُسَّــادِ
وَبَقِيتَ لِلعَلْيَا تُجددُ رَسْمَهَـــا | وَتُصَانُ لِلإِسْعَافِ وَالإِسْعَادِ
مَا لاَحَ فَجْرٌ بَعْدَ لَيْلٍ دَامِسٍ | وَتَغَنَّتِ الوَرْقَا عَلَى الأَعْوَادِ

— 12 —

وقال رحمه الله تعالى مهنئا لسان الدولة أحمد ابن أبي الضياف عند قدومه من حمام الأنف سنة 1266هـ :

[الكامل]

ماذا على البدر المُحَجَّب لو سَفَــرْ (1)
إن المعذب في هواه على سَفَــرْ
مثْلُ الخلال أو الخيال فَأَوْله | حتى خيالك للتّجانُس في الصُّور
يَا فاضحَ الغُصْنِ النَّضير بقَدِّهِ | وَالشّمس إنْ حسَرَ القِنَاع وَإنسفرْ
مِنْ أيْنَ للأَغْصَان قَامَتُكَ التـــي
تُؤتي متَى شئْتَ الثّمَارَ أو الزهَــرْ
ذكْرَى لمَعْهَد أنسنَا وَوِصَالنَا | وَالدهْرُ من إسعَافه غَمض البَصرْ
في رَوْضَةٍ صَاغَ الرَّبيعُ حُلِيَّها | لمَّا بهَا دُرُّ السَّحَائب قد نُثرْ
وَالقُضْبُ رَاكِعَةٌ وَتَسْجُد عِنْدَمَــا
تَبْدُو لهَا تلك المَحَاسِــنُ وَالغُــرَر
والرَّاحُ يَسْبَحُ في الكُؤوس حُبَابُهَــا
ذَوْبٌ منَ اليَاقُوت طُوِّقَ بِالــدُّرَرْ

1) «لو سفر» : أي كشف عن وجهه كلمة (سفر) الثانية معناها خارج الى السفر ، ويعني السفر الطويل (الموت) .

منْ عَهْد لقْمَانَ الحكيم تعَتّقَتْ
وَرَوَتْ عَلَيْه مَا تَخلّدَ وَاشْتَهَــرْ
ممَّا تَخيَّرَهَا المجُوسُ بدَنّهَــا
فَهْيَ اللهيبُ وَمَا الحبَابُ سوَى الشّرَرْ
يَرْضى عن الأقْدَار شَاربُهَا الذي | يُفْني المجَالس في مُعَاتبة القَدَرْ
والعُود يَنْفُثُ مَا أقل جنَانَــهُ | منْ نَغْمَة الوَرْقَاء أيام الشَّجر
فَيجيبُهُ رجع الرباب مُؤيِّـدًا | لشكَاته وَالطّارُ يَشْهَدُ بالخَبرْ
منْ كَفِّ شَادٍ شَادَ مَرْبَعَ أنسنَــا
مَهْمَا تَغَنّى أو تَهَازَجَ في السَّمَــرْ
يُصْبي الحَليمَ بضَرْبه وَبطَرْفِــه
وَعذَارُهُ (2) سَلَبَ النفُوسَ وَمَا اعتَذَرْ
فسقَى ديَارَكَ تُونسٌ منْ ديمَــةٍ (3)
تَهْمي(4) بمَاءِ الأمْنِ لاَ مَاءِ المَطَــرْ
دَارُ المَسَرَّةِ لاَ خلَتْ منْ أسْــرَةٍ
تُهْدِي المَحَاسِنَ في الأَصَائِلِ وَالبُكَرْ
وَسَقَى بِهَا عَهْدَ المُبَرِّزِ أحْمَــد
ابنِ الهُمَامِ أبِي الضِيَافِ المُشْتَهَــرْ
العَالِمُ الثّقَـةُ الـوَزيـر المُرتَضى
العُمْدَةُ الصدْرُ الزكيّ الشَّهْمُ الأغَـرْ
إنْسَانُ مُقْلَتِهَا وَدُرَّةُ عقْــدِهَــا
وَهو الذي رَفَعَ اللوَاءَ عَلَى قَــدَرْ

2) العذار : جانب اللحية ، أي الشعر الذي يحاذي الاذن ، والعذار : الحياء أيضا . ولعل الاخير هو المراد .
3) «ديمة» : الديمة مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ، ج. : ديم وديوم .
4) «تهمي» : همى الماء أو الدمع ، سال لا يثنيه شيء .

فَخْرُ اليَرَاعِ وَصَدْرُ حِلَّةِ أهْلِهِ — مِن كل مَنْ نظَمَ القَريض ومن نثر
بَاهى بِهِ الخَطِّيَّ بَلْ أغْنَى بِــــــه
وَكَفَى عَنِ الصَّمْصَامِ وَالسَّيْفِ الذَّكَر
يَرْمِي بِهِ الغَرَضَ البعِيد فَيُصْمِـــــه (5)
وَيَقُودُ مَنْ خَلَعَ العنَانَ وَمَنْ نَفَــــر
بلطَائفٍ سَارَت مَسِيرَ الشَمْس فِــــي
أهْل البَدَاوَة وَالمَعَاقل وَالحَضَــــر
وَبَدَائع بَهَرَتْ فَأعْشَى نُورُهَـــــا
عَيْنَ الحَسُــود فلاتَ (6) عَيْنٌ أوْ أثَـر
قُل للمُحَدث عَنْ مَكَارِم أحْمَــــد
حَدِّث عَن البَحْر الخضَمِّ وَلا حَــذَرْ
أخَطِيبَ هَـذَا الصَّقْع وابْنَ خَطِيبِـــه (7)
وَكَذَلكَ الأمانُ مِنَ الزَّمَان إذَا اكْفَهَـــرّ
وعمَــادَهُ وابنَ العَمِيــــد (8) وَفَخْـرَهُ
وَالفَاضِلَ الأسْتَاذَ وَالمَوْلَى الأبَـــرّ

5) الصحيح (فيصميه) من أصماه يصميه ، ولكن الشاعر خذف الياء على عادته للضرورة .
6) يميل المسعودي الى استعمال (لات) بمعنى (لا) النافية للجنس على منوال شان اختص به (انظر سينيته في قربس) .
7) «ابن خطيبه» : شبهه بلسان الدين بن الخطيب الاديب الاندلسي الذي برع في الترسل في العهد العباسي . وله مؤلفات كثيرة وديوان شعر . كان يميل في تحريره الى الاطناب وتنميق الالفاظ .
8) «ابن العميد» شبهه بابن العميد وهو أبو الفضل محمد بن العميد الفارسي الاصل من مدينة (قم) تقلد الوزارة لعضد الدولة العباسي . وكان واسع الاطلاع والحفظ يلم بجميع ضروب الثقافة لعصره من فلسفة وعلوم طبيعة وهندسة وما الى ذلك . وقد مدحه المتنبي ومما قال فيه :
من مبلغ الاعراب أني بعدهم — شاهدت وسطا ليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه — متملكا ، متبديا ، متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما — رد الاله نفوسهم والاعصرا
له مجموعة رسائل في النصائح والعتاب وغير ذلك كما له بعض الشعر الرقيق . توفي وهو في الوزارة سنة 970 م.

خُذْهَــا ولا منْ فَريــدةَ دَهْرِهَـــــا
تَسْبي النّهَى لَكنْ بسحْرٍ مُسْتَمِــرّ
مما تَخَيَّرها الوَدُودُ فَصَاغَهَـــا — عقدًا تُنظَّم بالجَوَاهر وَالدُّرَرْ
تَهْني (9) بصحتكَ التِــي هي عِيدُهَـــا
وَالعِيد الأكْبَرِ وَالقُدُوم مِنَ السَّفَــــرْ
تأميلها تَقْبيلُ رَاحتكَ التِــــي — هِي عُمدتي في كُلّ وِرْدٍ أوْ صَدَرْ
فاخْلدْ لنَا فِي نِعْمَةٍ تَزْدَادُ مَا — أثْنَى الحَبِيبُ على المحبّ وماشَكَر
وَمَتَى (10) شَدَا فِي دَوْحِهِ القُمْرِي وَمَـــا
هَبَّ النَّسِيمُ علَى الرِّيَاضِ مَعَ السَّحَــرْ

— 13 —

وقال رحمه الله تعالى مؤرخا بناء سانيــة * لسان الدولة المذكور التي بالمرســى :

[الوافــر]

تَهَنَّ بِه فَطَالِعُهُ سَعِيـــــدُ — وَهَا قَدْ جَاءكَ العِزّ الجَدِيدُ
ضَمَانٌ أنْ أرَاكَ عَلَى مُـرَادِي — عَلَى الأيَّام وهو كما تُرِيـــد
فيَـا لله بُسْتَـانًا أرَانَـــا — مَغَانِي الشِّعْب (1) أنت بِهِ العميد

9) الصواب «تهنا» مخففا من تهنا ، يقال : هنىء به يهنأ ، أي فرح .
10) لم يتحرج المسعودي من استعمال (متى) للضرورة بينما المعنى يقتضي (ما) المصدرية الظرفية .

★ هنا الشاعر بهذه الابيات صديقه الشيخ ابن أبي الضياف بالمنزل الجديد وهو سانية العبدلية برج الحوكي المعروف بالمرسى . والمتعارف أن هذا المنزل قد أهداه له الامير محمد الصادق باي بعد أن خيره فيه وفي سانية أخرى ، وقد اختار ابن أبي الضياف برج الحوكي فرارا من جور محمد باي ولي عهد المملكة الذي كان يسكن بالقرب من تلك السانية .
مغاني الشعب : مغاني ج. مغنى ، وهو المنزل الذي أقام به أهله ثم ضعنوا عنه .
والشعب ـ بالكسر ـ : المنفرج بين جبلين : والمراد به هنا شعب بوان ، وهو إحدى المنتزهات الاربعة حسبما ذكره الخوارزمي .
1) «مغاني الشعب» : إشارة الى قول المتنبي في طالع قصيده الذي مدح به عضد الدولة ، وقد وصف فيه شعب بوان :
مغاني الشعب طيبا فتى المغاني — بمنزلة الربيع من الزمان

وَدَارَ مَسَرَّةٍ وَرِيَاضَ أُنْسٍ   كَمَا حَلَّى لآلِي العقْد جِيدُ
تَمِيسُ بِهِ الغُصُونُ كأنْ سَقَاها   من الدَّولابِ مُسطَارٌ شَدِيدُ
وَغنّى طَائرُ الأفرَاحِ فِيهِ   وَرَجَّعَ فالغُصُونُ لهُ تَمِيدُ
فقُلْنَا سَمِّهِ وامْدحْ بِحَقٍّ   وَأرِّخْ: قَالَ بُسْتَانٌ سَعِيدُ

[... ... ... هـ 1268 ... ...]

— 14 —

وكتب هذين البيتين على صورة ابن أبي الضياف المذكور :

[المجتث]

مَن بالعُلى تفرَّدْ   مِن غيْرِ ما خِلافْ
أبو العباس أحمد   ابن أبي الضياف

— 15 —

وقال رحمه الله محاذيا قصيدة ابن أبي الضياف التي تشوق بها إلى تونس في سفره :

[الطويل]

حبيبٌ رَعَى عهْدًا وَبالطَّيْفِ قدْ أسْرى (1)   فَفَكَّ نُفُوساً في وِثَاقِ الْهَوَى أسْرى (2)
تَلَفَّعَ (3) بالظَّلْمَا وَوَافَى مُسَلِّمًا   فَلِلَّهِ مَا أحْلَى وَانسَان منْ سرا (4)

1) «أسرى» إسراء : سار ليلا .
2) «أسرى» : جمع ومفرده : أسير .
3) تلفع : تغطى .
4) قوله : وإنسان من سرا «مضطرب لا يستقيم معه العجز ، ومن العسير استعادة النص الصحيح بعدما حصل من تشويه في النسخ .

تَأَرَّجَ لي منْهُ الْفَضَا فَكَأنَّني   شَمَمْتُ بِهِ في بَاجَةٍ نَفَسَ (5) الخَضْرَا
سَقَى سَاكِنَ الْخَضْرَاءِ سُحْبُ مَسَرَّةٍ   وَرَوّى رُبَاهَا عَارِضٌ يُضْحِكُ الزّهْرَا
وَحَيًّا مَغَانِيهَا وَبَيًّا مُقِيمَهَا   وَألْهَمَهُ عَنْ حلِّهِ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ
مَعَاهِدُ لَذَّاتي وَمَوْطِنُ صَبْوَتي   وَمَرْتَعُ خِلاّني الألى زَيَّنُوا الدّهْرَا
تَعَوَّضْتُ منْهَا وحْشَةً عَنَّتِ الْحَشَا   وَسَلَّتْ إلَى حَرْبي مُهَنَّدَةً بُتْرَا
ألاَ هَلْ إلى الْخَضْرَاءِ أوْبَةُ نَازِحٍ   فَيُلْقِ عَصَا التَّسْيَارِ بَلْ يُولِهَا كَسْرَا
لَعَلَّ أبَا الْعَبَّاسِ يَرْعَى مَوَدَّتي   فَيُبْدِلُ حَالي إنْ يَشَا بِهَا يُسْرَا
فَذَاكَ الَّذي رَبَّى وَهَذَّبَ وَاصْطَفَى   وَأسْدَى أيَادِي دُرُّهَا قَلَّدَ النَّحْرَا
وَلَوْلاَ أبُو الْعَبَّاسِ هَزَّ قَرِيحَتي   لَمَا نَثَرَتْ نَثْرًا وَلاَ شَعَرَتْ شِعْرَا
فَلاَ زَالَ صَدْرًا في الْمَعَالي مُقَدَّمًا   نَضُمّ عَلَى عَلْيَاهُ منْ حُبِّهِ الصَّدْرَا
وَدَامَ سَعِيدَ الْعَيْشِ وَالْحَالِ كُلَّمَا   تَألَّقَ غَرْبِيٌّ (6) يُذَكِّرُني الْخَضْرَا

5) النفس : نسيم الهواء .
6) غربي : أي كلما تألق البرق من جهة الغرب لان الشاعر مقيم بباجة وهي غربي القطر .

— 16 —

وقال رحمه الله تعالى مقرظاً موشح لسان الدولة المذكور الذي عارض به موشح ابن سهل وتشوق به إلى تونس مدة سفره :

[الرمل]

ما لمشتاق مَقَرّ كُلَّمَا
سَلَّ سَيْفَ الْبَرْقِ غِمْدُ الْحِنْدِسِ
أضْرَمَ الْوَجْدَ لَهُ فَاضْطَرَمَا
حِينَ حَيَّاهُ الصَّبَا عَنْ تُونُس

بَيْت

حَبَّذَا الدّنيا وَفِرْدَوْسُ النُّفُوس
وَمُنَى كُلِّ أَدِيبٍ وَأَرِيبْ
تَتَجَلَّى فِي حُلاَهَا كَالْعَرُوس
حِينَ تَبْدُو مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيب
صَانَهَا «بَارِئُهَا» مِنْ كُلِّ بُؤْسْ
وَكَفَاهَا كُلَّ مَعْيَانٍ مُرِيب

طَالِع

وَسَقَاهَا وَرَعَاهَا وَحَمَى
وَكَسَاهَا حُلَلاً مِنْ سُنْدُسِ
بَلْدَةٌ أضْحَتْ لِخِلاّنِي حِمَى
وَنَدَامَايَ حَيَاةَ الأَنْفُسِ

بَيْت

حَفِظَ اللهُ حَبِيباً لِي بِهَا
وَهُوَ فِي النَّاظِرِ بَلْ فِي الْخَلَدِ
صِيغَ مِنْ لُطْفٍ وَظَرْفٍ وَبَهَا
فَبَرَى صَبْرِي وَأَبْلَى جَسَدِي
حَسْب نَفْسِي فِي الْهَوَى مِنْ حُبِّهَا
يُلْفى فِي الحُبِّ الَّتِي مَقْعَد (1)

طَالِع

حَبَّذَا جَمْعِي بِهِ إِذ نُظِمَ
وَهُوَ وُسْطَى عِقْدِ ذَاكَ الْمَجْلِسِ
ثَغْرُهُ كَأْسِي وَخَمْرِي مِنْ لَمَى
قَرْقَفِيٌّ ، عَنْبَرِي اللَّعَس (2)

بَيْت

فِي لَيَالٍ أَسْرَجَتْ كُمْتَ (3) الْعُقَارْ
وَسَطَتْ فِي كُلِّ أُنْسٍ بِخَمِيس (4)
وَنَدَامَى قَدْ نَضَوْا (5) ثَوْبَ الْوَقَارْ
وَجَرَوْا طَلْقاً لِمَا تَهْوَى النُّفُوس
وَرَبَابٌ حَفَّهُ عُودٌ وَطَارْ
حَوْلَ مُلْهٍ (6) وَمُغَنٍّ وَأَنِيس

---

1) العجز لا يستقيم من فرط ما أصابه من التشويه .
2) «اللعس» : سواد في الشفة مستحسن ، فهو ألعس وهي لعساء ، ج. : لعس ، وشبه هذا اللعس بالعنبر لانه في لونه .
3) «كمت» : يقال : كمت الثوب ، أي صبغة بلون الحمرة في سواد ، وهو لون الخمر . ويقال للفرس الاحمر في سواد : كميت ، ومعنى كلام الشاعر : في ليال مقمرة منيرة تجلى فيها لون العقار (الخمر) .
4) «بخميس» : يقصد الشاعر خميس المغني .
5) «نضوا» خلعوا ثياب الحياء .
6) «مله» الذي يلهي الناس ويزهيهم .

طَالِع

كَيْفَ حَالي في ارْتحَالي بَعْدمَا
فَارَقَتْ نَفْسي عَدِيلَ النَّفَسِ
هَبْ عَلَيْهِمْ لِي سُلُوّاً رُبَّمَا
كَيْفَ صَبْرِي عَنْ كَرِيمِ الْمَغْرِس

بَيْت

كَاتبُ الْمَغْرِب مِنْ غَيْرِ خِلاَفْ
وَلسَانُ الدَّوْلَة الصَّلْت (7) الْفَصِيحْ
ذو بَيَانٍ قَدْ سَرَى سَرْيَ السُّلاَفْ
فَاسْتَكَانَ الصَّعْبُ وَانْقَادَ الْجَمُوح
أَحْمَدُ الفَاضِل [أعْني ابنَ](8) الضَّيِّفْ
الوَزِيرُ الشَّهْمُ ذُو الضِّنِّ (9) الصَّرِيح

طَالِع

غُرَّةٌ في دَهْرِنَا قَدْ نَجَمَا
فَانْثَنَى مِثْلَ نَهَارٍ مُشْمِسِ
مَا لسَانُ الدِّينِ (10) يَرْمِي عَارِمَا
يَا زَمَانَ الْوَصْل بالأنْدَلُس

بَيْت

حُجَّةُ الْعَصْرِ وَبُرْهَانُ الْبِلاَدْ
الْمَجَارِي في عُلاَهُ النَّيِّرَيْن

7) «الصلت» : الشجاع الماضي في الحوائج .
8) فراغ بالاصل .
9) ذو الضن : ذو الاصل الصافي الخالص من كل ما يشين .
10) إشارة الى الوزير والاديب الاندلسي لسان الدين ابن الخطيب ، صاحب الموشح المأثور الذي طالعه :
جادك الغيث همي يا زمان الوصل بالاندلس

مُرْتَدِي الْفَخْرِ طَرِيفٍ وَتِلاَدْ
مُحْرِزُ الْمَجْدِ وَسَامي الزِّينَتَيْن (11)
بمَعَانٍ قَصُرَتْ عَنْهَا الأعَادْ
أيْنَ مَنْ يَحْكي أبَا الْعَبَّاس أيْن

طَالِع

خَصَّني بالْقُرْبِ لَمَّا عَمَّمَا
بأيَادٍ أنْطَقَتْ مِنْ خَرَس
وَتَوَلَّى كَاسِدي حَتَّى سَمَا
سُوقُهُ بَيْنَ الْجَوَاري الْكُنَّس

بَيْت

هَاكَهَا عَذْرَاءَ يَاسَامي الْفَخَارْ
حَلْيُهَا وِدٌّ وَشُكْرٌ وَخَجَلْ
مِنْ مُحِبٍّ صَادِقٍ نَائي الْمَزَارْ
كَاسِفِ الْبَالِ خَلِيِّ عَنْ جَذَلْ
قَرَّظَتْ قَوْلَكَ في تِلْكَ الدِّيَار
عِنْدَمَا سَارَ بهَا سَيْرَ الْمَثَلْ

طَالِع

تُونِسُ الأنْسِ لَهَا شَوْقي نَمَا
نُزْهَةُ النَّفْسِ وَرَوْحُ النَّفَسِ
أهْلُهَا أضْحَوْا نُجُوماً في سَمَا
سَطَعَتْ منْهُمْ بعِقْدِ أنْفُسِ

11) «الزينتين» : يعني سامي الناحيتين من الاب والام .

— 17 —

وقال يرثي لسان الدولة المذكور رحمهما الله تعالى :

[الوافر]

هُوَ النَّبَأُ الْعَظِيمُ فَمَنْ يُحَامِي
وَقَدْ أَوْدَى بَنُو سَامٍ (1) وَحَامِ
تُصِيبُ سِهَامُهُ الصَّدْرَ الْمُعَلَّى
فَتَقْذِفُهُ إِلَى تَحْتَ الرِّجَامِ(2)
كَهَذَا الْعَالِمِ الْعَلَمِ الْمُفَدَّى
إِمَامِ أُولِي الْبَلاَغَةِ وَالْكَلاَمِ
أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ مَنْ تَسَامَى
وَنَادَى فَضْلُهُ هَلْ مِنْ مُسَامِي
سَلِيلُ أَبِي الضِّيَافِ وَسَارَ ضَيْفاً
إِلَى دَارِ الْكَرَامَةِ وَالْكِرَامِ
وَخَلَّدَ مِنْ مَحَاسِنِهِ رِيَاضاً
ثَوَتْ فِي طِرْسِهَا ذَاتَ ابْتِسَامِ
وَبَاهَى بِالْيَرَاعِ حَدِيدَ عَضْبٍ
وَصَمْصَامٍ وَهِنْدِي حُسَامِ

1) «سام» : أحد بني نوح وهو أبو العرب ، وحام : أحد بني نوح وهو أبو السودان .
2) «الرجام» : جمع ، مفرده رُجمة وهي الحجر الذي يجعل فوق القبر كعلامة .

إذا أَجْرَاهُ فِي رَقٍّ (3) أَقَرَّتْ
لَهُ بِالرِّقِّ (4) أَلْسِنَةُ الأَنَامِ
وَمَهْمَا قَالَ فِي دَسْتٍ خِطَاباً
فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ
وَإِنْ نَثَرَ الْجَوَاهِرَ فِي نَدِيٍّ
تَرَ الْعِقْدَ الْفَرِيدَ مِنَ النِّظَامِ
حَوَى مَا شَاءَ مِنْ عِزٍّ وَلَمَّا
دَرَى أَنَّ الْمَصِيرَ إِلَى الْحِمَامِ
رَمَى بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا وَأَلْقَى
بِزَهْرَتِهَا إِلَى وَجْهِ الرِّغَامِ
وَسَارَ مَسِيرَ قُرْآنٍ وَذِكْرٍ
وَزُهْدٍ مَا تَدَنَّسَ بِالأَثَامِ
وَتَاقَ إِلَى اللِّقَا فَأَتَاهُ آتٍ
وَسَارَ بِهِ إِلَى دَارِ الْمُقَامِ
فَأَكْرِمْ نُزْلَهُ يَا رَبِّ وَأَحْسِنْ
كَمَا أَلْهَمْتَهُ حُسْنَ الْخِتَامِ
وَحَقِّقْ لِلْمُؤَرِّخِ قَالَ صِدْقٍ :
أَبُو الْعَبَّاسِ فِي دَارِ السَّلاَمِ
[.............................. 1291 ....]

3) «في رق» : الجلد الرقيق يكتب فيه .
4) «بالرق» العبودية .

وقال أيضاً رحمه الله مخاطباً الوزير الأكبر مصطفى خزندار :

أما بعد تقديم سلام يعلن بالتهنئة لسانه ، ويتأرج بالفرج عرفه وإحسانه ، وثناء يقدمه بين يدي نجواه حين تقوده للوفاء بشكر إنْعاميكُمْ أرسانه ، فإن رقيق اياديكم ، الطويل حنينه لمجلسكم السامي وناديكم ، الشاكر فضلكم المقبّل أياديكم ، عَقَلَ المرض – عافاكم الله – رِجْلَهُ ، وأوجف عليه خيله ورجله ، وكف عن الحضرة السامية خطوه وحجله ، وشق عليه أن لا يعمل في الهنَا بهذا اليوم لسانه ولا سجله ، فتطفل على تهنئة السيادة ، جرياً على ما سبقت به العادة ، مما تهديه العبيد للسّادة ، والعذر عند التقصير ، أوضح من رضوى وثبير(1) :

[الكامل]

يَسْقيكَ مِنْ مُزْنِ (2) الْحَيَا الْقَطَّارِ
يَا تُونُسٌ يَا جَنَّةَ الأَقْطَارِ

★ قدم الشاعر المسعودي هذا القصيد للوزير الاكبر مصطفى خزندار في عهد الدولة الصادقية تهنئة بالعيد وقد جعل طالعها الفقرات النثرية المتقدمة على القصيد .

والوزير مصطفى خزنه دار جُلب شابا من تركيا الى تونس فأخذه أحمد باي وتولى تربيته . ثم صاهره على أصغر بناته.. وولاه وظيفة خزنه دار ، ثم تدرج في الوظائف السامية إلى أن قلد الوزارة الكبرى التي استمر فيها نحو الخمس والثلاثين عاما متابعة في عهد كل من أحمد ومحمد والصادق إلى أن عزله منها هذا الاخير سنة 1290 ، وذلك بعد اندلاع ثورة علي بن غذاهم الذي طالب بإبطال الاداء الجديد الذي سنه هذا الوزير وبعزله من خطته . وبعدما اكتشفت اللجنة المالية العبث الفظيع الذي مارسه هذا الموظف الكبير في أموال الدولة ومكاسبها .

«وبالرغم مما آل اليه أمر هذا الوزير فقد كان يتطلع الى الرجوع لمنصبه بعد ولاية صهره المصلح الكبير خير الدين باشا الوزارة الكبرى ، فقد كان يواصل تعاونه مع مصطفى بن إسماعيل لحبك المؤامرات والدس والتحريش بخير الدين ، هذا بغية زحزحته عن الحكم مع أن خير الدين كان ممن قدم له العون وأبان له الوفاء عند حلول النكبة التي كادت تؤدي به الى الهلاك في ذلك العصر» . (ابن أبي ضياف وصفوة الاعتبار لبيرم الخامس) .

1) رضوى وثبير : جبلان مشهوران بجزيرة العرب .
2) المزن : المطر .

يَا كَعْبَةَ الأَفْرَاحِ يَا رَوْضَ الرِّضَى
يَا زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَطِيبَ الدَّارِ
أَكْرِمْ بِهَا مِنْ مَنْزِلٍ وَمَحَلَّةٍ
فِيهِ تَجَمَّعُ جُمْلَةُ الأَوْطَارِ
وَتَحُلُّ مِنْ أَرْضٍ إِذَا مَا زُرْتَهَا
تَحْظَى بِمَا فِي السِّرِّ وَالإِظْهَارِ
وَإِذَا أَرَدْتَ الْمَكْرُمَاتِ وَأَهْلَهَا
فَاقْصِدْ مَقَامَ مُبَلِّغِ الأَوْطَارِ
السَّيِّدِ الأَسْمَى الْمُقَرَّبِ مُصْطَفَى
كَنْزِ السَّلاَطِينِ وَخَازِنْدَارِ
صَدْرِ الوِزَارَةِ كَهْفُهَا وَعَمِيدُهَا
طَوْدُ الوَقَارِ وَفَجْرُ الاسْتِبْشَارِ
ذُو الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ الأَسَدِّ وَهِمَّةٍ
وَمَحَاسِنٍ تَعْلُو عَلَى الأَقْمَارِ
كَالسَّيْفِ يَحْسُنُ مَنْظَرًا أَوْ مَخْبَرًا
مِنْ صَقْلِهِ أَوْ حَدِّهِ الْبَتَّارِ
وَتَرَاهُ مِثْلَ الرَّوْضِ بَاكَرَهُ الْحَيَا
فَغَدَا يَنِمُّ بِنَفْحَةِ الأَزْهَارِ
قُلْ لِلْمُحَاوِلِ شَأْوَهُ(3) أَقْصِرْ فَمَا
تَسْطِيعُ شَأْوَ غَضَنْفَرٍ هَصَّارِ
وَلِمَنْ يُرَنِّمُ شِعْرَهُ بِمَدِيحِهِ
وَيَرُومُ حَصْرَ عُلاَهُ بِالأَشْعَارِ

3) «شأوه» : يقال فلان بعيد الشأو ، أي عالي الهمة .

أنْتَ المُحَاوِلُ حَصْرَ قُطْرِ البَحْرِ أو
عَدَّ النّجُومِ لَدى الظّلاَمِ السَّارِي
يَا سَيِّدًا فَرِحَ الزَّمَانُ بِلُبْسِهِ
لِلْحُلَّةِ المَيْمُونَةِ المِعْطَارِ
وحَلَلْتَ مِنْ خَلَدِ المُشيرِ بِمَنْزِلٍ
سَامِي المَكَانَةِ شَامِخِ المِقْدَارِ
ظِلُّ الإلَهِ وَعُمْدَةُ الدَّارَيْنِ مَنْ
تُغْنِي عَطَايَاهُ عَنِ الأمْطَارِ
السَّيِّدُ البَاشَا المُعَظَّمُ أحْمَدٌ
تَاجُ الخِلاَفَةِ خَالِدُ الآثَارِ
حَامِي حِمَى الإسْلاَمِ مُنْجِدُ أهْلِهِ
مَنْ مَجْدُهُ بَاقٍ عَلَى الأعْصَارِ
قَدْ فَاتَنِي سِرُّ الشُّهُودِ بِمَوْعِدٍ
وَافَاكَ بِالبُشْرَى عَلَى مِقْدَارِ
فَأتَيْتُ مِنْ فَرَحِي وَشَوْقِي غَادَةً
تُبْدِي لَكَ المَشْهُودَ مِنْ أعْذَارِي
مِنْ خَاطِرٍ مُضْنًى وَحُقَّ لِمَنْ نَأى
عَنْكُمْ يُصَابُ بِظُلْمَةِ الأفْكَارِ
إذْ أنْتَ شَمْسِي في الزَّمَانِ وَعُمْدَتِي
وَمَحَلُّ آمَالِي وَقُطْبُ مَدَارِي
فَالله يَحْفَظُ عِزَّكُمْ وَيُمِدُّكُمْ
بِالسَّعْدِ في الإيرَادِ وَالإصْدَارِ
وَيُدِيمُ مَجْدَكُمْ وَيُعْلِي قَدْرَكُمْ
وَيُطِيلُ أنْسَكَ في أجَلِّ قَرَارِ

بِمُحَمَّدٍ وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِهِ
وَبِأهْلِ هِجْرَتِهِ مَعَ الأنْصَارِ

— 19 —

وقال رحمه الله مهنئا المشير الثاني محمد باي حين قدم عسكر الساحل الذين أرسلهم أحمد باي إلى دار الخلافة العظمى باسلانبول على عهد السلطان عبد الحميد ★ :

[الكامل]

يَا سَعْدُ أعْلِنْ بِالهَنَاءِ وَرَدِّدِ
قَدْ سُرَّ دِينُ مُحَمَّدٍ بِمُحَمَّدِ
وَتَسَاوَتِ البُشْرَى به فجَميعُهَا يَرْوِي مَحَاسِنَهُ صَحِيحَ المُسْنَدِ
وَاهْتَزَّتِ الخَضْرَا وَأشْرَقَ نُورُهَا
وَبَدَتْ بَشَاشَتُهَا لِعَيْنِ المُهْتَدِي
أوَ مَا تَرَى الأفْرَاحَ عَمَّ (1) بِلاَدَهَا
وَمَلاَ (1) ضَوَاحِيهَا بِهَذَا السَّيِّدِ
العَادِلِ السَّمْحِ العَطُوفِ المُرْتَضَى
مِنْ عِتْرَةٍ شُهِرَتْ بِطِيبِ المَحْتِدِ
وَرِثُوا السِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
إرْثًا بِغَيْرِ تَغَلُّبٍ وَتَمَرُّدِ

★ تقدم الشاعر الباجي المسعودي بهذا القصيد للامير محمد بن حسين باي تونس ، ذلك أنه بعد أن أبرم الصلح بين تركيا والروس في 18 أفريل 1856 رجعت العساكر التونسية التي كان بعث بها الامير أحمد باي أولا في سنة 1854 والامير محمد باي ثانيا في 28 جوان 1855 للدولة العلية مساعدة لها في حرب القرم في عهد السلطان عبد الحميد ، ووصلت الى شاطيء المرسى المراكب التونسية مع مراكب عثمانية في 1 ذي الحجة 1272 / 3 أوت 1856 محملة بالجنود بقيادة مبعوث الدولة أمير العسكر رشيد بن مصطفى صاحب الطابع واحتفل الباي بمقدم الجند وأكرم وفادته (ابن أبي الضياف) .

1) الصحيح : (عمت) و (ملات) ولكن الشاعر حذف التاء للضرورة .

حَتَّى أتَتْكَ وَقَلْبُهَا لَكَ شَيِّقٌ

تَطْوي الْمَرَاحِلَ فَدْفَدًا في فَدْفَدِ

فَوَسِعْتَهَا بِرًّا وَقُمْتَ بِحَمْلِهَا

وَأَخَذْتَ رَايَتَهَا وَأَلْقَتْ بِالْيَدِ

وَتَسَارَعَ الْكُبَرَاءُ نَحْوَكَ خُضَّعًا

فَرَحًا بِمطلعك البهيّ الأسعدِ

مِنْ عَالِمٍ عَلَمٍ وَقَائِدِ عَسْكَرٍ وَرَئِيس نَاحِيَةٍ وَمَالك مقْوَدَ

يَفْدُونَ نَعْلَكَ بِالنُّفُوس وَيَجْعَلُوا

آثَارَهَا كُحُلاً مَكَانَ الإثْمَدِ

فَلَقِيتَهُمْ مَلْقَى الْكَرِيم لِضَيْفِه

وَضَمَمْتَهُمْ ضَمَّ الْكَمي (2) لِمُهَنَّدِ

وَتَأكَّدَتْ لَكَ في الْقُلُوب مَحَبَّةٌ

وَمَهَابَةٌ زَادَتْ بِذَاكَ الْمَشْهَدِ

وَصَرَفْتَ عَزْمَكَ في اقْتِنَاص قُلُوبِهم

لا في الرِّقَاب بِنُهْبَةٍ لِلْمُجْتَدي

وَشَرَعْتَ في غَزْو الْعَدُوِّ بِجَحْفَلٍ

يَخْتَالُ مَا بَيْنَ الْقَنَا الْمُتَأوِّدِ

بَاعُوا النُّفُوسَ إلَى الإلَهِ بِجَنَّةٍ

وَعَدَ (3) الكتَابُ بِهَا كَأخْذٍ بِالْيَدِ

رَكِبُوا بِعَزْمَتِكَ الْفِجَاجَ وَأَمَّلُوا

نَصْرًا وَفَتْحاً عَاجِلاً وَكَأنْ قَدِ

2) «الكمي» : مخفف من الكمي وهو الشجاع المدجج بالسلاح لانه يكمي نفسه ، أي يكتمها ، وجمعه كماة .

3) «وعد» : يعني أن الله وعد الذين يجاهدون لإعلاء كلمة الله الجنة ، وهو يشير الى الآية الكريمة (111) من سورة «التوبة» «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن» .

يَا مَعْشَرَ الاسْلاَم وَالنَّفَرُ الألَى

شُهِرُوا بِإِحْرَازِ الْعُلَى والسُّؤْدَدِ

إنْ تَنْصُرُوا الله ابْشِرُوا فَبِنَصْرِكُمْ

وَعَدَ الإلَهُ وَهَلْ كَهَذَا الْمَوْعِدِ

وَخَلَفْتَهُمْ بِالرِّفْق في أوْطَانِهِمْ

وَحَسَمْتَ شَأْفَةَ كُلِّ بَاغٍ مُعْتَدِ

وَأفَضْتَ عَدْلَكَ في سِجَال رَجَائِهِمْ

حَتَّى تَرَوَّى كُلُّ ذي قَلْبٍ صَدي

وَمَلَكْتَ رِقَّهُمُ بِحُسْن سَرِيرَةٍ

مَعْ سِيرَةٍ دَاوَتْ فُؤَادَ الْمُكْمَدِ

وَتَوَجَّهُوا بِقُلُوبِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ

مِنْ رُكَّعٍ في الْعَالَمِينَ وَسُجَّدِ

يَرْجُونَ خُلْدَكَ آمناً في عِزَّةٍ

طَلْقَ الْمُحَيَّا بَالِغاً مَا تَقْصُدُ

فَابْشِرْ أميرَ الْمُؤْمنينَ بِبَيْعَةٍ

سَرَّتْ وَحَقِّكَ قَلْبَ كُلِّ مُوَحِّدِ

وَاسْلَمْ لَنَا وَلأُمَّةٍ مَا إنْ لهَا

أمَلٌ سِوَى أنْ تَسْتَمِرَّ وَتَخْلُدَ

يَا أيُّهَا الْمَلِكُ الْمُشِيرُ وَمَنْ بِه

أسْمُو وَإنْ [رُغِمَتْ بِذَلكَ] حُسَّدي(4)

يَا فَارسَ الْهَيْجَا وَمِصْبَاحَ الدُّجَى

وَالْقَانِتُ الْمُتَبَتِّلُ الْمُتَهَجِّدُ

يَا دُرَّةَ السِّمْط الْحُسَيْني يَا سَنَا

مِشْكَاتِهِمْ يَا ذَا الْعُلاَ الْمُتَجَدِّدِ

4) بياض بالاصل وقع تلافيه .

هَذِي نَتِيجَةُ خَاطِرٍ بَزَغَتْ لَكُمْ

يَوْمَ الْهَنَا مِنْ خَادِمٍ مُتَرَدِّدِ

وَهَدِيَّةٍ مِنْ كَاتِبٍ قَدْ غَالَهُ

كَتْبُ الْمَشِيبِ بِأَبْيَضٍ فِي أَسْوَدِ

تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَا وَحُقَّ لِمِثْلِهَا

نَيْلُ الْمَرَامِ لِمُرْتَجٍ عَنْ سَيِّدِ

تَرْجُو الْقَبُولَ وَأَنْتُمُ أَهْلٌ لَهُ

وَأَعَزَّ مَا تَرْجُوهُ تَقْبِيلُ الْيَدِ

فَأَقُولُ يَا بُشْرَايَ فُزْتُ بِمَطْلَبِي

وَأَصِيحُ وَاطَرَبَا ظَفِرْتُ بِمَقْصِدِي

لاَ زِلْتَ فِي عِزٍّ وَسَعْدٍ دَائِمٍ

تَحْظَى بِمَا تَرْجُو بِيَوْمِكَ وَالْغَدِ

بِمُحَمَّدٍ وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِهِ

وَبِقُطْبِهِ الْمَكْتُومِ شَيْخِكَ أَحْمَدِ

— 20 —

وقال رحمهُ الله مؤرخاً بناء باب قشلة الطبجية (1) وكتب على الباب الأصلي :

[الطويل]

بِنَاءٌ أَنِيقٌ أَيْنَ، أَيْنَ مُقَارِبُهُ

تَمَامٌ عَلَى مَا كَانَ أَحْسَنَ صَاحِبُهُ

1) قشلة الطبجية هي قشلة القنديل الكائنة خارج باب الخضراء وهي من منشآت الامير أحمد باي سنة 1840 م. وفي عهد الدولة الصادقية أعيد ترميمها سنة 1283 هـ. وللشاعر قصيد أخر في نفس الغرض .

وَحِصْنٌ لِهَذِي الأَحْمَدِيَّةِ مَانِعٌ

أَتَى بَابُهُ مِنْ حُسْنِهِ مَا يُنَاسِبُهُ

وَعُدَّةُ حَرْبٍ فِي خَزَائِنِ عُدَّةٍ

تَبَدَّتْ كَمَا قَدْ نَظَّمَ الْعِقْدَ صَاحِبُهُ

حَبَا الصَّادِقُ الْبَاشَا الْمُشِيرُ جُنُودَهُ

بِمَا زَادَهُ فِيهَا وَزَادَتْ مَنَاقِبُهُ

لَئِنْ فَاتَهُ تَأْسِيسُهَا إِنَّ هَذِهِ

خَبَايَا زَمَانٍ وَهْيَ إِحْدَى عَجَائِبِهِ (2)

وَأَلْهَمَهَا الْمَوْلَى الْكَرِيمُ كَرَامَةً

لِهِمَّةِ قَرْمٍ لِلْمَعَالِي تُجَاذِبُهْ (3)

وَكَانَتْ كَمِثْلِ الْعِقْدِ حُسْناً وَهَذِهِ

كَدُرَّتِهِ الْغَرَّا فَتَمَّ تَنَاسُبُهْ

فَقُلْ رَبِّ أَيِّدْ سَعْيَهُ بِإِعَانَةٍ

تُسَرُّ بِهَا أَجْنَادُهُ وَكَتَائِبُهْ

وَأَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ لِأُمَّةٍ

تُنَاجِي بِهَذَا رَبَّهَا وَتُخَاطِبُهْ

وَلَمَّا بَدَا مَا تَمَّ مِنْ حُسْنِ نَظْمِهِ

وَحَازَ الْعُلَى مَبْدَاهُ ثُمَّ عَوَاقِبُهْ

أَتَى فِيهِ قَوْلٌ لِلْمُؤَرِّخِ بَيِّنٌ

أُتِمَّ (4) بِإِسْعَادٍ وَنَصْرٍ يُصَاحِبُهْ

2) لم يتمالك المسعودي هنا أيضا من الوقوع في الاقواء وذلك بكسره حرف الروىء من «عجائبه» وهو مضموم في سائر القصيد .

3) القرم : هو السيد العظيم .

4) يتضمن العجز تاريخا أبجديا إيضاحه كما يلي (921) وهو لا يتفق مع الواقع .

— 21 —

وقال رحمه الله تعالى في ذلك وكتب على الباب الذي أحدثه المشير محمد الصادق باشا باي★:

[الرمل]

قف وَشَاهِدْ وَاعتبرْ هَذه المَزِيَّه

وَتَأمَّلْ في المَعَالي الصَّادقيَّه

وَارْجِع الطَّرْفَ فَهَذي قَلْعَةٌ

كَادَ يُطْوى ذِكْرُهَا عِنْدَ البَرِيَّه

خَطَّهَا البَاشَا المُشِيرُ أحْمَدٌ

وَسَعَى حِيناً وَغَالَتْهُ المنيَّه

فَاعْتَنَى ذُو العَزْم وَالحَزْم بِهَا

صَاحِبُ الهِمَّة وَالنَّفْس الأبِيَّه

المُشِيرُ الصَّادقُ المَوْلى الذي

عَمَرَ القُطْرَ بأجْنَادٍ قَوِيَّه

وَقِلاعٍ وَأسَاطِيلَ بِهَا

مِنْ أسُودٍ لَيْسَ تَرْضَى بالدَّنِيَّه

هِمَّةٌ قَدْ خَيَّمَتْ فَوْقَ السَّمَا

صَانَهَا الرَّحْمَانُ مِنْ كُلِّ بَلِيَّه

وَحَمَى الله تَعَالَى مُلْكَهُ

وَحُمَاةَ المُلْك مَعْ بَاقِي الرَّعِيَّه

وَحَبَاهُ العَوْنَ في مَقْصِدِه

بِهِبَاتٍ مِنْ عَطَايَاهُ السَّنِيَّه

بَرُعَتْ حُسْناً لِذَا أرّخْتُهَا :

بَرعَتْ بالقَيْرَوَان (1) الصَّادقيَّه

[..................1283..................]

— 22 —

وقال رحمه الله مؤرخا بناء الجسر الذي أحدثه المشير الصادق باي بوادي الزرقاء ورسم هذا التاريخ على الجهة اليمنى :

[الطويل]

مآثرُ جلَّتْ لا تُقَيَّدُ بالحصر تجلّت بإفريقية عند ذا العصر

فتَاهَ بها واهتزّ شكرا مُقيمُهَا وباهى بهَا سُكَّانُهَا كل ذي مصر

حَبَانَا به شَهْمٌ أبيّ سمَيْذَعٌ يَرَى هِمَّةَ الأمْلاكِ في خَالد الذكر

هُوَ الصادق الباشا المُشيرُ مُحَمَّدٌ أخُو الحَسَنَات الشَّفْع وَالسُّؤْدَد الوَتْر

★ دبج الشاعر هذا القصيد بمناسبة إنهاء ترميم قشلة الطبجية سنة 1283 ، ولقد بنى أحمد باي هذه القشلة بالمحل المعروف بالقنديل في الفدان بضواحي الحاضرة في شهر فيفري 1840 . وأصلها قصر نزهة لاسماعيل باي عم والد الامير أحمد باي ، وزاد فيها حتى صيرها تسع 4000 جندي من الطبجية بمدافعهم وخزائنهم وخيولهم ، وجعل بها دار صناعة لانشاء السلاح وضروريات المدافع وأحكم بها خزنة للمهمات ولوازم الحرب ، وهو المولع بالجند وبكثرته في البلاد دون مراعاة للاقتصاد القومي . ومعظم عسكر هذه القشلة من جند الترك الذي أمر عليهم محظوظه إبراهيم التركي من كبراء عسكر الساحل . وفي عهد الدولة الصادقية أعيد ترميمها وإصلاحها وتم ذلك في سنة 1283 .

1) القيروان هو معظم الكتيبة . وأطلقت كلمة القيروان على أول مدينة عربية أسست في نصف القرن الأول من الهجرة بالوسط التونسي . وهو المكان الذي اختاره عقبة بن نافع ليكون قلعة للجيش وحصنا للمسلمين . ولفظة «القيروان» دخيلة في العربية .

كَأَمْثَالِ هَذَا الْجِسْرِ حُسْناً وَبَهْجَةً
وَإِحْكَامِ رَصْفٍ لاَ يَبِيدُ عَلَى الدَّهْرِ

تَجَلَّى بِهِ الْوَادِي وَجَاءَ كَأَنَّهُ
سِوَارٌ بِزَنْدٍ أَوْ نِطَاقٌ عَلَى خِصْرِ

يَمُرُّ عَلَيْهِ الْمَرْءُ جَذْلاَنَ آمِناً
وَقَدْ كَانَ مِنْ تَيَّارِهِ دَائِمَ الذُّعْرِ

فَيَا وَادِي الزَّرْقَاءِ سِرْ تَحْتَ أَمْرِهِ
رُوَيْداً كَمَا قَدْ مَرَّ غَيْرُكَ مِنْ نَهْرِ

أَطِعْ سَاجِداً شُكْراً مُنِيباً مُسَبِّحاً
بِحَصْبَاءَ تُزْرِي بِالنَّفِيسِ مِنَ الدُّرِّ

وَيَا أَيُّهَا الْمُجْتَازُ قُلْ : رَبِّ جَازِهِ
بِأَجْزَلِ مَا تُهْدِي مِنَ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ

وَصُنْ أَهْلَهُ وَاحْرُسْ أُسُودَ جُنُودِهِ
وَعَسْكَرَهُ الْجَرَّارَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وَحُطْهُ لِهَذَا الْقُطْرِ يُحْيِي رُسُومَهُ
وَآثَارُهُ تَاجٌ عَلَى هَامَةِ الْفَخْرِ

وَقُلْ عِنْدَمَا أَبْدَى بَدِيعَ تَمَامِهِ
وَحَازَ الْبَهَا أَرِّخْهُ : حُزْ وَاجِبَ الفخر (1)

[........1278.......]

1) «حز واجب الفخر» يقابل حسب تقديرنا سنة (1278 هـ.) .

— 23 —

وقال رحمه الله وكتب على الجهة اليسرى من الجسر (*) :

[الطويل]

مَآثِرُ جَلَّتْ لاَ تُقَيَّدُ بِالْعَدِّ
تَجَلَّتْ بِإِفْرِيقِيَّةٍ عِنْدَ ذَا الْعَهْدِ

فَتَاهَ بِهَا وَاهْتَزَّ شُكْراً مُقِيمُهَا
وَبَاهَى بِهَا سُكَّانُهَا قَاصِيَ الْوَفْدِ

حَبَانَا بِهَا شَهْمٌ أَبِيٌّ سَمَيْذَعٌ
يَرَى هِمَّةَ الأَمْلاَكِ فِي خَالِدِ الْحَمْدِ

هُوَ الصَّادِقُ الْبَاشَا الْمُشِيرُ مُحَمَّدٌ
أَخُو الْحَسَنَاتِ الشَّفْعِ وَالسُّؤْدَدِ الْفَرْدِ

كَأَمْثَالِ هَذَا الْجِسْرِ حُسْناً وَبَهْجَةً
وَإِحْكَامِ رَصْفٍ لاَ يَبِيدُ مَدَى الْخُلْدِ

تَجَلَّى بِهِ الْوَادِي وَجَاءَ كَأَنَّهُ
نِطَاقٌ بِخِصْرٍ أَوْ سِوَارٌ عَلَى زَنْدِ

يَمُرُّ عَلَيْهِ الْمَرْءُ جَذْلاَنَ آمِناً
وَقَدْ كَانَ مِنْ تَيَّارِهِ دَائِمَ الْكَدِّ

فَيَا وَادِيَ الزَّرْقَاءِ سِرْ تَحْتَ أَمْرِهِ
رُوَيْداً كَمَا قَدْ مَرَّ غَيْرُكَ من بعد

★ نقش هذا القصيد على رخامة شدت بحائط الجهة اليسرى من الجسر الكائن بمدخل مجاز الباب . وشدت القصيدة الرائية التي نظمها الشاعر في نفس الموضوع بالجهة اليمنى من ذلك الجسر .

أطعْ ساجداً شُكْراً مُنيباً مُسَبِّحاً
بحَضْباءَ تُزْري بالنَّفيس منَ العِقْد
وَيا أيُّها المُجْتازُ قُلْ رَبِّ جازه
بأجْزَل ما تُهْدي منَ العزِّ والسَّعْد
وَصُنْ مُلْكَهُ واحْرُسْ أسُودَ جُنُودِه
وَعَسْكَرَهُ الجَرّارَ في الغَوْر والنَّجْد
وَحُطْهُ لهَذا القُطْر يُحْيي رُسُومه
وَآثارُهُ تاجٌ عَلَى هامَة المَجْد
تَمامٌ كَبَدْءٍ حازَ حَمْداً مُؤرِّخاً :
كَبَدْءٍ أتَمَّ الصّادقُ الجِسْرَ بالحَمْدِ

[... ... ... 1283 ... ...]

— 24 —

تهنئة الصادق باي بإتمام بناء القصر السعيد (1) :

[الوافر]

بيُمْنكَ تُمَّ القَصرُ السَّعيدُ
وَجاءَ كَمَا تَشاءُ وَمَا تُريدُ
يَتيهُ عَلَى القُصُور بحُسْن فَال
يَكُونُ تَمامُهُ مُلْكٌ مَديدُ
يُسَرُّ لَهُ المُؤازرُ والمُوالي
وَيُبْهَرُ عندَ رُؤيَته الحَسُود
كَساهُ جَلالُكَ المَعْرُوفُ بَدْراً
فَأشْرَقَ مَنْزِلٌ وَاخْضَرَّ عُودُ

1) هو قصر من قصور الملوك الحسينيين بين باردو ومنوبة بالحاضرة التونسية .

وَكانَ السَّرْوُ يَكْنُفُهُ فَلَمَّا
رَأى عَلْياكَ حُقَّ لهُ السّجودُ
وَأصْبَحَ وَالسّرُورُ لَهُ سِوارٌ
وَمَا الدّرّ النَّظيم ومَا العُقُودُ
وَمَا للرونَق المَلَكي شِبْهٌ
فَتُشْبِهُهُ المَوالي وَالعَبيدُ
أبا لزّهْراء (2) أمْ بالشّهْب (3) هَذا
يُقاسُ فَحُسْنُهُ حُسْنٌ فَريدُ
فَساحَةُ ساحَةٍ وَرياضُ أنْس
وَقَصْرٌ باهرٌ فيهَا مَشيدُ
تَبارَتْ فيه أفْكارٌ فَجاءَتْ
به في حُسْنه مَثَلٌ شَرُودُ (4)
وَذا تأسيسُ وَالدكَ المُعَلَّى
وَأنْتَ بحجْره شِبْلٌ وَليدُ
يَقُولُ إذا رَآكَ هُنَاكَ : هَذا
يَسُودُ وفي مَحَاسِنِهِ يزيدُ
وَمَا تُخْطي الفِرَاسَةُ حينَ جَاءَتْ
منَ المَهْدي إنْ سادَ الرّشيدُ
وَشادَ الصّادقُ المَلكُ المُفَدّى
مَعَالِيَ لاَ تَزَالُ (5) وَلاَ تَبيدُ
فَدامَ لَهُ الهَنَاءُ بهَا وَدامَتْ
سَعَادَتُهُ وَدانَ لَهُ العَبيدُ

2) الزهراء : هو قصر الخلافة الاموية في قرطبة .
3) كذا وردت بالاصل ، ولعلها «الشعب» ـ بكسر الشين ـ ، وهو منتزه إيراني جميل نوه بحسنه المتنبي .
4) الصحيح : «مثلا شرودا» وإنما ضمهما للضرورة .
5) كذا بالاصل والصحيح : لا تزول .

وَزَادَ اللهُ دَوْلَتَهُ جَلَالَا
يُلَازِمُهُ وَتَخْدِمُهُ السُّعُودُ
وَقَدْ وَافَاكَ شَوَّال يُهَنِّي
بِأَنَّ طُلُوعَ بَدْرِكَ فِيهِ عِيدُ
فَطِبْ عَيْشاً وَاسْلَمْ وَأَبْشِرْ
بِعِيدٍ فِي تَهَانِيكُمْ يَعُودُ
يَقُولُ عَلَى مَدَى الدَّوَرَانِ : اسْعَدْ
وَأَرِّخْ : تُمِّمَ الْقَصْرُ السَّعِيدُ(6)

— 25 —

وقال رحمه الله تعالى مادحاً الصادق باي عند امتداد طريق الحديد بالحاضرة * :

[مجزوء الكامل]

بِالسَّعْدِ قَدْ رَكِبَ الأَمِيرُ ... الصَّادِقُ الْبَاشَا الْمُشِيرْ
فِي آلِهِ وَوَزِيرِهِ ... الْمُصْطَفَى الصَّدْرِ الْكَبِيرْ
وَمُبَاشِرِ الأَمْرِ الَّذِي ... هُوَ اسْمُهُ لِلدِّينِ خَيْرْ
وَرِجَالِ دَوْلَتِهِ وَمَنْ ... سَمَّى(1) وَأَكْرَمَ بِالْحُضُورْ

6) ليس الصادق باي هو الذي أنشا القصر السعيد إنما أنشأه أبوه ثم امتلكه إسماعيل السني صاحب الطابع وعند قتله صادره الصادق باي وسماه القصر السعيد .

★ طريق السكة الحديدية بين المرسى والعاصمة مدته شركة إيطالية سنة 1289 حيث أخذت على عاتقها القيام بهذا العمل على وجه اللزمة من الحكومة التونسية ، وينطلق هذا البابور من نهج رومة حيث يتجه الى المرسى ومنها الى حلق الوادي ثم يرجع الى نقطة الانطلاق على طريق شاطيء البحيرة لانعدام الممر الحالي عبر القنال . وقد دبج الشاعر هذا القصيد بمناسبة تدشين هذا الخط الجديد وامتطاء الامير الصادق باي الرتل من ضاحية المرسى متوجها بها الى العاصمة لزيارة ضريح العارف بالله سيدي محرز بن خلف .

1) كذا بالاصل . والصواب (اسمى) من أسماه ، أي أعلاه ورفع مقامه .

كَرُوسَةُ الْبَابُورِ مَا ... يَدْعُونَهَا «إشْمَانْ دفير»
يَبْغِي زِيَارَةَ مُحْرِزٍ ... ذِي الْجَاهِ وَالْقَدْرِ الشَّهِيرْ
فِي يَوْمِ حَفْلٍ مَا لَهُ ... فِيمَا مَضَى قَطُّ نَظِيرْ
وَالنَّاسُ قَدْ حُشِرَتْ ضُحى ... وَالطَّرْفُ قَدْ وَلَّى حَسِيرْ
فَرَأَيْتُ أَمْراً هَائِلاً ... لَمَّا اسْتَمَرَّتْ فِي الْمَسِيرْ
وَحَسِبْتُ أَنِّي هَائِمٌ ... وَتَشَابَهَتْ عِنْدِي الأُمُورْ
الأَرْضُ قَابَلَتِ السَّمَا ... بِمَجَرَّةٍ فِيهَا بُدُورْ
أَمْ ذَا الْبِسَاطُ وَذَا سُلَيْمَانُ ... الرِّخَاءُ بِهِ تَسِيرْ
أَمْ مِنْحَةٌ مَا نَالَهَا ... رَبُّ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرْ(2)
كَلَّا وَلَا إِسْكَنْدَرٌ ... فِي مُلْكِهِ الْعَالِي الْكَبِيرْ
لَوْ أَنَّ كِسْرَى شَامَهَا ... أَضْحَى لِمَرْآهَا كَسِيرْ(3)
أَوْ (4) قَيْصَرٌ مَرَّتْ بِهِ ... قَالَ : اشْهَدِي أَنِّي قَصِيرْ
أُعْجُوبَةٌ مَكْتُومَةٌ ... كَالسِّرِّ فِي طَيِّ الْقُصُورْ
حُبِيَتْ بِهَا الْخَضْرَاءُ فِي ... أَيَّامِ صَادِقِهَا الْمُشِيرْ
مَنْ شَادَ عَلْيَاهَا وَمَنْ ... أَجْرَى بِهَا الْعَذْبَ النَّمِيرْ
وَالْعَدْلُ أَحْكَمَ وَصْفَهُ ... بِعُلَى الْوِزَارَةِ وَالْوَزِيرْ
فَالْكُلُّ فِي أَمْنٍ وَفِي ... أَمَلٍ تَمَكَّنَ فِي الصُّدُورْ
اللهُ يُحْسِنُ عَوْنَهُ ... مَهْمَا بَدَا خَطْبٌ عَسِيرْ
وَيَزِيدُهُ عِزّاً إِلَى ... عِزٍّ عَلَى مَرِّ الدُّهُورْ
حَتَّى نَرَى فِي ظِلِّهِ ... مَا لَيْسَ يَخْطُرُ مِنْ أُمُورْ

2) الخورنق والسدير : قصران للنعمان ، يعني : أن هذه المنحة لم ينلها النعمان الملك العظيم .
3) أي لو رأى كسرى (ملك الفرس) هذا الطريق الحديدي أضحى حزينا لانه لم يتوصل العلم في زمان كسرى ولا في زمان قيصر الى اختراع العربات البخارية .
4) بالاصل «أم» .

مِنْ هَذِهِ وَنَظِيرِهَا كَالدُّرِّ قُلِّدَ فِي النُّحُورْ
تَارِيخُهَا : أَكْرِمْ بِهِ بِالسَّعْدِ قَدْ رَكِبَ الأَمِيرْ

[..1283..]

— 26 —

وقال رحمه الله مادحاً المشير الثالث محمّد الصادق باي لمّا أجرى ماء زغوان (1) بتونس :

[الكامل]

قَصَدَتْ جَنَابَكَ مِنْ سَحِيقِ مَكَانِ
تَعْنُو لِمَا أُوتِيتَ مِنْ سُلْطَانِ
هِيَ أُمُّ عِيسَى (2) الزَّرَافَةُ مَنْ سَمَتْ
فِي قَدْرِهَا عَنْ أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ
جَمَعَتْ مَحَاسِنَهُ بِهَا فَتَبَرَّجَتْ وَسَمَا لَهَا جِيدٌ عَلَى الأَقْرَانِ
وَتَلَوَّنَتْ بِبَدَائِعٍ فِي صِبْغِهَا تُزْرِي بِزَهْرِ الروضِ في نيسَانِ
مِنْ أَبْيَضٍ يَقَقٍ وَأَصْفَرَ فَاقِعٍ فِي أَسْوَدٍ دَاجٍ وَأَحْمَرَ قَانِ
وَرَنَتْ بِطَرْفِ الرِّيمِ مِنْ خُيَلاَئِهَا
وَتَمَايَسَتْ كَالْخُودِ بَيْنَ غَوَانِ
إِنْسِيَّةٌ وَحْشِيَّةٌ مَا اقْتَادَهَا
إِلاَّ الْمُلُوكُ الشُّمُّ ذُو (3) التِّيجَانِ

1) تمّ الاتفاق بين الامير محمد الصادق باي وأحد المهندسين الفرنسيين - بواسطة قنصل فرنسا بتونس - لجلب المياه من زغوان على المجاري القديمة للحنايا الحفصية وذلك بواسطة أنابيب معدنية تستورد من فرنسا مقابل ثمن باهض بين مؤجل ومعجل تضاف اليه الفوائض (تاريخ ابن أبي الضياف) .
الذي أجرى ماء زغوان بتونس هو محمد باي الثاني أخو الصادق باي .
2) أم عيسى : كنية جنس للزرافة .
3) تصرف غريب من الشاعر على عادته حيث خفف «ذوو» فحولها إلى «ذو» للضرورة .

وَكَأَنَّهَا اخْتَصَّتْ بِمَنْ حَازَ الْعُلَى
وَاجْتَابَ مَاءَ الْعَيْنِ مِنْ زَغْوَانِ
أَعْنِي بَنِي حَفْصٍ وَحَسْبُكَ هَذِهِ
لاَ غَيْرُ لَمَّا أَنْ رَأَتْكَ الثَّانِي
السَّائِقُ الْعَذْبَ الْفُرَاتَ لِتُونِسٍ وَالْمَوْرِدُ الْمَعْسُولُ لِلظَّمْآنِ
(تَرَكَتْ دُخَانَ الرِّمْثِ (4) فِي أَوْطَانِهَا)
طَلَباً لِمَنْ يَقْرِي(5) بِغَيْرِ دُخَانِ
وَأَتَتْكَ فِي خَفَرٍ وَحُسْنِ تَوَدُّدٍ
وَسَلَتْ عَنِ الْفَيْفَاءِ بِالْمَيْدَانِ
الْجَامِعِ الأَضْدَادِ أُسْدٍ مَعْ مَهاً
وَالطَّيْرِ ذِي الأَنْوَاعِ وَالْحِيتَانِ
وَعَجَائِبٍ مِنْ خَلْقَةِ الرَّحْمنِ مَا
لَمْ يَجْتَمِعْ لِمُؤَسِّسِ الإِيوَانِ
كَلاَّ وَلاَ رَبِّ السَّدِيرِ (6) وَبَارِقٍ
وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ غُمْدَانِ
(هِمَمُ الْمُلُوكِ إِذَا أَرَادُوا نَشْرَهَا
مِنْ بَعْدِهِمْ فَبِأَلْسُنِ الْبُنْيَانِ)
(إِنَّ الْبِنَاءَ إِذَا تَعَاظَمَ قَدْرُهُ
أَضْحَى يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ)
يَا أَيُّهَا الْبَاشَا الْمُشِيرُ الْمُرْتَضَى
الصَّادِقُ الْوَعْدِ أَخُو الإِحْسَانِ

4) «الرمث» : نبات طبيعي يشبه المثنان يضاف الى النفة ليلطف مفعولها .
5) «يقري» : يضيف ، القرى : الضيافة .
6) «السدير» : قصر كان للنعمان في الحيرة . ذكره شعراء الجاهلية وهو قريب من الخورنق ، وكذلك بارق وغمدان من القصور التي اشتهرت عند العرب .

يَهْنيكَ مَـا لَـمْ يُؤْتَـهُ مَـنْ قَبْلكم
في سَـالف الأحْقَـاب وَالأزْمَـان
فَاسْلَـمْ تَسُـوقُ لَـكَ الْبلاَدُ نَفيسَهَا
وَنُفُـوسَهَـا فَضْـلاً عَن الأبْـدان
وَاسْعَـدْ لمُلْـكٍ دَائمٍ مُتَطَـاول
في عـزّة تَنْمُـو ونَيْـل أمَـان
وَاللهُ يَحْرُسُ مَجْـدَكُمْ وَيَـزيـدُكم
منْ فَضْلـه بمُنَـزّل الفُرْقَـان

— 27 —

وقال مـؤرخاً إتمام زاوية سيـدي محرز بن خلف ★ :

[البسيـط]

هذَا مقامٌ عظيمُ الْقدْر فاسْعَ وَطُـفْ
وَلُذْ بأبْوَابه وَاسْأَلْ هُناكَ وَقِـفْ
هـذَا مقـامُ الْمُـربي وَالإمـامُ ومنْ
قدْ حازَ بالْعلْـم وَالتّعْليـم كُلّ شرَفْ

★ سيدي محرز بن خلف هو أبو محفوظ محرز بن خلف بن رزيق ويتصل نسبة بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه. تخرج عن شيخه البركة أبي محمد يونس المعروف «بسيدي يانس» دفين نهج الحفصية وهو من أهل الزهد والورع. وسيدي محرز من كبار العلماء. كان في شبيبته يعلم القران الكريم بأريانة ثم سكن بالمرسى ثم قدم الى مدينة تونس واشترى بها دارا وكان من أطيب الناس كلاما وأحسنهم خلقا لا يميل إلا الى الفقراء.
ومن أشعاره :

إذا ظالمٌ قد عاهدَ الظلم مَذهَبًا ... وجَارَ غُلوًّا في علُـوّ اكتسابـه
فكِلْهُ الى رَيْب الزمان وجَوْره ... سيُبدي له ما لَمْ يكنْ في حسابه
فكَمْ ذا رأيْنـا ظالمًـا مُتجبّـرًا ... يرَى النجْم تيهًا سارَ تَحْتَ ركابه
فلما تمـادَى واستطـال بجـوْره ... أناخت صروفُ الحادثـات ببابـه

توفي سنة 463 هـ. وقد أناف على السبعين. راجع ابن أبي الضياف ج 1. ص 134.

هـذَا مقامُ ابْنِ ثانـي اثْنَيْنِ ثالثُهُـمْ
في يوْم غار حِرَا (1) مَنْ قدْ قضَى وَلطفْ
أسْتاذُ تُـونسَ وَالْحصْنُ الْحَصيـنُ بهـا
وَمَنْ تصَرّفُهُ في الحالتيْن عُـرف
وَالسرّ في ذَاكَ منْ سدّ الكُوَى(2) [لسوَى](3)
صدّيقه فعلىَ ما كانَ مُنْذُ أُلِـفْ
فلُـذْ بأعتابـه وَاشْـدُدْ يدَيْـكَ بـه
وَناجه فهْوَ حيّ آخـذٌ بطـرَفْ
منْ جـدّهُ بـرَسُـول الله مُتّصـلٌ
لله مجْـدٌ علىَ مـرّ الزّمان يـرِفْ
وَاجْعلْـهُ عُمْدَتَـكَ الْوُثْقى وَسَلْهُ تنل
وَاطْلُبْهُ تحظ كما قدْ شاعَ ذَا وَأُلِفْ
كالسيّـد الصـادق البـاشا الْمُشير وَمنْ
بالْعدْل وَالْفضْل وَالذّكْر الجميل وُصِفْ
سليـلِ آل حُسيْنٍ وَهْـوَ وَاسطـةٌ
لعقْد دُرّ أتى منْهُمْ بغيْـر صَـدَفْ
قـدْ شـادَ مـا قدْ ترَى منْ بهْجة وأتـى
منْ بابه الْحُسْنُ وَالإحْسانُ حينَ رُصِفْ
وَأثْبتَ الرّأيـةَ الْعُلْيـا بقُنّتـه
تخْتالُ في شرَفٍ تسْمُو به وَهيـفْ

1) غار حراء : هو الغار الذي التجأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم رفقة خليله الصديق أبي بكر عند الهجرة من مكة الى المدينة وفيه انزل الله الآية : «ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا».
2) من سد الكوى : يشير بهذا الى قوله صلى الله عليه وسلم حين أمر بسد جميع الابواب التي تفضي من ديار بعض الصحابة الى مسجد الرسول. فقال : «سدوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر».
3) بياض بالاصل والزيادة يقتضيها السياق. انظر التعليق (2) أعلاه.

فاجْعلْهُ في حِرْزِه يا رَبِّ وَاهْدِ لهُ
منْ سِرِّه ما يشا منْ أنعُمٍ وَلُطفْ
وَاسْعدْ بهِ اللهُ هذا القُطْرَ قاطبةً
يا خيْرَ موْلًى علىَ ذُلِّ العبيد عطفْ
وَذي كرامتهُ لاَحتْ بشائرُها
وَجاءَ تاريخُها: أكْرمْ مُحْرزَ بنْ خلف(4)

[......... .... 1283 هـ ....]

— 28 —

وَقالَ مُؤرخاً إتمام نقش زاوية سيدي ابراهيم الرياحي ونقشتْ هذه القْصيدة على القبة .

ترجمة حياة سيدي ابراهيم الرياحي★ :

هو أبو اسحاق ابراهيم بن عبد القادر الرياحي . أصله من المحاميد القاطنين بطرابلس من فريق رياح الذين دخلوا إفريقية على عهد الدولة الصنهاجيّة لما سرحهم إليها خلفاء العبيديين ، وخبرهم معروف في التاريخ.

ولد هذا الإمام ببلدة تستور فحفظ هناك القرآن الكريم وسمت همته لطلب العلم فرحل إلى مدينة تونس وتفرغ للعلم باجتهاد حتى بلغ منه المراد وانتشر صيته في المشرق والمغرب .

وجهه الأمير حمّودة باشا إلى السلطنة المغربية لجلب الميرة لتونس حيث وقعت (بتونس) مسغبة أليمة سنة 1216 هـ . و وجهه المشير

4) في الابيات 13 ، 14 ، 15 : خفف الشاعر الهمزة في قوله : «واهد له» و «اسعد به» و «اكرم» والصواب «وأهد له» و «أسعد به» و «أكرم» وذلك للضرورة وقد أرخ بقوله «أكرم محرز بن خلف لسنة (1283 هـ.) .

★ من كتاب عنوان الاريب باختصار .

أحمد باشا إلى الاستانة العلية شفيعاً فتلقي بالإجلال ، وهاداه المولى السلطان محمود .

ولي قضاء الجماعة بعد تأخير الشيخ أبي حفص عمر المحجوب ، ثم ولي رئاسة الفتوى وبعدها امامة جامع الزيتونة .

آثاره العلمية : له حاشية على الفاكهاني على القطر ، وحاشية على شرح القاضي على الخزرجية في علمي العروض والقوافي ، ورسائل في مسائل كثيرة في فنون متعددة ، وله ديوان شعر جمعه حفيده أحمد الرياحي .

من شعره القصيدة الدالية التي مدح بها السلطان العثماني محمود والتي تبلغ 21 بيتاً ومطلعاً :

العز بالله للسلطان محمود   ابن السلاطين محمود فمحمود
خليفة الله ما أعلاه من شبه   بآدم و نبي الله داوود
من آل عثمان سادات الملوك ومن   جاؤوا كعقد من الياقوت منضود

توفي سنة 1266 هـ في السابع والعشرين من رمضان ودفن بتربته بالزاوية التي أحدثها هو بنفسه لذكر الورد التيجاني بحوانيت عاشور وهو آخر من توفي بمرض الوباء .

[الكامل]

قفْ فالمقامُ مقامُ إبْراهيما
وَانْشقْ منَ الأرَجِ العْطيرِ شميما
اقْصُدْ رياضَ الذّكْرِ وَادْخُلْ آملاً
حرماً علىَ مرِّ الزّمانِ مُقيما

فيه ثوى (1) طودُ العلوم وبحرُها

أستاذُ تونسَ رُكنُها المأثوما

هذا أبو إسحاقَ أفضلُ لابسٍ

حُلَلَ الثناء ودُرَّها المنظوما

هذا الرياحي قُطبُ دارةِ قُطرِنا

مَنْ فاقَ جِلَّتَه الكرامَ عموما

هذا سراجُ العارفينَ بربِّهم

كمْ قدْ هدى وأفادَ قوماً هيما(2)

ملأ المشارقَ والمغاربَ فضلُه

لمَّا سعى لهما وذادَ (3) هموما

كحلوله فاساً ليجلبَ ميرةً

في عامِ قحطٍ أذهبَ المطعوما

فأجلَّه سلطانُها وأنالَه

بِرّاً ونيلاً واسعاً وجسيما

ومنَ المقدّسِ ركنِها مشكاتِها

أعني التجاني قطبَها المكتوما

نالَ العنايةَ والمرامَ وخصَّه

بلطائفٍ تستوجبُ التقديما

وأتتْه تسعى خطةُ الفتيا التي

نالتْ به فخراً يعزُّ عظيما

واجتازَ مصراً عامَ حجٍّ فبرَّه

سلطانُها وأفاضَ عنه سجوما(4)

---

1) «ثوى» : أقام .

2) هام : يقال هام على وجهه ، أي لا يدري أين يتوجه .

3) «ذاد» : دفع وطرد .

4) الصدر غير مستقيم الوزن «افاض عنه سجوما» : يريد أغدق عليه العطاء ، والسجوم ، مصدر سجم ، أي سال .

وسما لقسطنطينيةَ في معضلٍ

لولا شفاعتُه لكانَ أليما

فأثابَه السلطانُ فوقَ سؤالِه

وحوى بها صيتاً وبثَّ علوما

ودرى المشارقُ والمغاربُ أنّه

أضحى لنور النيّرينِ قسيما

ثمَّ ابتنى هذا المقامَ لربّه

وللذكرِ مَنْ أولاهُ فيه نعيما

وبه ثوى وثوى بنوهُ اللذْ بهمْ

جيشُ الجهالةِ قدْ غدا مهزوما

زانوا المنابرَ والمحافلَ فتيةً

وغدوا بدوراً في العلا ونجوما

الطيّبُ الأرضى الهمامُ محمّدٌ

وعلي الرضى الحاوي الجلالَ فطيما

تسقي العهادَ (5) عهودَهمْ بسحائبٍ

منْ رحمةٍ وتزيدُهمْ تسليما

يا طالبَ الزلفى (6) ومرتادَ الهدى

ومَنِ ابتغى منْ ربّه تكريما

اقصدْ ثلاثتَهمْ (7) وشيخَ طريقِهمْ

واسألْ إلهاً غافراً ورحيما

---

5) «العهاد» : جمع عهادة ، وهو أول المطر .

6) «الزلفى» : المنزلة والتقرب .

7) ثلاثتهم : يعني سيدى إبراهيم الرياحي ونجليه .

وَاخْلُصْ (8) لَهُمْ وَبِهِمْ دُعَاءَكَ رَاجِيا
نَيْلَ الْمُرَادِ وَعَمِّمَنْ تَعْمِيمَا
وَلِمَنْ ثَوَى فِي ذَا الثَّرَى أَوْ زَارَهُ
وَلِمَنْ أَعَانَ وَأَثْبَتَ الْمَنْظُومَا
وَسَلِ الإلهَ لِمَنْ كَسَاهَا مَا تَرَى
فَأَنَارَهَا وَأَتَمَّهَا تَتْمِيمَا
الصَّادِقِ الْبَاشَا الْمُشِيرِ مُحَمَّدٍ
أَنْدَى الْمُلُوكِ يَدًا وَأَكْرَمَ خِيمَا
نَصْرًا وَإِسْعَادًا وَعِزًّا كُلَّمَا
أَهْدَى الرَّبِيعُ إِلَى الرِّيَاضِ نَسِيمَا
وَانْظُرْ لِتَارِيخِ الْمَقَامِ فَإِنَّهُ
بَيْتٌ مِنَ الدُّرِّ النَّضِيرِ نَظِيمَا
يَا مَنْ يُؤَمِّلُ بَابَهُ كُنْ آمِناً
قِفْ فَالْمَقَامُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَا (9)

— 29 —

قال مهنئاً الصادق باي بإتمام المدرسة الصادقية :

[الكامل]

الصادقية حسنها بهر الورى فَأَجِلْ لِحَاظَكَ مُعْجَبا ومُفَكِّرا
وانْظُرْ إِلَى هِمَمِ المُلُوكِ وفَضْلِهَا
كَمْ قد أفَاضَتْ مِنْ سَمَاحٍ قَدْ جَرَى

8) الصحيح «وأخلص» ولكن الشاعر وصل الهمزة لضرورة الشعر .
9) تضمن هذا البيت التاريخ الابجدي لاتمام بناء زاوية سيدي ابراهيم الرياحي وهو حسب التقدير سنة 1272 هـ .

وَتَرَوَّ (1) في قَانُونِهِ وَفُصُولِه تُلْفيه قَدْ أَهْدَى النُّضَارَ(2) لمن قرا
لله مُنْشِيهَا وَنَاظِمُ عِقْدِهَا دُرًّا نفيساً في الرِّقَابِ وَجَوْهَرَا
أَشْهَى إلى الأَسْمَاعِ مِنْ نَيْلِ الْمُنَى
وأَحَبَّ للأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ الكَرَى
يَدْعُو إِلَى مَا لاَ حَيَاةَ بِدُونِهِ
فَالْعِلْمُ دَاعِيَةُ البَقَاءِ لِمَنْ دَرَى
هَلْ يَسْتَوِي مَنْ يَعْلَمُونَ وَغَيْرُهُمْ
شَتَّانَ مَا بَيْنَ الثُّرَيَّا وَالثَّرَى
هُبُّوا (3) بني الخضْرَاءِ وَانْتَبِهُو إلَى
مَا هُوَ في الدَّارَيْنِ أَرْبَحُ مَتْجَرَا
وَخُذُوا المَعَارِفَ وَالْعُلُومَ بِقُوَّةٍ
تُنْسِيكُمُ بُقْرَاطَ (4) وَالإِسْكَنْدَرَا
وَتَسَابَقُوا لِفَضِيلَةٍ جاءَتْكُمُ حَاشَاكُمُ أَنْ تَنْبُذُوها بالعَرَا
أَغْنَتْ عَلَى خَوْضِ الْبِحَارِ (5) وَغُرْبَةٍ
وَمَشَقَّةٍ تَذَرُ (6) الْفَتَى مُتَحَيِّرَا
فُزْتُمْ بِنَيْلِ الْقَصْدِ في أَوْطَانِكُمْ
فَمَنِ الذي مِنْ بَعْدِ ذَا أَنْ يُعْذَرَا (7)

1) «ترو» : فعل أمر من تروى في الامر ، أي نظر فيه وتفكر .
2) النضار : هو الذهب .
3) هبوا : فعل أمر من هب ، أي انشطوا وأسرعوا .
4) بقراط : يوناني من أمهر الاطباء الاقدمين 460 قبل المسيح نقلت بعض تصانيفه الى العربية .
الاسكندرا : اسكندرا لافروديسي (القرن الثاني) ، فيلسوف يوناني نعته ابن سينا بأفضل المتأخرين واعتد بارائه حيث عرف العرب مؤلفاته .
5) عمد الشاعر هنا الى استعمال «على» بدلا من (عن) .
6) تذر : تترك .
7) تصرف غريب في بناء العجز ، وإن كان المعنى واضحا . يقول : من الذي بقي له عذر في عدم طلب العلم بعد أن أدنيت قطوفه وذللت صعابه .

هَلْ غَيْرَةٌ وَحَمِيَّةٌ لِبِلاَدِكُمْ
فَالْجَارُ (8) أَصْبَحَ عَالِماً مُتَحَضِّراً

ذَا هِمَّةٍ عُلْيَا فَلَسْنَا دُونَهُ
بَلْ جَدَّ فِي التَّحْصِيلِ حَتَّى أَبْصَرَا

هَلْ هِزَّةٌ مِنْ عَالِمٍ فَيَبُثُّ مَا
يُغْنِي وَيُقْنِي صَابِراً وَمُكَرِّرَا

وَلْيُخْلِصِ الكُلُّ الدُّعَاءَ لِسَيِّدٍ
غَرَسَ العُلاَ وَسَقَاهُ حَتَّى أَثْمَرَا

الصَّادِقُ الْبَاشَا الْمُشِيرُ مُحَمَّدٌ
مَنْ فَخْرُهُ فِي الْعَالَمِينَ تَقَرَّرَا

لاَ زَالَ فِي حِرْزِ الإِلَهِ وَعِزِّهِ
وَوَزِيرُهُ (9) مَنْ قَدْ أَعَانَ وَدَبَّرَا

مَا قَالَ ذُو التَّارِيخِ قَاصِدَ مَنْهَجٍ
الصَّادِقِيَّةُ حُسْنُهَا بَهَرَ الْوَرَى (10) .

— 30 —

وقال أيضاً منوهاً بشأن المدرسة الصادقية ومادحاً الصادق باي وخير الدين باشا :

[الطويل]

هَلُمُّوا إِلَى خَيْرِ الْبِلاَدِ وَبَادِرُوا
فَلَمْ يَبْقَ لِلْمُسْتَأْخِرِينَ مَعَاذِرُ .

8) الجار : يعني الاجانب . وبالاخص الفرنسيين الذين سبق أن احتلوا الجزائر .
9) وزيره : هو الوزير المصلح خير الدين التونسي . وفي الواقع هو الذي دبر تأسيس الصادقية وانجز .
10) في هذا البيت تاريخ أبجدي لاتمام بناء المدرسة الصادقية ولكنه لا يطابق سنة (1293 هـ./1876 م.) التي أسست فيها المدرسة .

وَهُمُّوا بِحَزْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَغَيْرَةٍ
لِمَكْرُمَةٍ تُثْنَى عَلَيْهَا الْخَنَاصِرُ

وَمَنْقَبَةٍ لَمْ نَحْظَ قَطُّ بِمِثْلِهَا
لَهَا الدِّينُ وَالإِسْلاَمُ وَاللهُ شَاكِرُ

إِلَى الْمَنْهَلِ الأَصْفَى نِظَامٌ وَمُبْتَغَى
كَمَالاَتِهِ حَازَتْ وَفَازَتْ حَوَاضِرُ(1)

إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى إِلَى الْمَكْتَبِ الَّذِي
تَقِلُّ لَهُ فِي الْقَاهِرَاتِ نَظَائِرُ

إِلَى الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ لاَحَ سَنَاهُمَا
وَقَدْ فُتِحَتْ فِيهِ النُّهَى (2) وَالْبَصَائِرُ

بِهِمَّةِ أَشْيَاخٍ كِرَامٍ أَعِزَّةٍ
بِمِثْلِ عُلاَهُمْ يَسْتَدِلُّ الْمُفَاخِرُ

تَغَارُ نُهَاهُمْ أَنْ تَرَى الْجَهْلَ فَاشِياً
كُهُولٌ بِهِ قَدْ قُيِّدَتْ وَأَصَاغِرُ

وَجِيرَانُنَا فَازُوا بِكُلِّ فَضِيلَةٍ
وَلِلْفَخْرِ فِي الْخَيْرَاتِ يَسْعَى الْمُجَاوِرُ

أَلَسْنَا سَوَاءً غَيْرَ أَنَّا لِغَفْلَةٍ
تَقَدَّمَنَا مُسْتَيْقِظُ الْجَفْنِ سَاهِرُ

أَلاَ يَا بَنِي تَرْشِيشَ(3) وَالْحَضْرَةُ الَّتِي
لَهَا كَانَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ مَآثِرُ

1) تصرف شاذ غريب في صوغ التركيب العربي ، كأنما انطوى على اتجاه (تجديدي) لا غبار عليه . ومثل هذا التفكيك للتركيب المألوف مطرد لدى المسعودي . وجملة المسعودي حرية بدراسة على حدتها بهذا الصدد . وبالمقارنة بينه وبين طريقة معاصره قبادو تتجلى لنا عبقرية كل منهما ، وتصيبه من ظاهرة الفن والخلق في مضمار الكلمة كما يقولون اليوم .
2) «النهى» : مفرده نهية ، وهي العقل . يسمى بها لانه ينهى عن القبيح من الاعمال .
3) اسم قديم أسطوري لحاضرة تونس .

أجيبوا إلى داعي الفلاح فقد دعا
لتهذيبكم شهم همام وظافر
هو الصادق الباشا المشير محمد
ومن في معاليه يصح التواتر (4)
حباكم بهذا المكتب الجامع الذي
بأرجائه يلقي عصاه المسافر
مرافق في أمن وعز وغبطة
ونيل مرام ليس يحصيه حاصر
وأنفق في تأهيلكم وكمالكم
نضارا أرانا كيف تبنى المفاخر
بتدبير ذاك العالم العلم الذي
معاليه يبقى الدهر وهي سوائر
هو الصدر خير الدين واسم جنابه
كفيل لما يمليه راو وشاعر
فلا زال (5) للخضراء بفضل مليكها
وأعوانه عيش رغيد وناضر
ينادي بأهليها المؤرخ وده:
هلموا إلى خير وجدوا وبادروا (6)

---

4) في هذا العجز إشارة إلى قول علماء أصول الفقه : التواتر يفيد القطع .
5) لازال : لا زال هنا تفيد الدعاء . وكلمة «عيش» مرفوعة فاعل وكلمة «رغيد» نعت ، فكلمة زال : إذا سبقت بلا النافية تفيد الدعاء .
6) يرجع تأسيس الصادقية الى سنة 1293 هـ. بيد أن العجز المشير إليه لا يعطينا هذه النتيجة بالضبط .

— 31 —

(.............) (1)

[الطويل]

هو السعد قد وافى إلى تونس الخضرا
وحل ذراها بالمسرة والبشرى
فهزت له أعطافها وتزينت
وعم الهنا في قطرها عندما أثرى
جهلنا المهني والمهنى وإنما
ترى الكل منهم باسم الثغر مفترا
كأنهم نشوى (2) وصال مماطل
سقاهم عقيب الصد مشمولة بكرا
ولم لا وقد ناط المعظم بابنها
وبابن أياديه وزارته الكبرى
هو المصطفى بن الصادق الوعد والذي
زكا محتدا ذا عزة وسما نجرا (3)
وقلده نيشان بيتهم الذي
به صار سلما نالها وحوى الفخرا
تخيره المولى هلالا فصاغه
وأبدع فيه الصنع حتى غدا بدرا

---

1) في أعلى القصيدة بياض بالاصل مساحة سطرين . وموضوع القصيدة في تهنئة الوزير مصطفى بن إسماعيل بولاية الوزارة الكبرى وتهنئة الصادق باي بذلك .
2) جمع لنشوان . يقول : كأنهم سكروا من حصول وصل مفاجىء على أثر صد ومطال .
3) النجر : الحسب والأصل .

يُضِيءُ لِمَنْ يَسْعَى لِشَامِخِ عِـــزِّهِ
وَيَسْرِي لِعِيدَيْهِ فَسُبْحَانَ مَنْ أَسْـرَى
وَلاَ بِدْعَ أَنْ أَوْلاَهُ خَـالِصَ وُدِّهِ
وَشَدَّ بِهِ أَزْرًا وَأَشْرَكَهُ أَمْـــرَا
وَأَبْدَاهُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ التـــي
بِبَاطِنِ مَا تَحْوِيهِ دُونَ الوَرَى أَدْرَى
وَجَرَّدَهُ (4) سَيْفًا صَقِيلاً وَصَعْدَةً (5)
فَغَالَبَ لَمَّا هَزَّهُ البِيضَ وَالسُّمْــرَا
وَأَجْرَاهُ فِي يَوْمِ الرِّهَانِ مُجَلِّيـــاً
فَكَانَ بِهِ دُونَ المُصَلِّي بِهِ أَحْـرَى
هُوَ الصَّادِقُ البَاشَا المُشِيرُ مُحَمَّـــدٌ
أَعَــزُّ الوَرَى صِيتاً وَأَعْلاَهُمُ قَـــدْرَا
وَأَكْمَلُهُمْ خَلْقاً وَخُلْقاً وَهَيْبَـــةً
يُقَصِّرُ عَنْهَا قَيْصَرٌ وَكَذَا كِسْـــرَى
إِذَا ظَفِرَتْ مِنْهُ العُيُونُ بِنَظْـــرَةٍ
يُشِيرُ بِهَا لِلتُّرْبِ يُقَلِّبُهُ تِبْــــرَا
وَإِنْ قَارَعَ الأَضْدَادَ طَالِعُ سَعْـــدِهِ
فَمَا أَكْثَرَ القَتْلَى وَمَا أَرْخَصَ الأَسْـرَى
أَقَامَ الأَنَامَ فِي أَمَانٍ وَغِبْطَـــةٍ
فَذَا رَافِعٌ كَفًّا وَذَا سَاجِدٌ شُكْــرَا
وَأَلْحَفَهُمْ ثَوْبَ الحَنَانِ وَمَنْ بِـــهِ
تَــرَدَّى فَلاَ يَخْشَى المَعَــرَّةَ أَوْ يَعْرَى

4) جرده : سله .
5) الصعدة : هي القناة المستوية المستقيمة .

أَلاَ يَا مُجِيرَ المُلْتَجِينَ وَمَنْ لَـــهُ
فَخَامَةُ مُلْكٍ يَمْلأُ القَلْبَ وَالصَّدْرَا
وَمَالِكَ رِقِّي سَيِّدِي وَابْنَ سَيِّـــدِي
وَلَسْتُ بِبَاغٍ أَنْ أَرَى بَعْـدَهُ حُـرَّا
تَهَنَّ أَيَـا فَخْرَ المُلُوكِ بِدَوْلَـةٍ
وَعِزٍّ وَإِسْعَادٍ وَأَنْتَ بِهِ أَحْـــرَى
وَلاَ بَرِحَتْ أَيَّامُ دَهْرِكَ كُلُّهَـــا
بِآثَارِكَ الحَسْنَا مُحَجَّلَةً غُـــرَّا
إِلَى أَنْ تَرَى هَذَا الوَزِيرَ كَمَا تَشَـــا
وَلاَ وَزَرٌ يَخْشَاهُ بَعْدُ وَلاَ وِزْرَا
بِجَاهِ رَسُولِ اللهِ جَـلَّ جَلاَلُـــهُ
وَآلٍ وَصَحْبٍ وَالذِينَ غَزَوْا بَـــدْرا
عَلَيْهِ صَلاَةٌ مَعْ سَلاَمٍ يَعُمُّهُـــمْ
وَيُرْضِيهِمْ عَنَّا بِذِي الدَّارِ وَالأُخْـرَى

— 32 —

وقال رحمه الله تعالى مهنئاً الوزير الأكبر مصطفى خزندار بإتمام بناء سانيته الكائنة بقرطاجنة (*) :

[الطويل]

هَنِيئاً بِهَذَا القَصْرِ يَا غُرَّةَ العَصْرِ
وَدُمْ خَالِداً فِي الأَمْنِ وَاليُمْنِ وَاليُسْرِ

★ استمر الوزير يسكن قصره حتى توفي وواصل سكناه أبناؤه من بعده ، ثم باعه الاحفاد الى الحكومة التونسية التي جعلته مسكنا للكاتب العام الفرنسي .
ولما استقلت البلاد التونسية سنة 1956 استرجعته الحكومة لتجعله مقر الرئاسة الجمهورية وأنفقت على تشييده وزخرفته ما يناسب مقام المواطن الاول في البلاد ، وسكنه المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة أول رئيس للجمهورية التونسية .

وَزُرْهُ مَعَ الإِسْعَافِ وَالسَّعْدِ لاَبِسًا
ثِيَابَ سُرُورٍ لاَ تَبِينُ عَلَى الدَّهْرِ

فَمَا مِثْلُهُ قَصْرَ السَّدِيرِ وَبَارِقٍ
وَغُمْدَانَ وَالإِيوانَ أَوْ وَادِيَ الْقَصْرِ

وَأَنَّى لَهُمْ شِبْهٌ بِمَنْ جُمِعَتْ لَهُ
فُنُونٌ مِنَ الإِحْسَانِ جَلَّتْ عَنِ الحَصْرِ

إِلَى الْبَرِّ أَوْ لِلْبَحْرِ يَمِّمْ فَإِنَّهُ
بِهِ يَلْتَقِي الضِّدَّانِ كَالنُّونِ وَالْقُمْرِي

كَصَاحِبِهِ عَذْبِ الْخَلاَئِقِ مُصْطَفَى
وَإِنْ أَخَذَ الإِقْدَامَ وَالْبَأْسَ عَنْ عَمْرو

فَرِيدَةُ تَاجِ الْمُلْكِ سَيْفُ يَمِينِهِ
وَعُمْدَتُهُ فِي حَالَةِ السِّرِّ وَالْجَهْرِ

وَذُو سِيرَةٍ يُنْسِيكَ لُطْفُ حَدِيثِهَا
عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ

فَلاَ زَالَ شَمْساً فِي الْبُرُوجِ مُهَنَّأً
كَمَا شَا بِمَا شَا سَامِي الذِّكْرِ والفخرِ

وَيَا بَسْمَةَ الْعَلْيَاءِ زُرْهُ سَعَادَةً
وَأَرِّخْ بِهَا : ذِي نُزْهَةُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ (1)

[........................ 1265 هـ ....]

1) التاريخ الابجدي يقابله سنة 1256 هـ.

وقال مهنئاً الوزير المذكور بعرس ابنه الأكبر :

[الكامل]

السَّعْدُ أَقْبَلَ حَامِلاً دُرَرَ الثَّنَا
لِيَعُمَّ حَضْرَتَكَ الْفَخِيمَةَ بِالْهَنَا

وَيَخُصَّ ذَاتَكَ بِالْمَسَرَّةِ بِالَّذِي
كُنَّا نَتُوقُ لِنَيْلِهِ مُذْ أَزْمُنَا

مَطَلَ الزَّمَانُ بِهِ كَوَعْدِ حَبِيبَةٍ
حَتَّى أَشَرْتَ لَهُ فَلَبَّى مُعْلِنَا

وَأَتَى كَأَخْلاَقٍ حُبِيتَ بِنَيْلِهَا
شَهِدَتْ بِأَنَّ عُلاَكَ أَطْيَبُ مَعْدِنَا

مَلأَ الْقُلُوبَ مِنَ السُّرُورِ وَطَابَ فِي
أَسْمَاعِنَا وَأَقَرَّ مِنَّا الأَعْيُنَا

هَلْ صَاحِ تُبْصِرُ غَيْرَ ثَغْرٍ بَاسِمٍ
لَوْلاَ الْمَهَابَةُ قَالَ يَا سَاقِ اسْقِنَا

أَوْ غَيْرَ جَذْلاَنٍ سَرَى بِحَبِيبِهِ
مَاءُ الْحَيَا فَارْتَاحَ زَهْواً وَانْثَنَى

أَوْ غَيْرَ مُنْذَهِلٍ لِزِينَةِ مَشْهَدٍ
يَتْلُو بِهِ سُوَرَ الْكِتَابِ مُحَصِّنَا

أَوْ غَيْرَ أَفْوَاجٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
فَمُؤَمِّلاً وَمُؤَمِّنًا وَمُؤَمَّنَا

أوْ غَيْرَ دَاعٍ لِلْوَزِيرِ وَلابْنِهِ
وَلآلِهِ بِبُلُوغِ غَايَاتِ الْمُنَى

الأكْبَرِ الْمَوْلَى الْحُلاحِلِ (1) مُصْطَفَى
قَيْدَ النَّوَاظِرِ وَالثَّنَا وَالأعْيُنَا

بِشَمَائِلٍ وَفَضَائِلٍ وَفَوَاضِلٍ
أعْيَا تَتَبُّعُهَا الْمُجِيدَ الْمُحْسِنَا

شِيَمٌ ذَاتُهُ الْعُلْيَا وَحِدْ عَنْ كُلِّ مَنْ
يَرْوِي الْمَدِيحَ مُحَدِّثاً وَمُعَنْعِناً

وَمُشَبِّهٍ بِالْبَدْرِ أوْ بِالْقَطْرِ أوْ
بِالْبَحْرِ وَالدُّرِّ النَّفِيسِ الْمُجْتَنَى

شِيَمُ الْوَزِيرِ تَفُوقُ ذَاكَ وَشَاهِدِي
أبْدَاهُ رَبِّي لِلْعِيَانِ فَحَسْبُنَا

أنِطَاقَ خِصْرِ الْمُلْكِ دُرَّةَ تَاجِهِ
يَا ذُخْرَهُ الْبَاقِي الأعَزَّ الْمُقْتَنَى

وَنِظَامَ مَحْفِلِهِ وَسَيْفَ يَمِينِهِ
وَفَخَارَهُ السَّامِي الْعَلِي الأصْوَنَا

يَهْنِيكَ دُرَّةُ عِقْدِ مُلْكٍ ضَمَّهَا
الْفَحْلُ السَّرِيُّ حَسْنَاءَ لاقَتْ أحْسَنَا

الأسْعَدُ الأرْضَى الْحُسَامُ الْمُنْتَضَى
أبْهَى وَأكْمَلُ مَنْ تَسَمَّى وَاكْتَنَى

فِي طَالِعِ السَّعْدِ الْقَمِينِ بِأنْ تُرَى
أنْجَالُهُمْ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ فِي السَّنَا

1) «الحلاحل» : السيد في عشيرته . الشجاع .

وَأفَضْتَ يَوْمَيْنِ سِجَالَ نَوَالِكُمْ
فِي الْمُعْتَقِينَ فَكُلُّهُمْ نَالَ الْغِنَى(2)

وَغَمَرْتَهُمْ بِالْجُودِ قَبْلَ سُؤَالِهِمْ
لِلَّهِ دَرُّكَ كَيْفَ لَوْ قَالُوا اعْطِنَا(3)

وَرَقَعْتَ لِلأزْوَاجِ مَا قَدْ عَاقَهُمْ
عَنْ لُبْسِ أثْوَابِ الْغِنَى ثَوْبَ الْعَنَا(4)

وَجَمَعْتَ شَمْلاً لِلْمُهَيْمِنِ خَالِصاً
أضْحَى بِشُكْرِكَ فِي الْبَرِيَّةِ مُعْلِنَا

فَرِحَتْ بِهِ الأحْيَاءُ فِي عَرَصَاتِهِمْ
وَسَرَى السُّرُورُ بِهِ إلَى أهْلِ الْفَنَا

جَازَاكَ مَنْ أوْلاكَ خُلْقاً رَائِقاً
وَهُوَ الْمَلِيُّ فَكُنْ بِذَا مُتَيَقِّنَا

وَإلَيْكَهَا غَرَّاءَ لَوْ قَالُوا لَهَا :
مَنْ فَازَ فِي يَوْمِ الْهَنَا ؟ قَالَتْ : أنَا

مَا ضَرَّهَا حَسَدُ الضَّرَائِرِ إذْ أتَتْ
مِنْ أوَّلِ الْخُدَّامِ مُحْكَمَةَ الْبِنَا

تَتْلُو قَدِيمَ فَخَارِكُمْ وَحَدِيثَهُ
إذْ كَانَ فِكْرِي مِنْ عُلاكَ تَلَقَّنَا

2) لهذا البيت وما بعده كما للكثير من شعر المسعودي قيمة وثائقية تاريخية لا تنكر بما هناك من تصوير لاوضاع المجتمع التونسي في عصره .
وفي الصدر زحاف مستنكر في التفعيلة الثانية من الكامل ، حيث جمع بين الاضمار والطي قال ذلك الى الخزل ، مما حوّل (متفاعل) الى (مفتعل) . ومثل هذا التصرف العروضي الشاذ مألوف أيضا لدى المسعودي .

3) اضطر الشاعر على عادته الى تخفيف همزة (افعل) القطعية في الامر مراعاة للوزن .

4) المراد بالغنى هنا الزواج من غني الرجل ، أي تزوج .
و «العنا» المراد به العناء وهو الفقر الخصاصة النصب وشظب العيش . يقول : إنك رقعت ثوب ضرهم وفاقتهم بعطاياك فمهدت للمعسرين أسباب التزوج . وهو معنى لا يخلو من طرافة .

دُمْ سَيِّـدِي في نعْمَةٍ وَسَعَـــادَة
مَا أنْشَدَ الشَّادِي القَـرِيضَ وَلَحَّنَـا

بمُحَمَّـدٍ وَبِـآلِه وَبِصَحْبِـــه
وَبِمَنْ بأخْـذِ طَرِيقِهِـمْ نَالَ الْمُنَـى

— 34 —

وكتب على عنوان القصيدة (1) قولـه :

[البسيـط]

السَّعْـدُ أقْبَـلَ بالْهَنَـــا
وَالْبَخْـتِ فـي يَـوْمِ الْبِنَـــا

وَأتَــاكَ يَبْسَـمُ ضَاحِكـــا
رَقَـمَ الْكِتَـابَ وَعَنْـوَنَـــا

فَا سْعَـدْ وَدُمْ وَاسْلَم وَسُدْ   وَاخْلُـدْ وَعِشْ حَاوِي المُنَى

1) يريد القصيدة قبله .

— 35 —

تهنئة الْوزير خير الدّين بإتمام بناء قصر الكـرم وتـاريخـه★ :

[البسيـط]

للهِ قَصْـرٌ بَـدِيـعٌ فَوقَ مَا أصِـفُ
حَفَّتْ بـهِ غُرَفٌ منْ فَوْقِهَـا غُـرَفُ

حَـوَى المحاسنَ وَالأضْـدَادَ وَاجْتَمعتْ
بــه لعـزّته الألْطَافُ وَالطّـــرفُ

يستأْذنُ الْمـوْجَ في تقْبيـل ساحتـه
فيخْتبي فيـه ثـانٍ ثُـمَّ ينْصَـرِفُ

★ قصيد نظمه الشاعر وتقدم به للوزير خير الدين مهنئا له بإتمام بناء قصره بناحية الكرم عام 1280 وفي ذلك العصر اتخذ الوزراء بيوت سكناهم في الضواحي الشمالية بالعاصمة التونسية . فمن حلق الوادي (الملوك وخير الدين) الى الكرم (مصطفى اغا) وزير الحرب الى قرطاجنة (مصطفى خزندار) الى المرسى مقر الامراء ونخبة أخرى من وزراء وأعيان .

الخورنق : موضع في العراق قرب النجف سكنه بنو أياد في بدء القرن الرابع ، عمر فيه نعمان اللجمي قصرا ببني ساسان ، ووسعه العباسيون وخرب في القرن 14 وشاد بذكره الشعراء .

غمدان : قصر في صنعاء اليمن كان يعتبر من عجائب الدنيا ، خربه الاحباش في حربهم مع اليمن سنة 525 .

السدير : قصر في الحيرة قريب من الخورنق اتخذه النعمان الاكبر لبعض ملوك العجم . ذكره شعراء الجاهلية . قيل اسمه السدير لكثرة شجره ونخله .

الزهراء : قصر الزهراء بالاندلس والزهراء : مدينة في الاندلس بناها عبد الرحمان الثالث وخلفاؤه بأعمدتها الرخامية المستوردة من روما والقسطنطينية وقرطاجنة ، خرب في ثورة البربر (1010) .

سميدع : السيد الكريم الشريف الشجاع .

الضّبّ (1) والنّونُ في أفْنائه جُمعتْ (2)
وَالرّكْبُ وَالْفُلْكُ عنْ أعْتابه تقفُ (3)

وَللبلاَبل في أدْوَاحه طرَبُ
بكُلّ غُصْنٍ وَريقٍ زَانهُ الْهيفُ (4)

وَعيْنُ زَغْوَانَ ما زَاغتْ وَلاَ برحت
بكُلّ فوّارَةٍ خرّارَةٍ تكفُ

رَوْضٌ أريضٌ وَبُسْتانٌ وَطيبُ شذى
وَساحلٌ وجوَارٍ فيه تختلفُ

أهكذَا الشعْبُ أمْ قصْرُ الْخوَرْنق أمْ
غُمْدَانُ أمْ ما بنو مرْوَانَ قدْ رَصَفُوا

أم السّدير أم الزّهْرَا تُشاكلُهُ
كلاّ وَلوْ بالغَ الْوُصّافُ أوْ صَلفُوا (5)

1) «الضب» : حيوان من الزحافات ذنبه كثير العقد . ومن أمثالهم : «أعقد من ذنب الضب» .

2) كذا ورد بالاصل . والصواب «جمعا» بتثنية الفعل بعد الضب والنون ، وإنما المراد بجمع القصر بين الضب والنون هو حسن موقعه الجامع بين مشهدي البر والبحر ، ذلك من قبيل الكناية ، لا أن يكون الضب وهو من هوام الصحراء موجودا بشاطيء الكرم ، كما ذهب إليه المعلق . وورود مثل هذا التعبير المجازي مطرد في أشعار العرب .
وقد استعمل المسعودي في العجز «عن» بمعنى (عند) على عادته في العبث بأحرف الجر تبعا للضرورة ويصحح صدر البيت كما يلي :
الضب والنون في أفنائه جمعا ...

3) «الركب والفلك عن اعتابه تقف» أي شيد هذا القصر على شاطيء البحر متصلا بمائه .

4) الهيف : مصدر هاف الغلام ، أي ضمر بطنه ورقت خاصرتاه فهو أهيف .

5) صلف : تمدح بما ليس فيه أو عنده وادعى فوق ذلك إعجابا وتكبرا فهو صلف .

أمْ مثْلُ مُنْشيه خيْرَ الدين وَهْو كما
سمّوْهُ خيْرًا وَفضْلا ما لهُ طرفُ

شهْمٌ سَمَيْدَعٌ (6) فذّ أرْوَعٌ فطنٌ
رَوْضٌ نضيرٌ وَعطْرٌ زَاهرٌ أنفُ

حدّثْ عن الْبحْر أوْ منْ زَانَ ساحلهُ
بباذخٍ شامخٍ بالْحُسْن يلْتحفُ

لاَ زَالَ في نعْمةٍ تزْدَادُ مُقْبلَةً
وَللتّهاني بكأْس الْعزّ يرْتشف

وَدَامَ فيه عزيزَ الْقدْر ذَا شرَف
وَالْفالُ صَدّقَ إذْ تاريخُهُ : شرَفُ

[1280 هـ]

6) السميدع : السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الاكناف .

المكتبة الوطنية

— 36 —

قال مـؤرخاً بناء السقاية التي أحدثهـا الـوزير خيـر الـدين في باب رادس :

[الطـويـل]

هُوَ السَّلْسَبِيلُ العَذْبُ مَهْمَا سَطَا الحَرّ
كَسَلْسَالِ ثَغْرٍ عَنْ لآلِيهِ يَفْتَرّ

هُوَ الأَوْحَدُ البَاشَا المُنْعِمُ أَحْمَدٌ
مُشِيرُ البَرَايَا الأَنْجَدُ الأَمْجَدُ الصدرُ

بِهِ فَازَ خَيْرُ الدِّينِ بِالأَجْرِ وَالثَّنَا(1)
أَخُو المَأثُرَاتِ [الشَّفْعِ] (2) وَالسُّؤْدَدِ الوِتْرِ

وَأَوْحَدُ قَوَاتِ المَقَامَاتِ عِنْدَ مَنْ
لِدَوْلَتِهِ عِزٌّ مَضَى قَبْلَهَا الفَخْرُ

1) بالاصل «والبني» وهو لا يستقيم وإنما هو الثنا مقصورا من الثناء ، فهو يفوز بالاجر من الله ، ويقابله الثناء من طرف الناس .

2) بياض بالاصل يمكن أن تسده كلمة «الشفع» التي يقابلها ويفسرها لفظ «الوتر» . يقول : إن ماثره شفع لكثرتها ، ولكن سؤدده وتر أي فريد لا يشاركه فيه غيره . وقد سبق للشاعر أن أورد نفس المعنى بخصوص الصادق باي إذ يقول :

هو الصادق الباشا المثير محمد   أخو الحسنات الشفع والسؤدد الوتر

فَجَازَاهُ رَبُّ العَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ
شَرَاباً طَهُوراً(3) حَسْبَمَا وَرَدَ الذِّكْرُ
وَقَابَلَ رَبَّ العَرْشِ بِالشُّكْرِ سَعْيَهُ
وَدَامَ قَرِيرَ العَيْنِ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ
وَبَشَّرَهُ حَقّاً بِالقَبُولِ وَهَنِّهِ
فَقَدْ جَاءَ فِي تَارِيخِهِ : طَيِّبُهُ البِشْرُ .

[.... 1256 هـ ....]

— 37 —

تهنئة الـوزيـر خير الدين بالقدوم من باريس :

[الكامـل]

بُشْرَايَ هَا قَدْ نِلْتُ مَا يُرْضِينِي
وَبَلَغْتُ مَا أَرْجُو وَقَرَّتْ عَيْنِي
وَرَفَلْتُ فِي ثَوْبِ الهَنَاءِ (1) مُؤَمِّلاً
مِمَّا أُؤَمِّلُ وَالسُّرُورُ قَرِينِي
وَالدَّهْرُ أَنْجَزَ مَطْلَباً أَلْوَى(2) بِهِ
دَهْراً وَقَضَى لِي جَمِيعَ دُيُونِي
بِقُدُومِ فَخْرِ المُلْكِ إِنْسَانِ الدُّنَى (3)
حَلْيِ الزَّمَانِ الصَّدْرِ خَيْرِ الدِّينِ

3) يشير لقوله تعالى «وسقاهم ربهم شرابا طهورا» سورة الانسان (21) .

1) كذا بالاصل وهو تشويه واضح ممكن إصلاحه بكلمة (ملا) وبذلك يستقيم المعنى . يقول : (مملا مما أؤمل) أي محققا أقصى ما كنت أمله .

2) الوى الرجل بحق فلان وجحده ويعني : أن الدهر أنجز ما يطلبه الشاعر بعدما جحده وماطل به .

3) الدنى : مفرده دنيا . يعني : أن خير الدين عزيز كإنسان العين . وإنسان العين هو ما يرى في سوادها .

وَافَى كَمَا وَرْدُ الرَّبِيعِ مُظَفَّرا
يَخْتَالُ فِي بِشْرٍ وَضَوْءِ جَبِينِ
فَاخْتَارَهُ الْمَوْلَى الْمُشِيرُ لِرُتْبَةٍ
كَانَتْ تَتُوقُ (4) إِلَيْهِ مُنْذُ سِنِينِ
وَأَرَاهُ مِنْ تَشْرِيفِهِ مَا قَدْ بَدَا
لِلنَّاظِرِينَ وَزَادَ فِي التَّمْكِينِ (5)
فَالصِّهْرُ (6) لِلْمَوْلَى الْوَزِيرِ كَفِيلُهُ
وَمَحَلُّ غِبْطَةِ وِدِّهِ الْمَخْزُونِ
وَأَمِينُ مَجْلِسِهِ وَغَرْسُ نَبَاتِهِ
وَيَمِينُهُ وَحُسَامُهُ الْمَسْنُونُ (7)
سَهْمٌ تَفَوَّقَ مِنْ كِنَانَةِ (8) مَجْدِهِ
وَفَرِيدَةٌ مِنْ سِلْكِهِ الْمَكْنُونِ
سَيْفُ الْجِدَالِ مَعَ الْجِلَادِ وَقَلَّمَا
جُمِعَا مَعاً وَالضَّبَّ دُونَ النُّونِ
مَرْآهُ يُعْرِبُ عَنْ كَرِيمِ نِجَارِهِ (9)
فَانْظُرْ لَهُ تَسْتَغْنِ عَنْ تَبْيِينِ
يَا ذُخْرِيَ الأَسْنَى وَمَالِكَ مُهْجَتِي
وَمُقَلِّدِي الْفَضْلَ الَّذِي يُرْضِينِي

4) تتوق : تشتاق إليه الرتبة لانه أهل لها .
5) يشير بذلك الى ولايته وزارة الحرب في عهد دولة محمد الصادق باي عندما كان مسافرا الى فرنسا للقيام بتلك المهمة .
6) الوزير خير الدين صهر للوزير خزنه دار لان خير الدين تزوج ابنة خزندار .
7) «المسنون» لا يمكن قراءته بغير رفع النون ، وهو إقواء فاحش في القافية ، وهو عيب كثيرا ما وقع فيه المسعودي . وتركيب الجملة في هذا البيت والذي قبله غريب في وضعه مما يستدعي تقدير بعض الالفاظ لتصور المعنى .
8) الكنانة : جعبة من جلد أو من خشب تجعل فيها السهام .
9) يعني أن محياه ينبيء انه عريق في النسب وصفاء الاصل .

دُمْ لِلتَّهَانِي وَالْبَشَائِرِ مَالِكاً
رِقَّ الأَمَانِي فِي قَرَارٍ مَكِينِ
فِي رِفْعَةٍ مَقْرُونَةٍ بِسَعَادَةٍ
مَعْ حُسْنِ عُقْبَى الْخَتْمِ بِالتَّأْمِينِ

— 38 —

تهنئة الوزير خير الدين★ بولاية الوزارة الكبرى :

[الوافر]

لِخَيْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا الْهَنَاءُ
يُصَاحِبُهُ وَدَامَ لَهُ الْبَقَاءُ
بِدَسْتِ لِلْوَزَارَةِ قَدْ تَلَقَّى
عُلاَهُ بِمَا يُحِبُّ وَمَا يَشَاءُ
وَعَمَّ النَّاسَ بُشْرَى قَدْ تَرَاءَتْ
بِأَوْجُهِهِمْ وَمَا فِيهَا خَفَاءُ
تَضَافَرَتِ الْحَوَاضِرُ وَالْبَوَادِي
وَأَرْبَابُ السِّيَاسَةِ وَالرِّعَاءُ

★ أصل هذا الوزير من الجراكسة القاطنين بجبال القوقاز . نشأ بالقسطنطينية ثم شب في تونس بقصر أحمد باشا باي فاستكمل تعلمه حتى حذق العربية والفرنسية والتركية ، وقربه اليه الوزير مصطفى خزنه دار حتى صاهره على ابنته ، وكان أصيل الرأي فصيح اللسان حازما عفيفا ، فترقى في الرتب العسكرية حتى ولي أمير لواء الخيالة سنة 1286 . تولى عدة مناصب هامة في عهد محمد الصادق فشمر عن ساعد الجد للعمل الخلاق فنظم مصالح دواليب الدولة وتراتيب لاستخلاص المداخيل الحياتية المختلفة . وسن تشاريع لمراقبة الموظفين والمسؤولين وإصلاح الوظيفة العمومية لكن أيدي العابثين والحساد كانت تحاول بسائر الطرق ومختلف الاساليب الشيطانية الصيد في الماء العكر والتحريش بهذا المصلح الكبير وتنفير الامير منه حتى اضطر إلى الاستعفاء من مناصبه . وسافر الى تركيا هو وعائلته وترقى في عناية الخليفة عبد الحميد الى أن أصبح صدرا أعظم ، ولكنه لما حاول توسيع سلطته ليضع حدا لاستبداد السلطان عبد الحميد عزل من منصبه . وتوفي في اسطنبول رحمه الله رحمة واسعة (تاريخ ابن أبي الضياف) .

وَنَادَوْا بِالدُّعَاءِ بِكُلِّ خَيْرٍ
فَقِيلَ لَهُ : لَقَدْ قُبِلَ الدُّعَاءُ
إِذَا الانْسَانُ أَخْلَصَ فِي مَسَاعٍ
تَوَالَى الْخَيْرُ وَامْتَلأَ الْوِعَاءُ
وَشَاهِدِيَ الْعِيَانُ وَمَا جَنَتْهُ
أَنَامِلُ مَعْشَرٍ طَابَ اجْتِنَاءُ
مَحَاسِنُ تُنْشِطُ الْمُدَّاحَ حَتَّى
يُجِيدُوا وَالْجَمِيعُ بِهَا سَوَاءُ
أَلَسْتَ بِهَا الأَحَقَّ وَأَنْتَ أَهْلٌ
لأَنْ يُعْطَى الْجَمِيعُ بِكَ الرَّجَاءُ
وَأَنْتَ لَهُمْ وَكَمْ أَغْنَيْتَ فِيهَا
إِذَا مَا ضَاقَ فِي خَطْبٍ فَضَاءُ
بِهِمَّةِ صَادِعٍ بِلِسَانِ صِدْقٍ
تُزَيِّنُهُ الْبَلاَغَةُ وَالْمَضَاءُ
وَأَنْتَ مُبَاشِرٌ وَالآنَ نَرْجُو
بِعَزْمِكَ مَا يَزِيدُ بِهِ الثَّنَاءُ
لَقَدْ جَازَاكَ فِي الأُولَى وَحَقّاً
يُضَاعَفُ حِينَ تَنْصُرُهُ الْجَزَاءُ
إِلَى أَنْ نُبْصِرَ الْخَضْرَا اسْتَقَرَّتْ
مِنَ الْمَسْرَى (1) وَطَابَ بِهَا الثَّوَاءُ

1) المسرى : مصدر سرى أي سار ليلا ، فشبه الشاعر سير الحالة التونسية في ذلك العهد بالماشي في ظلام الليل رغم ما بذله خير الدين من الجهد في إصلاح الحالة السيئة التي سببها تصرف الوزير خزندار وأمثاله وزاد عليها خبث الوزير مصطفى بن إسماعيل حتى انتهى الامر الى الاستعمار والهوان .

أَيَا مَوْلاَيَ هَذَا الْعَبْدُ وَافَى
يُهَنِّي وَالسُّرُورُ لَهُ رِدَاءُ
يُقَرِّرُ مِنْ كَمَالِكَ مَا عَلِمْنَا
وَيَسْأَلُ أَنْ يَدُومَ لَكَ الْبَقَاءُ
إِلَى أَمْثَالِهِ مَا دَامَ تَبْدُو
أَهِلَّتُهُ وَأَنْتَ لَهَا السَّنَاءُ(2)
يَنُوبُ عَنِ الْمُقَصِّرِ فِيكَ مِثْلِي
وَمِثْلُ عُلاَكَ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَيُنْشَرُ عِنْدَكَ التَّارِيخُ قَصْداً :
لِخَيْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا الْهَنَاءُ(3)

— 39 —

تهنئة الوزير خير الدين بالشفاء بتشطير أبيات من قصيدة المتنبي :

[البسيط]

(الْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ)
وَالْمَجْدُ وَالدَّسْتُ وَالتَّوْقِيعُ وَالْقَلَمُ(1)
وَسُرَّ كُلٌّ بِمَا أُوتِيتَ مِنْ فَرَجٍ
(وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ)
(صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الأَحْوَالُ وَابْتَهَجَتْ)
بِكَ الْوِزَارَةُ وَاهْتَزَّتْ لَكَ الْهِمَمُ

2) «السناء» : الرفعة والضياء .
3) التاريخ الابجدي هنا لا ينطبق على تاريخ ولاية خير الدين للوزارة الكبرى سنة (1290 هـ/1873 م .)

1) العجز محل نظر حيث تكرر في أوله لفظ (المجد) الوارد في أول الصدر المقتبس عن المتنبي فلعل هذه اللفظة محرفة عن غيرها وفي نسخة أخرى الجد .

وَعَادَهَا عِيدُ أُنْسٍ مِنْكَ وَاتَّصَلَتْ
(بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ)
(وَرَاجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَهَا)
لَمَّا أَطَافَتْ بِكَ الأَلْطَافُ وَالنِّعَمُ
وَعَادَ لِلْبَدْرِ نُورٌ حَفَّ هَالَتَهُ
(كَأَنَّمَا فَقْدُهُ فِي جِسْمِهِ سَقَمُ)

(وَلاَحَ بَرْقُكَ لِي مِنْ عَارِضَيْ عَلَمٍ)
وَأَنْتَ وَاللهِ ذَاكَ الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ
مَا يَنْزِلُ الْوَبْلُ إِلاَّ عِنْدَ مَنْطِقِهِ
(مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ)
يُسْمَى بِخَيْرٍ لِدِينٍ أَوْ لِمَمْلَكَةٍ
أَبْدَاهُ مَالِكُهَا فَانْجَابَتِ الظُّلَمُ

ذَاكَ الْمُشِيرُ الَّذِي لاَ نِدَّ يُشْبِهُهُ
(وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ)
تَفَنَّنَ الْكُلُّ فِي تَفْضِيلِ غُرَّتِهِ
وَزِيدَ مِنْ بَعْضِهِمْ فِي ذَلِكَ النَّغَمُ
تَسَاهَمُوا كَيْفَ شَاؤُوا فِي مَحَاسِنِهِ
(وَشَارَكَ الْعُرْبَ فِي فَخْرٍ بِهِ الْعَجَمُ)

(وَأَخْلَصَ اللهُ لِلإِسْلاَمِ نُصْرَتَهُ)
وَلِلْمُشِيرِ إِذَا مَا أُخْفِرَتْ ذِمَمُ
لِكَيْ نَرَى كُلَّ مَا كُنَّا نُؤَمِّلُهُ
(وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آلاَئِهِ الأُمَمُ)
(وَمَا أَخُصُّكَ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ)
قَدْ سُرَّ مِنْهَا الْوَرَى وَالسَّهْلُ وَالعَلَمُ

إِذَا سَعِدْتَ فَكُلَّ النَّاسِ قَدْ سَعِدُوا
(وَإِنْ سَلِمْتَ فَكُلَّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا)

— 40 —

وقال رحمه الله تعالى مهنئا لسان الدولة أمير الأمراء الشيخ أحمد ابن أبي الضياف ومؤرخاً إتمام برجه الكائن بمرسى العبدلية :

[الكامل]

بُرْجٌ تَجَلَّى بِالْمَسَرَّةِ وَالْهَنَا
وَبَدَا بِمَا بَهَرَ الْعُيُونَ مِنَ السَّنَى
وَسَمَا عَلَى شَرَفٍ مَرِيعٍ مُخْصِبٍ
وَالْتَفَّ بِالأَغْصَانِ دَانِيَةِ الْجَنَى
تَنْسَابُ فِيهِ مِنَ الْمَعِينِ جَدَاوِلٌ
تَشْفِي الصَّدَى وَتُزِيلُ أَنْوَاعَ العَنَا(1)
وَالطَّيْرُ تُنْشِدُ فِي مَنَابِرِ قُضْبِهِ :
«الْحُبُّ عَاقَ عَنِ الْكَلاَمِ الأَلْسُنَا»
وَمَهَابَةُ الأُسْتَاذِ زَادَتْ عُجْمَتِي
فَلَوِ اسْتَطَعْتُ صَدَحْتُ جَهْرًا بِالثَّنَاء
فِي حَضْرَةِ الْعَلَمِ الْهُمَامِ الْمُرْتَضَى
وَالْجَوْهَرِ الْغَالِي الْمَصُونِ الْمُقْتَنَى
رَبِّ الْبَرَاعَةِ وَالْيَرَاعَةِ وَالْحِجَى
وَالْجَهْبَذِ الأُسْتَاذِ أَوْحَدِ عَصْرِنَا

1) العجز مقتبس أو مستلهم بمنتهى البراعة من قول أبي الطيب المتنبي في طالع قصيد له : «الحب ما منع الكلام الالسنا» ولكن الشاعر التونسي حوله من لهجة التقرير والتحليل الفلسفي الى صيغة الشكوى والبوح .

أعْني أبَا العَبَّاسِ أحْمَدًا(2) بْنَ مَنْ
يُكْنَى أبَا الأضْيَافِ منْ بَيْنِ الْكُنَى
لاَ زَالَ في نعَمٍ بمَا أبْدَاهُ في
بُسْتَانِهِ هَذَا وَنَالَ منَ الْمُنَى
في ظلِّ أمْنٍ سَابغٍ مُتَوَاصِلٍ
تَحْظَى بهِ الْقُرْبَى وَأوْلُهُمْ أنَا
وَلسَانُ حَالِ الْفَأْلِ قَالَ مُصَرِّحًا
أرِّخْ : بِبُرْجٍ بِالْمَسَرَّةِ وَالْهَنَا(3)

— 41 —

قال رحمه الله يمدح الأستاذ الشيخ ابراهيم الرياحي عند ختمه لكتاب «شرح القسطلاني على البخاري» بجامع صاحب الطابع :

[الكامل]

وَجْهُ التَّهَانِي الْيَوْمَ أصْبَحَ مُسْفِرًا
وَالْكَوْنُ أشْرَقَ وَالْفَضَاءُ تَعَطَّرَا
وَالسَّعْدُ حيًّا وَالْمَسَرَّةُ أقْبَلَتْ
وَالأفْقُ كَلَّلَهُ السُّرُورُ كَمَا تَرَى
وَبتُونسَ الإينَاسُ أسْفَرَ صُبْحُهُ
وَاهْتَزَّ رَوْضُ الصَّالحَاتِ وَنَوَّرَا
وَبَدَا بإبْرَاهيمَ بُرْءُ هُمُومنَا
شَيْخُ الشُّيُوخِ الْقُطْبُ مصْبَاحُ الْوَرَى
رُكْنُ الشَّرِيعَةِ فَخْرُ ملَّةِ أحْمَدٍ
صَدْرُ الثِّقَاتِ الْكُمَّلِ الشُّمِّ الذُّرَى

2) جاء «أحمد» مصرفا منونا للضرورة ، وبذلك يستقيم الوزن ، وهو مطرد في الشعر .
3) هذا التاريخ الابجدي لا يتطابق مع الواقع . فهل حصل تحريف ؟

عَلَمُ الألَى بَثُّوا الْعُلُومَ وَخَيْرُ مَنْ
قَدْ أمَّ محْرَابًا وَنَوَّرَ منْبَرَا
يَجْلُو دُجَى الأشْكَالِ ثَاقبُ فَهْمِهِ
فَتَرَاهُ بَعْدَ الْيَأْسِ أصْبَحَ نَيِّرَا
وَيُجيلُ في النُّكَتِ الْعَوِيصَةِ ذهْنَهُ
فَيَشُقُّ كَوْكَبُهُ الْعَجَاجَ الأكْدَرَا
وَيُبَيِّنُ أسْرَارًا تَكَادُ لحُسْنِهَا
حقًّا تُبَاعُ بهَا النُّفُوسُ وَتُشْتَرَى
أشْهَى عَلَى الأسْمَاعِ منْ نَيْلِ الْمُنَى
وَألَذَّ في الأجْفَانِ منْ سنَةِ الْكَرَى
كَمْ قَدْ لَبِسْنَا منْ مَصُوغِ عُقُودِهَا
دُرًّا نَفيسًا في الرِّقَابِ وَجَوْهَرًا
وَكَمِ اقْتَطَفْنَا منْ أزَاهرِ رَوْضِهَا
حَتَّى لَبِسْنَا الْعَيْشَ ثَوْبًا أخْضَرَا
وبِدَرْسِكَ الْجُعْفيِّ (1) كَمْ أوْضَحْتَ منْ
نُكَتٍ تَدقُّ عَلَى الْعِيَانِ فَمَا تُرَى
وَسَلَكْتَ منْهُ مَهَامهًا وَتَنَائفًا
يُضْحي الْخَبيرُ بِبَعْضِهَا مُتَحَيِّرَا
وَسَرَيْتَ ذَا جدٍّ لحَلِّ رُمُوزِهِ
وَالآنَ حَانَ بخَتْمه حَمْدُ السُّرَى(2)
فَلَكَ الْهَنَاءُ مُقَدَّمًا وَلَنَا بكُمْ
وَلمَنْ يَخُصُّكَ بالْودَادِ وَللْوَرَى

1) يريد درس «الجامع الصحيح» لمحمد الجعفي وهو المعروف بالامام البخاري .
2) العجز يشير إلى قولهم في المثل : «عند الصباح يحمد القوم السرى» .

وَجَزَاكَ رَبُّكَ خَيْرَ مَا جَازَى بِهِ
وَأَطَالَ عُمْرَكَ كَيْفَ شِئْتَ وَأَكْثَرَا
وَبَقِيتَ شَمْسَ ظَهِيرَةٍ تُجْلَى بِكُمْ
شُبَهُ الضَّلَالِ وَدُمْتَ غَيْثاً مُمْطِرَا

وَإِلَيْكَ مِنْ جُهْدِ الْمُقِلِّ مَحُوكَةً
مِنْ خَاطِرٍ مَنَعَ الْعَنَا أَنْ يَخْطُرَا
وَقَرِيحَةٍ خَمَدَتْ وَدَهْرٍ غَالَنِي
مِنْ غُولِهِ مَا صَدَّ عَنْ أَنْ نَصْبِرَا

بَلَغَ الزُّبَى تَيَّارُهُ فَاسْمَحْ بِمَا
يُنْجِي الْغَرِيقَ وَكُنْ أَجَلَّ مَنِ اشْتَرَى
فَإِذَا مَدَدْتَ وَدُودَكُمْ بِدُعَائِكُمْ
أَعْدَدْتَ مِنْهُ إِلَى الْمُعَانِدِ عَسْكَرَا

وَبَلَغْتُ آمَالِي لِصِدْقِ طَوِيَّتِي
فِيكُمْ وَعِشْتُ مَحَلاً (3) لَنْ أَحْذَرَا
لَا زِلْتَ فِي أُفُقِ السَّعَادَةِ نَيِّرَا
تَجْلُو بِهِمَّتِكَ الْمُهِمَّ الأَكْبَرَا

3) كذا ورد العجز في الاصل ولكي يستقيم وزنا ومعنى يمكن التصحيح بكلمة (محللا) من قولهم : حلله ، أي جعله في حل من المطالب والتكاليف .

وقالَ رحمه الله تعالى مادحا استاذه الشيخ ابن سلامة(1) عند ختم «الشفاء» :

[المتقـــــارب]

ساعفتْ (2) بالوِصَالِ ونيل الأملْ	وَزَارَتْ علىَ رَغْمِ مَنْ قَدْ عَذلْ
وَحَيَّتْ وَأَحْيَتْ حَبِيبًا بِهِ	مِنَ الشَّوْقِ مَا لَفْظُه لاَ يَقُلْ
تَبَدَّلَتِ الغُنْجَ عَنْ كُحْلِهَا	وبِالدَّلِّ عن حَلْيِهَا وَالحُلَلْ
وتَبْسَمُ عَنْ مِثْلِ نَظْمِ الجُمَا	نِ وَتَرْمِي المُقَاوِي بِسَيْفِ المُقَلْ
حَدِيثُ المُتَيَّمِ فِيهَا صَحِيحٌ	فَحَدِّثْ وَلَا تَخْشَ فِيهِ المَلَلْ
لَحَى اللهُ (3) لَاحِيَّ عَنْ حُبِّهَا	أمَا يَعْرِفُ الوَجْهَ أوْ يَسْتَدِلْ
دَلِيلٌ عَلَيْهَا كَمِثْلِ الشِّهَا	بِ وَمِثْلِ «الشِّفَاءِ» بِإِثْرِ العِلَلْ
وَكَابْنِ سَلَامَةَ فِي فَضْلِهِ	وَقَدْ سَارَ فِي النَّاسِ سَيْرَ المَثَلْ
إمَامٌ تَسَامَتْ بِهِ تُونِسٌ	وَأَبْدَتْ بِهِ زِينَةَ المُحْتَفِلْ

وَبَوَّأَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ
مِنَ العِلْمِ وَالحِلْمِ فَوْقَ الأَمَلْ
إِذَا مَا تَصَدَّرَ فِي مَجْلِسٍ
تَرَى الشَّمْسَ حَلَّتْ بِبُرْجِ الحَمَلْ

1) ابن سلامة هو الشيخ محمد بن محمد الطيب بن أحمد بن علي بن سلامة التونسي النشأة الطرابلسي الاصل . فقيه مشهور . ولي القضاء بالحاضرة سنة 1200 هـ. ثم نقل الى خطة كاهية باش مفتي . وتوفي سنة 1266 هـ. ودفن بالمقبرة المنسوبة الى سيدي عبد العزيز المهدوي بالمرسى العبدلية ، بجانب الضريح المنسوب الى الشيخ عبد العزيز المهدوي . وكانت له صلة خاصة بالامير أحمد باشا .

2) يلاحظ تضخم فاحش في التفعيلة الاولى من المتقارب ، والمظنون أنه تحريف وتصحيحه : (سعت) وبذلك يستقيم الصدر معنى ووزنا .

3) «لحى الله لاحيَّ عن حبها» : معناه أضر الله من يعيبني ويلومني على حبها .

وإنْ بَسَطَ القَوْلَ فِي دَرْسِهِ   تَرَى كيف يُبْسَطُ رَقْمُ الحُلَلْ
وإنْ أخَذَتْ خَمْسُهُ لليَرَاعِ   تَرَى أهْلَهُ حَوْلَهُ كالخَوَلِ (4)
أيَا عَضُدَ الدِّينِ يا سَعْدَهُ   ويَا ناصِرَ الحقِّ سَامِي المَحَلْ
ومَالِكَ ما قَالَهُ مَالِكٌ   وتَالِيهِ في عِلْمِهِ والعَمَلْ
ومُلْقِيَ (5) مَا دَوَّنَتْهُ الكِرَامُ   ومُمْلِي أحَادِيثَ قُطْبِ المِلَلْ
لَكَ اللهُ مِنْ سَيِّدٍ دَأبُهُ   هُدَى مَنْ تَحَيَّرَ أوْ مَنْ يَضِلْ
هَنِيئًا بِمَا نِلْتَ مِنْ رُتْبَةٍ   فَأنْتَ المُكَافِي لَهَا والأجَلْ
وَهُنِّيتَ خَتْمَ كِتَابِ الشِّفَا   وَفُزْتَ بِنَيْلِ المُنَى عَنْ عَجَلْ
وَلاقَيْتَ رِضْوَانَ رَبِّ العِبَادِ   ورِضْوَانَ أحْمَدَ خَيْرِ الرُّسُلْ
وَلا زِلْتَ كَهْفًا مَنِيعًا لِمَنْ   يَلُوذُ بِعَلْيَاكَ شَمْسَ الدُّوَلْ
ونَيْلُكَ فَاضَ بِذَا كُلِّهِ   وأرِّخْ : بِنَيْلِ شِفَاءٍ حَصَلْ (6)

— 43 —

وقال رحمه الله مكاتبا أستاذه ابن سلامة :

[الخفيف]

يَا نَسِيمَ الرِّيَاضِ هَذَا عَلِيلٌ   ومُحِبٌّ تُبَلِّغِينَ سَلامَهْ
وتَلَطَّفْ فِي بَذْلِ عُذْرِ مُحِبٍّ   ولْتَقُلْ لِلذي يَقُولُ «سَلاَ»مَهْ (1)
الإمَامَ الهُمَامَ بَدْرُ الدَّيَاجِي
حُجَّةُ العَصْرِ شَيْخُنَا ابْنُ سَلاَمَهْ

4) كالخول : الخول العبيد والاماء وغيرهم من الحاشية .
5) وملقى ما دونته الكرام (في النسخة الاصلية «وموقي الخ ...») .
6) التاريخ الابجدي الوارد هنا غير مطابق للواقع .

1) سلامة ، معناه قل لمن يقول (نسيه وذهل عنه) مه ، أي اسكت فكلمة (سلامة) مركبة من لفظ (سلا) ولفظ (مه) .

فأنَا في الوَفَاءِ مِثْلُ يَزِيدٍ   حِينَ لاَمُوهُ في هَوَاهُ سَلاَمَهْ
بَشِّرِي سَيِّدِي بِنَيْلِ الأمَانِي   فَالتَّهَانِي قَدْ أقْبَلَتْ والسَّلاَمَهْ

— 44 —

وقال يرثي شيخ الإسلام الحنفي أبا عبد الله سيدي محمد ابن الخوجة سنة 1279هـ :

[الكامل]

نَبَأٌ عَظِيمٌ عَنْهُ قَدْ أعْرَضْتُمُ   أوَ لَيْسَ يا قَوْمُ المُخَاطَبُ أنْتُمْ
كَلاَّ لَقَدْ قَرَعَ المَسَامِعَ وَقْعُهُ   ودَنَا الرَّحِيلُ فَأيْنَ أيْنَ الأحْزَمُ
هَذِي الجِبَالُ عَلَى المَنَاكِبِ سُيِّرَتْ
هَذَا ثَبِيرٌ (1) رَاحِلٌ ويَلَمْلَمُ
هَذَا الذي فَجَعَ البَرِيَّةَ فَقْدُهُ
مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ فَضْلَهُ وَعَلِمْتُمُ
طَوْدٌ أشَمُّ مُحَمَّدُ بْنُ الخُوجَةِ الْـ   عَلَمُ الإمَامُ الألْمَعِيُّ الأكْرَمُ
صَدْرُ الشَّرِيعَةِ شَيْخُ الإسْلاَمِ الَّذِي
قَدْ كَانَ عَنْ سِرِّ الكِتَابِ يُتَرْجِمُ
وَخَلِيفَةُ النُّعْمَانِ (2) والجُعْفِي (3) وَمَنْ
تُلْفِيهِ فِي كُلِّ العُلُومِ يُقَدَّمُ
مَلأَ المَنَابِرَ وَالمَحَابِرَ نُورُهُ   وَبِفَضْلِهِ كَانَ الجَمِيعُ مُسَلِّمُ

1) «ثبير» وكذلك «يلملم» جبلان مشهوران بجزيرة العرب .
2) يريد به أبا حنيفة النعمان الامام الاعظم .
3) الجعفي : هو الامام البخاري رضي الله عنه .

حَلَفَ الزَّمَانُ لَيَأْتِيَنَّ بِمِثْلِهِ
كَفِّرْ يَمِينَكَ (4) مُسْرِعاً يَا مُقْسِمُ
مَنْ لِلْجَلاَلَةِ وَالْمَهَابَةِ بَعْدَهُ
مَنْ لِلصَّدَارَةِ صَرَّحُوا أَوْ جَمْجَمُوا
مَنْ لِلْبَرَاعَةِ وَالْيَرَاعَةِ، رَاعَهَا
صَرْفُ الرَّدَى وَأُقِيمَ فِيهَا الْمَأْتَمُ
مَنْ لِلْعَوِيصَاتِ الصِّعَابِ يَحُلُّهَا   مَنْ لِلْقَضَايَا قَدْ يُشِيرُ فَيُبْرِمُ
مِنْ ثُلْثِ قَرْنٍ ذَا وَخَمْسٍ قَدْ قَضَى
بِهُدًى وَأَفْتَى وَالدِّرَاسَةَ يَلْزَمُ
يَا رَاحِلاً وَالصَّبْرُ يَذْهَبُ إِثْرَهُ
وَالدَّمْعُ يَكْتُبُ كَيْفَ شَاءَ وَيَرْسُمُ
وَالأَرْضُ رَجَّتْ وَالقُلُوبُ تَصَدَّعَتْ
وَالأُفْقُ يُظْلِمُ وَالجَوَانِحُ تُضْرَمُ
أَبْشِرْ بِرِضْوَانِ الإِلَهِ بِمَضْجَعٍ   حَيَّاكَ فِيهِ السَّائِلُونَ وَسَلَّمُوا
وَأَرَوْكَ قَصْرَكَ فِي الجِنَانِ مُشَيَّداً
وَالرَّوْحَ وَالرَّيْحَانَ حَوْلَكَ نَظَّمُوا
وَتَرَكْتَ مِنْ أَرَجِ الثَّنَا مَا سَارَ فِي الْـ
آفَاقِ يُنْجِدُ عَاطِراً أَوْ يُتْهِمُ
وَعَظِيمُ فَقْدِكَ عَمَّ حَتَّى أَنْشَدَ الْـ
تَّارِيخُ لِي: فُقِدَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ (5)

[........................ 1279هـ ....]

4) يقال : كفر عن يمينه . ولكن المسعودي جعل الفعل متعديا للضرورة . وفي البيت تضمين لقول الشاعر المأثور :
حلف الزمان ليأتينّ بمثله   حنثت يمينك يا زمان فكفر
5) هذا التاريخ الابجدي تقابله سنة 1279 هـ.

— 45 —

وقال رحمه الله تعالى مؤرخا وفاة أمير الأمراء قاره عصمان صاحب الطابع ودفن بزاوية الشيخ سيدي عبد الوهاب بمنوبة * :

[الرمل]

قِفْ وَفَكِّرْ وَاجِماً مُسْتَعْبِراً   وَتَأَمَّلْ حَالَ مَنْ حَلَّ الثَّرَى
بَيْنَمَا المَرْءُ عَزِيزٌ آمِنٌ   يُصْبِحُ المِسْكِينُ فَرْداً بِالْعَرَا
إِنَّ فِي ذَا لَبَلاَغاً لامْرِىءٍ   شَاهَدَ الدُّنْيَا كَأَحْلاَمِ الكَرَى(1)
فَتَزَوَّدْ مِنْ قَلِيلٍ زَائِلٍ   لِمُقَامٍ شَامِلٍ كُلَّ الوَرَى
مِثْلَ هَذَا صَاحِبِ اللَّحْدِ فَقَدْ   كَانَ فِي الأَقْرَانِ مِسْكاً أَذْفَرَا
صَاحِبِ الطَّابِعِ عُثْمَانَ الذِي   كَانَ صَدْراً وَأَمِيرَ الأُمَرَا
ذَا جَمَالٍ وَجَلاَلٍ زَانَهُ   حُسْنُ بِشْرٍ كَنَسِيمٍ إِذْ سَرَى
وَخِلاَلٍ وَكَمَالٍ بَاهِرٍ   وَحَيَاءٍ عَنْ مَعَالٍ أَسْفَرَا
نَوَّرَ اللهُ تَعَالَى رَمْسَهُ   وَأَفَاضَ الفَضْلَ فِيهِ وَالقِرَى
وَاكْفِهِ يَا رَبِّ إِذْ تَارِيخُهُ:   اكْفِ عُثْمَانَ أَمِيرَ الأُمَرَا

[..........سنة 1286هـ. ....]

★ مرثية للمنعم قارة عصمان صاحب الطابع في الدولة الصادقية وهو المدفون بزاوية سيدي عبد الوهاب بمنوبة . وأصله من مماليك الوزير سليمان كاهية ، وقد تزوج على ما ألف في ذلك العصر بأميرة هي كريمة الامير حسين باي وأرملة الوزير شاكير صاحب الطابع ، وارتقى لرتبة صاحب الطابع وتوفي في جوان 1869 .
1) الكرى : النوم .

— 46 —

وقال رحمه الله تعالى مؤرخا وفاة الاكتب الشيخ حمدة الشريف دفين زاوية سيدي الحاري بالقلالين من تونس :

[البسيـــط]

أَقَبْرُ (1) ذَا أَمْ جِنَانٌ (2) قَدْ سَمَا شَرَفُهْ؟
وَمُلْحَدٌ أَمْ مَقَامٌ زُيِّنَتْ غُرَفُـــهْ؟
وَذَا مَحَلُّ الثَّوَى أَمْ ذَا الطَّرِيقُ إِلَــى
جَنَّاتِ عَدْنٍ؟ وَهَذَا الدُّرُّ بَلْ صَدَفُــهُ
لِمْ لاَ وَقَدْ حَلَّهُ مِنْ نَسْلِ فَاطِمَـــةٍ
فَـــرْعٌ كَرِيمٌ وَزَهْرٌ جَلَّ مُقْتَطَفُــهْ؟
مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الشَّرِيفِ إِلَــى
خَيْرِ الوَرَى حَيْثُ يَدْرِي الفَضْلَ مُعْتَرِفُهْ
مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُـــمُ
كُفْرٌ فَطُوبَى لِمَنْ كَانَتْ بِهِمْ زُلَفُهْ
وَجَاوَرَ الحَارِي تِلْمِيذَ ابْنِ عِيسَـــى وَذَا
بَــخٍ لِبَخٍّ وَفَضْلٌ بَـانَ مُرْتَدَفُـــهْ
فَزَادَهُ اللهُ نُعْمَـى لاَ زَوَالَ لَهَـــا
مُخَلَّدًا فِي جِنَانٍ (2) قَدْ دَنَتْ قُطُفُهْ (3)

1) إذا قرىء لفظ «قبر» في هذا الصدر منونا كما يقتضيه المعنى فسد الوزن ، فجرده الشاعر من تنوينه للضرورة .

2) و «جنان جاء به على أنه مفرد مذكر ، والواقع أن «جنان» جمع لجنة . وإنما جرى المسعودي في ذلك على عرف لهجة تونس التي تجعل من الجنان مفردا مذكرا بمعنى الجنة والبستان .

3) «قطفه» جمع لقطف . والصحيح : قطوفه . وجمعه على هذه الصيغة للضرورة .

بُشْرَاهُ بِالْفَوْزِ إِذْ لاَحَتْ بَشَائِـــرُهُ
وَحَسْبُـهُ أَنْ أَتَى تَارِيخُـهُ : شَرَفُـــهْ

[1285هـ.]

— 47 —

وقال رحمه الله مؤرخا وفاة قاره محمد★ :

[الطويـــل]

تَأَمَّلْ فَمَا إِلاَّ إِلَى الخَالِقِ البَقَـــا
وَلَوْ بَلَغَ المَخْلُوقُ أَبْعَدَ مُرْتَقَى
يَبِيتُ بِهَا فَوْقَ الأَرَائِكِ آمِنـــاً
وَيُصْبِحُ تَحْتَ الأَرْضِ مُفْتَرِشَ النَّقَا
فَسَلْ هَؤُلاَءِ الشُّمَّ مَاذَا دَهَاهُـــمُ
وَقَدْ كَانَ كُلٌّ يُسْتَغَاثُ وَيُتَّقَـــى
كَفَى بِهِمُ وَاللهِ يَـا صَاحِ وَاعِظـــاً
لِمَنْ كَانَ مِنْ لُقْيَاهُ للهِ مُشْفِقَـــا
كَهَذَا رَهِينِ الرَّمْسِ قَارَه مُحَمَّـــدٍ
أَمِيرِ اللِّوَا مَنْ كَانَ عَبْدًا مُوَفَّقَـــا
وَمَنْ كَانَ ذَا عِرْضٍ نَقِيٍّ وَمِقْــوَلٍ
صَدُوقٍ وَخِيمٍ زَادَ مَرْآهُ رَوْنَقَـــا
تَقَلَّبَ فِي جُلِّ الوِلاَيَاتِ وَانْثَنَـــى
بِطِيبِ الثَّنَا يَرْجُو النَّعِيمَ المُحَقَّقَـــا

★ كان رئيسا للمجلس البلدي في دولة الصادق باي .

كَرَابِطَةٍ مَعْ دَارِ ضَرْبٍ وَمَجْلِسٍ
بِهِ البَلَدُ المَحْرُوسُ زَانَ وَأَشْرَقَا (1)
وَصَاهَرَ رَبَّ الدَّسْتِ كَانَ سِقَاهُمُ
سَحَابٌ مِنَ الرِّضْوَانِ يَنْهَلُّ مُغْدِقَا
وَلَمَّا تَأَمَّلَ اخْتَارَ جِيرَةَ سَيِّدٍ (2)
يُرَافِقُهُ فَضْلاً إِلَى مَنْزِلِ البَقَا
فَطُوبَى لَهُ بِالحُسْنَيَيْنِ وَإِنَّهُ
شَهِيدٌ وَقِنٌ (3) حَازَ بِالعِتْقِ مَوْثِقَا
إِلَهِيَ أَنِسْ لَحْدَهُ وَامْحُ ذَنْبَهُ
وَقَابِلْهُ بِالغُفْرَانِ فِي مَوْقِفِ اللِّقَا
وَأَعْتِقْهُ وَاقْبَلْ فِيهِ فَأْلَ مُؤَرِّخٍ :
أَمِيرُ اللِّوَا قَارَةْ مُحَمَّدُ أُعْتِقَا.

[. . . . . سنة 1279 . . . .]

— 48 —

وقال رحمه الله تعالى مؤرخا وفاة زوجة الوزير خير الدين ابنة الوزير مصطفى خزندار :

[مجزوء الكامل]

قِفْ وَاعْتَبِرْ يَا ذَا البَصِيرَهْ   حَسْبُ اللَّبِيبِ يَرَى مَصِيرَهْ
هَذَا ضَرِيحٌ قَدْ حَوَى   رَوْضَاتِ جَنَّاتٍ نَضِيرَهْ

1) صدر هذا البيت يشير الى مؤسسات كانت قائمة في عصر المسعودي وهي الرابطة ودار ضرب النقود والمجلس البلدي . وفي العجز اضطر الشاعر الى استعمال «زان» بدلا من (ازدان) .
والرابطة : حصن عسكري مجهز بالعتاد الحربي خارج باب البنات اتخذ لمراقبة الوافدين على تونس من أهل الفساد .
2) خلل واضح في الوزن بزيادة متحرك وهو اللام من «تامل» .
3) بالاصل «قل» وهو تحريف لـ «قن» الذي هو العبد كما تفيده قرينة العتق . وفيه إشارة الى أن قارة مصطفى كان من طبقة المماليك .

فِيهِ الَّتِي لَوْ خُيِّرَتْ   نَالَتْ رَوْضَةً وَفِيهِ خِيرَةْ (1)
هَذَا نَعِيمٌ دَائِمٌ   وَمَنَاهِلُ الدُّنْيَا قَصِيرَةْ
كَكَبِيرَةٍ بِنْتِ الوَزِيـ   ـرِ المُصْطَفَى الصَّافِي السَّرِيرَةْ
زَوْجِ الوَزِيرِ الشَّهْمِ خَيْـ   ـرِ الدِّينِ خَيْرِ النَّاسِ سِيرَةْ
كَانَتْ حَصَاناً بَرَّةً   كَبُرَتْ وَإِنْ كَانَتْ صَغِيرَةْ
سَارَتْ إِلَى مَا سَرَّهَا بِشَهَا   دَةِ عُظْمَى خَطِيرَةْ
فَاللهُ يُجْزِلُ أَجْرَهَا   وَيَزِيدُهَا نِعَماً كَثِيرَةْ
سَارَتْ فَقُلْتُ مُؤَرِّخاً :   لِنَعِيمِ جَنَّاتٍ كَبِيرَةْ

[. . . . . سنة 1286 . . .]

— 49 —

وقال رحمه الله مؤرخا وفاة أمير لواء الخيالة أبي العباس أحمد★ شقيق الوزير مصطفى خزندار :

[الطويل]

تَرَحَّمْ فَهَذَا القَبْرُ قَدْ ضَمَّ أَحْمَدَا
حَلِيفَ العُلَى وَالمَجْدِ وَالبَأْسِ وَالنَّدَى
أَمِيرُ لِوَا الفُرْسَانِ مَنْ طَارَ صِيتُهُ
وَأَنْهَمَ فِي حُسْنِ الصَّنِيعِ وَأَنْجَدَا

1) هذا العجز لا يستقيم من حيث المعنى ولا من حيث الوزن ، وفي نسخة أخرى قالت «روضت وفيه خيره» وروضت بمعنى رويت .

★ أحمد خزنه دار : أصله من قرية سأفس بتركيا، قدم للعاصمة التونسية رفقة أخيه مصطفى الذي أصبح وزيرا فيما بعد . وقد خدم ركاب الامير مصطفى باي وتربى في السرايا حتى ارتقى الى رتبة أمير لواء الخيالة ، وكان نقي الغرض شجاعا كريما وفيا صادقا حسبما ترجم له الشيخ ابن أبي الضياف . وتوفي أثناء قيامه بمهمة حفظ الصحة العامة ، بمناسبة تفشي (الكوليرا) بتونس ودفن بسيدي عبد الوهاب في أوائل سنة 1266 وأواخر سنة 1849 مسيحي .

فَلَوْ خَلَّدَ الذِّكْرُ الجَمِيلُ ابْنَ آدَمٍ
لَأَصْبَحَ فِي ذَا القُطْرِ فَرْدًا مُخَلَّدَا

وَلَوْ دَفَعَ المَعْرُوفُ حَتْفَ امْرِئٍ لَمَا
تَقَلَّدَ مِنْ ثَوْبِ البِلَى مَا تَقَلَّدَا

وَلَوْ زَادَ فِي الآجَالِ حُسْنُ طَوِيَّةٍ
لَطَابَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمُدَّ لَهُ المَدَى

وَلَوْ كَانَ يُفْدَى بِالنَّفِيسِ فَدَيْتُهُ
وَأَعْطَيْتُهُ نَفْسِي وَأَنِّي لَهُ الفِدَى

مَضَى آمِلًا دَارَ السَّلَامِ مُسَلِّمًا
رَضِيًّا نَضِيرًا وَجْهُهُ مُتَشَهِّدَا

يَحُفُّ بِهِ جُنْدٌ حَيَارَى لِفَقْدِهِ
وَلَمَّا يَسُلُّوا المَشْرَفِيَّ المُهَنَّدَا

[فَلَيْتَ الرَّدَى] (1) سَامَ الفَوَارِسَ دُونَهُ
وَلَكِنْ سَهْمَ الحَتْفِ جَاءَ مُسَدَّدَا

فَبُوِّئَ مِنْ بُحْبُوحَةِ الخُلْدِ رَوْضَةً
وَرَوْحًا وَرَيْحَانًا وَعَرْفًا مُوَرَّدَا

جَزَاءً لَهُ عَنْ سِيرَةٍ وَسَرِيرَةٍ
تَعَوَّدَهَا الأَيَّامَ مَثْنَى وَمَوْحَدَا

وَعَنْ حُسْنِ ظَنٍّ بِالإِلَهِ لَوَ انَّهُ
تَمَثَّلَ فِي صَدْرِ امْرِئٍ مَا تَعَبَّدَ

وَجَاوَرَ هَذَا الشَّيْخَ حَيًّا وَمَيِّتًا
وَلِلْجَارِ حَقٌّ فِي الحَيَاةِ وَفِي الرَّدَى

1) بياض في الاصل بأول صدر البيت يمكن تلافيه بما ذكر باعتبار القرائن .

وَذَا لَحْدُهُ فِي الأَرْضِ أَرِّخْهُ : زَائِرًا
أَمِيرُ لِوَا الفُرْسَانِ أَحْمَدُ أُلْحِدَا.

[.......... سنة 1266 ....]

— 50 —

وقال رحمه الله تعالى مؤرخا وفاة الأكتب الحاج حمودة بوسن (★) :

[الطويل]

مُصَابٌ أَطَارَ النَّوْمَ عَنْ سَاحَةِ الجَفْنِ
فَجَادَ بِمَا يُغْنِي عَلَى صَيِّبِ المُزْنِ

أَفَاقَ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلُ غَافِلًا
وَحَيَّرَ مِنَّا ذَا سِنَانٍ وَذَا سِنٍّ

وَلِمْ لَا وَفِي فَقْدِ الأَحِبَّةِ وَاعِظٌ
لِمَنْ كَانَ ذَا قَلْبٍ وَمَنْ كَانَ ذَا أُذْنِ ؟

فَبُشْرَاكَ يَا مَنْ قَدَّمَ الزَّادَ لِلسُّرَى
وَزَادَ عَلَى تَقْدِيمِهِ حَسَنَ الظَّنِّ

كَهَذَا ضَجِيعِ اللَّحْدِ حَمُّودَةَ الرِّضَى
كَبِيرِ السَّجَايَا اللَّوْذَعِيِّ أَبِي سِنٍّ

لَقَدْ كَانَ أَيْمُ (1) اللهِ بَرًّا وَخَيِّرًا
وَذَا خُلُقٍ أَبْهَى مِنَ الزَّهْرِ فِي الغُصْنِ

كَأَنِّي بِهِ يَا قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ
يَرُوحُ بِهَا مِنْ رَوْضِ فَنٍّ إِلَى فَنِّ

★ بهذا القصيد رثى الشاعر المسعودي زميله الكاتب الحاج حمودة بوسن . وهو كاتب من كتاب الدولة التونسية ، أديب وفقيه ، متعصب في العقيدة والتقاليد الاسلامية . توفي في صفر 2/1286 جوان 1869 ودفن بتربة آله في مقبرة سيدي سفيان بباب الخضراء .

1) بالاصل «ويم» وهو محرف عن «أيم» .

وَكَانَ مِنَ الكُتَّابِ شَطْرًا يَوَدّهُـمْ
وَصَدْرًا وَجِيهاً نَاسِكاً مُشْعِرَ البُـدْنِ
إلَهِي تَقَبَّلْ سَعْيَـهُ وَأجِزْ بِمَـا
وَعَدْتَ بِـهِ يَا وَاسِعَ الفَضْلِ وَالْمَـنِّ
وَحَقِّقْ إلَهِي قَوْلَ خِـلِّ مُـؤَرِّخٍ :
إلى جَنَّـةِ الفِرْدَوْسِ مَرَّ أبُـو سِنِّ (2).

— 51 —

وقال رحمه الله تعالى مؤرخا وفاة المرحوم أبي عبد الله محمد ابن المرحوم أبي الثناء محمود عزيز :

[الكامل]

أيَا رَاحِماً ارْحَمْ بَهِيَّ شَبَابِـهِ
وَأجْزِلْ لِوَالِدِهِ ثَوَابَ مُصَابِـهِ (1)
هَـذَا ضَرِيحُ مُحَمَّـدِ بْنِ عُزَيِّـزٍ
مَحْمُودِ ذِي المَجْدِ الأصِيلِ النَّابِـهِ
قَدْ كَانَ ذَا خَلْقٍ وَخُلْقٍ مِثْلَمَـا
يَخْتَالُ زَهْرُ الرَّوْضِ حَوْلَ هِضَابِـهِ
وَمَحَبَّـةٍ فِي الصَّالِحِينَ وَسِيَّمَا (2)
عَبْدُ السَّلَامِ فَكَانَ خَادِمَ بَابِـهِ

2) هذا التاريخ الابجدي لا يطابق الواقع .

1) الصدر مضطرب في وزنه حيث نجده ينقلب الى طويل في قصيد بني على الكامل ، وإنما يرجع الى الكامل بقولنا (يا) بدلا من «أيا» وقطع الهمزة من «ارحم» . أما في العجز فلا يستقيم وزن الكامل إلا بجعل الهمزة من اجزل وصلية بدلا من القطع ، وهي ضرورة كثيرا ما ارتكبها المسعودي .
2) هذا تعبير تفرد به المسعودي ، والمتعارف (لاسيما) أو (سيما) في النادر .

وَكَأنَّـهُ لَبَّى نِـدَاهُ مُسَارِعـاً
لِيَكُونَ فِي الفِرْدَوْسِ مِنْ أحْبَابِـهِ
وَاخْتَارَ دَارَ الخُلْدِ عَنْ دَارِ الفَنَـا
وَقَـرَارِ أكْدَارِ البَـلَاءِ وَصَابِـهِ
فَاخْلِصْ (3) لَهُ أمَّ الكِتَابِ هَدِيَّـةً
تُمْطِرُهُ مِنْ غَيْثِ الدُّعَا وَسَحَابِـهِ
وَاسْتَوْدِعِ الرَّحْمَنَ مَضْجَعَهُ وَقُـلْ
أرِّخْتُهُ : فَارْحَمْ بَهِيَّ شَبَابِـهِ (4)

— 52 —

وقال رحمه الله مؤرخا وفاة الشيخ محمد الشابي :

[الكامل]

قِفْ وَاجِماً وَانْظُرْ بِطَرْفٍ سَاكِـبِ
لِمَكَارِمٍ مَشْهُورَةٍ كَكَوَاكِـبِ
وَمَقَامِ رِضْوَانٍ وَسِرٍّ لَائِـحٍ
لِلزَّائِرِينَ وَمَلْجَـإٍ لِلطَّالِـبِ
هَذَا مَقَامُ الشَّابِبِيِّ (1) مُحَمَّـدٍ
ذِي مَكْرُمَاتٍ عِدَّةٍ وَمَنَاقِـبِ

3) خفف المسعودي الهمزة القطعية الى وصلية على عادته في (اخلص) كما سلف .
4) هذا التاريخ الابجدي لا تطابق له مع الواقع .

1) كلمة الشابي تقرأ بفك الادغام لضرورة الوزن .

وَسَرِيرَةٍ طَهُرَتْ وَنُورٍ سَاطِـــع
يَغْشَى الْعُيُونَ وَلَيْسَ ضَوْءَ حُبَاحِبِ (2)

لَبَّى النِّدَاءَ لِجَنَّةٍ وَثَوَى بِهَـــا
فِي حِزْبِ قَوْمٍ (لاَ يُذَادُ) (3) بِحَاجِـبِ

فَأَخْلِصْ (4) لَهُ وَجْهَ الدُّعَـاءِ مُؤَمِّنـــاً
وَمُـؤَمِّلاً فَضْـلاً وَنَيْلَ مَطَالِــبِ

وَاللهُ يَقْبَـلُ فِيهِ قَوْلَ مُـــؤَرِّخٍ :
قَدْ جَـلَّ حِزْبُ مُحَمَّـدٍ الشَّابِبِـي

[... ... ... سنــة 1290 ... ...]

— 53 —

وقال رحمه الله مؤرّخاً وفاة المرحوم محمد الحبيب بو عتّور ★ :

[الكــامـل]

قِفْ هَهُنَا وَاسْكُبْ دُمُوعَكَ وَاسْبِلِ (1)
إِنَّ الحَبِيـبَ ثَـوَى بِهَذَا المَنْـــزِلِ

ابْنَ الأَدِيبِ ابْنَ الوَزِيرِ لِعِتْـــرَةٍ
تُعْـزَى لِعَتّورَ الكَرِيمِ المُفْضِـــلِ

2) حصل تشويه في النسخ وتصويبه كما أثبتنا يقول : هو ضوء ضعيف شبيه بضوء الحباحب . وهو صنف من الذباب يطير في الليل وله شعاع في ذنبه كالسراج . والعرب تضرب به المثل في الحقارة وعدم الجدوى .

3) في الاصل «لاتذاد» والصحيح «لايذاد» ، يريد أن هذا الحزب وهو حزب الله لا يحجب عن الجنة ولا يصرف منها .

4) همزة (اخلص) مخففة وصلية للضرورة .

★ محمد الحبيب بوعتور هو أبو الوزير المرحوم العزيز بوعتور وهو ابن الفرضي الاديب الكاتب «أبو عبد الله محمد بن عبد الكافي بوعتور الصفاقسي» المتوفى سنة 1195 وهو الذي هاجر من تونس ملتحقا بالامراء الحسينيين في الجزائر .

1) خفف الشاعر على عادته همزة «اسبل» للضرورة ، لان الامر من أسبل الدمع هو : (أسبل) بهمزة قطعية .

قَدْ كَانَ ذَا نُسْكٍ عَفِيفاً خَيِّـــراً
مُتَدَرِّعاً ثَوْبَ الحَيَا بِتَسَرْبُـــلِ

فَدُعِي فَلَبَّى لِلْخُلُودِ بِجَنَّـــةٍ
جَـاراً لِخَيْرِ الخَلْقِ أَكْرَمِ مُرْسَـلِ

وَحُلُولُـهُ مَا جَاءَ فِي تَارِيخِـــهِ :
مَثْوَاكَ فِي الفِرْدَوْسِ [أَيْمَنُ] (2) مَنْـزِلِ

[.......... توفي سنـة 1260 هـ......]

— 54 —

وقـال رحمـه الله مؤرخا وفاة المنعم سيدي محمّد الأمين باي :

[الوافــــر]

هُوَ النَّبَأُ العَظِيمُ وَلَيْسَ يُجْـــدِي
سِــوَى زَادٍ أُعِـدَّ لِدَارِ خُلْـــدِ

وَمَا هَذِي الحَيَاةُ سِوَى مَتَاعٍ   وَعَارِيَةٍ لأَمْرٍ مُسْتَـــرَدِّ
فَكَيْفَ يَغُرُّنَا مِنْهَا سَــرَابٌ   وَغَايَتُهَا إِلَى قَبْرٍ وَلَحْـدِ
تَأَمَّلْ ذَا الضَّرِيحَ فَإِنَّ فِيـــهِ   سَلِيلَ المُلْكِ إِرْثٌ أَبٍ وَجَـدِّ
مُحَمَّدٌ الأَمِينُ البَايُ مَنْ قَدْ   كَأَنَّ خِلاَلَهُ شِيبَتْ بِشُهْدِ
أَغَرَّ الوَجْهِ بَسَّامُ الثَّنَايَــا   طَلِيقُ الكَفِّ ذُو فَضْلٍ وَمَجْـدِ
أَبِيٌّ خَيِّرٌ عَفٌّ نَـزِيــهٌ   حَلِيمٌ أَرْوَعٌ زَيْنٌ لِعِقْـدِ
جَزَاهُ اللهُ بِالحُسْنَى وَأَهْـدَى   إِلَيْهِ زِيَادَةً مِنْ غَيْرِ حَـدِّ
فَيَا مَنْ زَارَهُ أَرِّخْ وَكَبِّـرْ :   مُحَمَّدٌ الأَمِينُ بِدَارِ خُلْدِ (1)

[....... توفي سنـة 1293. . . .]

2) بياض في الاصل . وقد جاء عجز البيت بعنوان تاريخ على حساب الجمل بيد أنه أخطأ المرمى فهل حصل فيه تبديل ؟

1) التاريخ الابجدي يشير الى سنة 1293 هـ.

— 55 —

وقال رحمه الله مؤرخا وفاة المرحومة السيدة زليخا بيّة (*):

[الطـويـل]

تَأمَّلْ مَلِيّاً وَاسْبِلِ (1) الدَّمْعَ بِالْخَـدِّ
فَمَـا أنْتَ فِي دَارِ المُقَامِ وَلاَ الْخُلْـدِ
بَلَى أنْتَ فِي دَارٍ سِهَامُ خُطُوبِهَـا
تُصِيبُ وَتُصْمِي حَوْزَةَ الْأسَدِ الْـوَرْدِ
وَهَيْهَاتَ أنْ تُغْنِيَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَـا
عَلَى صَرْحِ رَبِّ التَّاجِ أوْ رَبَّةِ العِقْـدِ
فَطُوبَى لِمَنْ حَازَ الرِّضَى مِثْلَ هَـذِهِ
زُلَيْخَا ابْنَةِ البَاشَا حُسَيْنٍ أخِي الْمَجْـدِ
وَزَوْجِ وَزِيرِ الحَرْبِ زَرّوقَ أحْمَـدِ
وَصَاحِبَةِ العُرْفِ الْمُؤَمَّلِ وَالـرِّفْـدِ
صَحِيحُ حَدِيثِ الْمَجْدِ عَنْهَا مُسَلْسَلٌ
عَنِ الْأهْلِ وَالإخْوَانِ وَالْأبِ وَالْجَـدِّ
وَرَيْحَانَـةٌ لَوْلاَ الجِنَانُ اسْتَفَزَّهَـا
لَمَا اسْتَبْدَلَتْ مِنْ قَصْرِهَا مُفْرَدَ اللَّحْدِ
وَلَكِنْ دَرَتْ أنَّ الْحَيَاةَ مُعَـارَةٌ
وَهَلْ دَامَ فِي جِيدٍ نَظِيمٌ مِـنَ العِقْـدِ

★ وهي ابنة الامير حسن باي حليلة المنعم أحمد زروق وزير الحرب بدولة الصادق باي .

1) الصحيح و (أسبل) بالقطع والتخفيف للضرورة .

فَحَازَتْ مِنَ الدَّارَيْنِ مِنْ فَضْلِ رَبِّهَـا
وَخَفَّفَ عَنَّا ذَلِكَ مِنْ لَوْعَـةِ الوَجْـدِ
وَعَزَّ بِجَنَّاتِ الخُلُودِ مُقَامُهَـا
وَفَازَتْ فَأرِّخْ : عَزَّ فِي جَنَّةِ الخُلْـدِ .

توفيت سنة 1285

— 56 —

وقال رحمه الله تعالى يرثي أمير الأمراء مصطفى آغـه★:

[الرمـل]

قِفْ مَلِيّاً إنَّهُ خَطْبٌ جَسِيمْ ... نَبَأٌ يَا صَاحِ وَاللهِ عَظِيمْ
عَنْهُ أعْرَضْنَا كَأنَّا فِي كَرًى ... مِثْلَ أهْلِ الْكَهْفِ أوْ أهْلِ الرَّقِيمْ (1)
رَحِمَ اللهُ مَنِ اهْتَمَّ بِـهِ ... وَأتَى للهِ بِالْقَلْبِ السَّلِيمْ (2)
مِثْلَ هَذَا الطَّوْدِ مَنْ كَانَ عَلَى ... خَيْرِ نَهْجٍ وَصِرَاطٍ مُسْتَقِيمْ
مُصْطَفَى آغا أمِيرُ الأُمَرَا ... وَوَزِيرُ الحَرْبِ فِي العَهْدِ القَدِيمْ
كَانَ بَرّاً ذَا عَفَافٍ ذَاكِرًا ... قَانِتَ الآنَاءِ فِي اللَّيْلِ البَهِيمْ
فِي جَلاَلٍ زَانَهُ بِشْرٌ وَفِي ... خُلُقٍ ألْطَفَ مِنْ هَبِّ النَّسِيمْ
نَظَرَ الدُّنْيَا فَلَمَّا أنْ رَأى ... أنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارٍ لِمُقِيمْ
سَمِعَ الدَّاعِي فَلَبَّى رَبَّـهُ ... وَثَوَى جَارًا إلى المَوْلَى الحَلِيمْ

★ مرثية رثا بها المنعم مصطفى اغا ، وأصله من القرج ، اختص به مصطفى باي وصاهره على ابنته وتدرج في الخدمة حتى صار «باش اغة» في وجق الحاضرة ثم تقدم في دولة أحمد باي الى خطة وزارة الحرب . وكان من الفضلاء والاخيار العابدين . وقام بمهام عديدة في السفارات .. وتخلى عن مهامه في دولة الصادق باي ولازم بستانه بالكرم الى أن لبى داعي المنون سنة 1867 حيث دفن بمقبرة الاشراف جوار ضريح سيدي عبد العزيز المهدوي بمرسى الجراح (ابن أبي الضياف) .

1) أهل الكهف والرقيم : جاء تفصيل قصة أهل الكهف والرقيم «في الكتب المنزلة ومنها القرآن الكريم (سورة الكهف) .

2) إنما يقال «أتى الله بقلب سليم» كما جاء في القران .

سَيِّـــدي عَبْدُ العَـــزِيـزِ المهـــــــدوي
في ثرى الجرّاح (3) ذي القـدر الجسيـــــم

فَحوَى الدّارَيْنِ يا طُوبَى لَـــهُ — وَبِذَا تَسْلُو عَنِ الخَطْبِ الأَلِيمْ
فَاجْعَلِ السَّبْعَ المَثَانِي(4) أُنْسَهُ — وَتَرَحَّمْ وَاسْأَلِ الْمَوْلَى الْكَرِيمْ
وَتَفَاءَلْ وَاهْدِ (5) تَارِيخاً لَهُ: — مُصْطَفَى مَثْوَاهُ فِي دَارِ النَّعِيمِ

[.........توفي سنـــة 1238.........]

— 57 —

وقال رحمه الله تعالى مؤرخا وفاة القائد صميدة بن عزوز الرزقي دفين زاوية سيدي ابراهيم الرياحي :

[المتقـــارب]

كَذَا شَأْنُهَا مَا لَهَا مِنْ قَرَارْ — فَقِفْ رَاحِماً دَاعِيــاً ذَا اعْتِبَارْ
بِمَنْ ضَمَّهُ فِي الضَّرِيحِ الصَّفِيــــحُ (1)
وَأَضْحَى عَنِ الأَهْلِ نَائِي الدِّيَـــــارْ
صَمِيدَةَ فَخْرِ بَنِي عَامِــــرِ — وَهَلْ لَهُمْ بَعْدَهُ مِنْ فَخَـــارْ
وَمَنْ كَانَ فِي طِيبِ أَخْلاَقِــهِ — يفاخر [نبت الربى](2) والعَرَارْ(3)
وَمَنْ كَانَ فَارِسَ يَوْمِ الوَغَى — وَبَدْرَ الجَحَافِلِ إِنْ هُوَ سَـارْ
وَصَدْرَ المَحَافِلِ بَلْ قِسَّهَـــا — إِذَا مَا احْتَبَى فِي ثِيَابِ الوَقَارْ
وَكَانَ مُحِبّاً لِشَيْخِ المَقَامِ (4) — وَمِنْ أَهْلِ هَذَا الطَّرِيقِ الخِيَارْ

3) أراد المرسى وهي المنسوبة الى الجراح ، وبها ضريح سيدي عبد العزيز .
4) السبع المثاني : السور السبع الاولى من القران الكريم أو سورة الفاتحة التي تشتمل على سبع ايات محكمات .
5) خفف الهمزة القطعية على عادته من «أهد» للضرورة .

1) **الصفيح : الحجارة الواسعة ، واحدته صفيحة**
2) **بياض بالاصل يمكن تداركه بما ذكر**
3) **العرار : هو النرجس البري ، الواحدة عرارة**
4) شيخ المقام : أبو الحسن الشاذلي .

أَتَتْهُ الشَّهَادَةُ تَقْتَـــادُهُ — إِلَى خَيْرِ كَهْفٍ مَنِيعٍ وَجَارْ
فَلَبَّى إِلَى الْخُلْدِ فِي رَوْضَـــةٍ — قَرِيرَ الفُؤَادِ بِطِيبِ القَــرَارْ
وَقَدْ حَلَّ فِي ذَا المَقَامِ الرَّفِيعِ — فَأَرِّخْهُ : حَسْبِيَ هَذَا الجِوَارْ.

[......... توفي سنة 1267 ......]

— 58 —

وقـال رحمه الله عند وقوفه على ضريح صديقه حسن بوكا ف★ :

[الطـــويـــل]

أُسَلِّمُ تَسْلِيمَ المَشُوقِ الْمُتَيَّـــــمِ
وَأَمْزِجُ مَسْفُوحَ (1) المَدَامِعِ بِالـــدَّمِ
وَأَبْكِيكَ حَتَّى تَعْلَمَ السُّحْبُ أَنَّهَـــا
وَحَقِّكَ كَمْ غَادَرْنَ مِنْ مُتَــرَدَّمِ (2)
وَأَعْقَرُ مِنْ أَبْكَارِ فِكْرِي عَقَــائِـلاً
أَرَقَّ مِنَ التَّسْنِيمِ لاَ ذَاتَ مَنْسِـــمِ
أَبَعْدَ أَبُو كَافٍ تَكُفُّ مَدَامِـــعٌ
وَيَحْظَى فَمٌ مِنْ بَعْدِهِ بِالتَّبَسُّـــمِ
أُنَاجِيكَ لاَ أَنِّي إِخَالُكَ مُنْجِـــدِي
وَلَكِنْ مُنَاجَـاةَ الحَبِيبِ الْمُحَــوَّمِ
تَرَكْتَ المَعَالِي بَعْدَ بُعْدِكَ إِنَّهَـــا
أَيَـامَى تَصُكُّ الْوَجْهَ حِيناً وَتَلْطِـــمُ (3)

★ وهو كاتب بالدولة التونسية من أولاد الشيخ أبي بكر الجد الاعلى لاسرة الشاعر المسعودي .
1) يقول الشاعر : اسكب الدمع ممزوجا بالدم حزنا على فراقك .
2) «المتردم» : الموضع الذي يرقع . ويشير المسعودي الى قول الشا ر :
«هل غادر الشعراء من متردم»
أي قد سبقونا الى القول فلم يدعوا مقالا لقائل . والمسعودي يخالف الشاعر فيقول وأبكيك الخ ...
3) وقع المسعودي على عادته في عاهة الاقواء حيث جاء بقافية البيت مضمومة وحقها الجر تبعا لاخواتها في القصيد .

وَمَنْ لِلْمَسَاعِي إِنْ تَعَذَّرَ كَسْبُهَا

بِيُسْرٍ إِذَا أَعْيَتْ سِوَاكَ يُسَلَّمِ

وَمَنْ لِلْمُهِمَّاتِ العِظَامِ يَحُلُّهَا

بِفِكْرٍ كَحَدِّ الهِنْدُوَانِيِّ لَهْذَمِ

وَمَنْ لِمَهِيضِ الدَّهْرِ يَأْتِيكَ لَائِذاً

تَقُولُ لَهُ : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ، فَاسْلَمِ

وَمَنْ زِينَةُ الحَفْلِ الذِي أَنْتَ زَيْنُهُ

إِذَا غِبْتَ أَوْ صَدْرُ الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ (4)

فُجِعْتُ فَيَا لَهْفِي وَطُولَ تَوَجُّعِي

وَفَارَقْتُ أَزْكَى مَنْ عَرَفْتُ وَأَكْرَمِ

تَقَدَّمْتَنَا وَانْقَدْتَ لله طَائِعاً

وَسِرْتَ وَقَدْ يَمَّمْتَ خَيْرَ مُيَمَّمِ

وفارقتنا أَنْضَاءَ حُزْنٍ وَحَسْرَةٍ

عَلَيْكَ وَمَنْ فَارَقْتَ غَيْرُ مُذَمَّمِ

فَأَظْلَمَتِ الأَيَّامُ وَاغْبَرَّ وَجْهُهَا

وَكَانَتْ لَيَالِينَا بِكُمْ فِي تَبَسُّمِ

لَيَالِيَ كانت بالسرور لآلِئاً

بها الدهرُ سَحَّ (5) البِرَّ غيرَ مُجَمْجِمِ

تَدُوسُ الثُّرَيَّا بِالنِّعَالِ تَرَفُّعاً

وَتَمْشِي عَلَى زَهْرِ المَجَرَّةِ تَرْقُمُ (6)

---

4) إقواء أيضا في قافية هذا البيت ، حيث جاءت منصوبة ، ومن حقها الجر .

5) يقال : سح برده ومعروفة بمعنى : صبه وأغدقه .

6) إقواء في قافية البيت ، حيث جاءت مضمومة بدلا من كسرها .

وَتَقْطِفُ مِنْ زَهْرِ المُنَى كُلَّ يَانِعٍ

وَ[فِي سَائِرِ الآمَالِ] (7) حُكِّمْتَ فَاحْكُمِ

أَدَارَ عَلَيْنَا كَأْسَ أَمْنٍ رَوِيَّةً

وَجَرَّعَنَا مِنْ بَعْدِهَا كَأْسَ عَلْقَمِ

فَرُحْتَ وَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ (8)

عَلَيْكَ وَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمِ

فَسُحْقاً لِدَهْرٍ إِنْ أَعَارَكَ سَاعَةً

أَغَارَ بِكَفٍّ ذَاتِ قَوْسٍ وَأَسْهُمِ

فَكَمْ مَزَّقَتْ لِزْمَى كَنَدْمَيْ (9) جُذَيْمَةٍ

وَكَمْ فَرَّقَتْ مِنْ مَالِكٍ (10) وَمُتَمِّمِ

وَكَمْ نَثَرَتْ نَظْماً وَأَصْمَتْ وَأَصْمَتَتْ

وَذَا دَأْبُهَا مِنْ عَهْدِ عَادٍ (11) وَجُرْهُمٍ (12)

عَفَا اللهُ عَمَّا قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ

وَلَاقَاكَ بِالبُشْرَى وَحُسْنِ التَّكَرُّمِ

---

7) تشويه باول العجز في الاصل يمكن تصحيحه بما ذكر .

8) الشادن ولد الظبية والضيغم هو الاسد .

9) استعمل المسعودي «لزمى» بدلا من متلازمين و «ندمي جذيمة» بدلا من «ندماني جذيمة» ، على غير قياس .

10) «مالك ومتمم» ابنا نويرة وجذيمة : هما أخوان من سادات العرب كانا متلازمين متحابين مات مالك وبقي متمم فرثاه بشعر كثير من ذلك قوله :

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ولشهرة مالك ومتمم في الملازمة بينهما جعل الشاعر اسميهما بمنزلة الوصفين بمعنى الملازم . فلذلك جعلهما تمييزا لما في (كم) من معنى الكثرة .

وجذيمة : من مشاهير ملوك العرب في بلاد الفرات السفل في القرن الرابع (جذيمة ابن الابرش أو الوضاح) .

11) عاد : شعب يسكن الاحقاف اضطهد النبي هود ، فسحقتهم العاصفة كما ورد في القرآن .

12) جرهم : قبيلة عربية قديمة قيل إنها جاءت من اليمن وأقامت في مكة وهلكت كما هلك أهل عاد وثمود ، فكانت من العرب العاربة .

وَنَرْجُوهُ أَنْ يُولِيكَ عَفْوًا وَرَحْمَةً
وَيَسْمَعَ مِنَّا فِيكَ طُولَ التَّرَحُّمِ
عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ تَسْلِيمَ آسِفٍ
عَلَى مَا مَضَى مِنْ عَهْدِكَ المُتَقَدِّمِ

— 59 —

وقال رحمه الله تعالى مؤرّخا وفاة المرحوم أبي عبد الله محمد التفاني :

[الهـــزج] :

قِفْ وَاعْتَبِرْ ذَا مَقْبَرْ ... مَا حُمَّ (1) مِنْهُ مَقْبَرُ
وَمَا لِصَبْرِ المَنَايَا ... إِنْ لَمْ يُسَوِّغْهُ صَبْرُ (2)
هَذَا ضَرِيحٌ لَدَيْهِ ... تَعَجُّبِي يَسْتَمِرُّ
مِنَ التُّقَى فِيهِ أَضْحَى ... وَالعِلْمِ بَرٌّ وَبَحْرُ
ثَوَى بِهِ الفَذُّ لَكِنْ ... هُوَ الإِمَامُ الأَغَرُّ
ذُو المَنْقَبَاتِ اللَّوَاتِي ... بِمِثْلِهَا شَحَّ دَهْرُ
مُحَمَّدٌ ذُو التَّفَانِي ... فِي حُبِّهِ وَهْوَ ذُخْرُ
[إلى] (3) «ملوكة» يُعْزَى ... لِتُونِسَ مِنْهُ فَخْرُ
إِنْ مَاتَ تَبْقَ مَبَانٍ ... قَدْ شَادَهَا مِنْهُ فِكْرُ
دَفَاتِرٌ بَانَ فِيهَا ... مِنَ الغَوَامِضِ سِرُّ
كَمْ كَانَ جَبَّارَ كَسْرٍ ... وَجَالِبًا مَا يَسُرُّ
ذَا سِيرَةٍ بِهُدَاهَا ... عِدَاهُ طَوْعًا أَقَرُّوا
مَا قَامَ حَوْلَ خِصَالٍ ... حَمِيدَةٍ فِيهِ حَصْرُ

1) حمّ له كذا : قدر .
2) الصبر بكسر الباء : الدواء المر ولا تسكن باؤه إلا لضرورة الشعر .
3) بياض في النسخة الاصلية يمكن سده بما ذكر

زَارَ الجِنَانَ بِشَهْرٍ ... فِي بَدْئِهِ حَلَّ فِطْرُ
مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ تَلَتْهَا ... سَبْعٌ فَأَرِّخْ : وَعَشْرُ (4)

[1276 هـ]

— 60 —

وقال رحمه الله تعالى مؤرخا الساقية التي أحدثها بالمرسى محمد الطيب باي:

[مجزوء الرجز]

قِفْ بِالسَّبِيلِ الطَّيِّبِ ... العَذْبِ الفُرَاتِ الصَّيِّبِ
وَمَوْرِدٍ كَأَنَّهُ ... رُضَابُ ثَغْرٍ أَشْنَبِ
أَوْ خُلُقُ البَايِ الَّذِي ... أَجْرَاهُ فِي ذَا المَرْقَبِ
مُحَمَّدِ الطَّيِّبِ مَنْ ... فَازَ بِهَذَا المَطْلَبِ
وَسَاقَهُ لِمَعْشَرٍ ... يَشْكُونَ حَرَّ اللَّهَبِ
فَصَارَتِ المَرْسَى بِهِ ... مُخْتَالَةً مِنْ طَرَبِ
فَاللهُ يَجْزِي سَعْيَهُ ... هُنَا وَفِي المُنْقَلَبِ
وَدَامَ فِي سَعَادَةٍ ... وَقَادَةٍ كَالكَوْكَبِ
مَا قِيلَ فِي تَارِيخِهِ ... يَهْنِ (1) بِشِرْبٍ أَطْيَبِ

— 61 —

وقال رحمه الله تعالى يصف بعض العشايا وهو بسانية بمنوبة عند بعض أحبابه :

[المضــارع]

للهِ طِيبُ عَشِيَّةٍ ... زَالَتْ بِهَا الأَكْدَارُ

4) التاريخ الابجدي يقابل سنة 1276 هـ.

1) تعمد المسعودي حذف الياء من آخر الكلمة ليكون التاريخ الابجدي موافقا الى سنة 1289 هـ.

حَيْثُ الرِّيَاضُ وَرِيقَةٌ   رَاقَتْ (1) بِهَا الأَبْصَارُ
حَيْثُ النُّوَّارُ كَضَاحِكٍ   لَمَّا بَكَى المِدْرَارُ (2)
حَيْثُ الغُصُونُ تَرَنَّحَتْ   وَتَغَنَّتِ الأَطْيَارُ
حَيْثُ النَّسِيمُ يَحُفُّنَا   ذَيْلٌ لَهُ مِعْطَارُ
سُقْيًا لَهَا مِنْ مِنْحَةٍ   سَمَحَتْ بِهَا الأَعْصَارُ (3)
مِنْ حُسْنِهَا قَدْ طَاوَعَتْ   فِي وَصْفِهَا الأَشْعَارُ
عَنْ[illegible] ارْتَحَلْنَا بِالمُنَى   وَأَقَامَتِ الأَزْهَارُ

— 62 —

فظهر من بعض الحاضرين عدم استحسان ثم قال: قصرت في الوصف أين الفوارة والناعورة والصهريج ؟

فوقع للمسعودي انفعال فقال ارتجالا :

[الكامل]

وَحَدِيقَةٍ أَزْرَتْ بِكُلِّ حَدِيقَةٍ   فِي حُسْنِ مَنْظَرِهَا البَهِيجِ الفَائِقِ
قَيْدُ النَّوَاظِرِ مَاؤُهَا وَنَسِيمُهَا   أَذْكَى مِنَ المِسْكِ الفَتِيقِ لِنَاشِقِ
نَبَعَتْ بِهَا فَوَّارَةٌ فَارَتْ لَنَا   بِمُرَوَّقٍ مَا إِنْ بِهِ مِنْ شَارِقِ
خِلْتُ الثريا بِالمَجَرَّةِ قَدْ جَرَتْ   لما جرت بمعينها المتناسق
وَكَأَنَّ بِرْكَتَهَا مُحَيًّا غَادَةٍ   حَسْنَاءَ فِي عَهْدِ الشَّبَابِ الرائق
أَوْ أَنَّهَا المِرْآةُ رَاقَ صَفَاؤُهَا   فَتُرِيكَ صَفْحَتُهَا خَيَالَ الرَّامِقِ

1) يقال : راقت الرياض الابصار ، ولا يقال راقت : الابصار بالرياض . ولكنه تعبير متفش في اللهجة العامية ، إذ يقولون : راق فلان بكذا ، وروقه بكذا .
2) المدرار : المطر الغزير .
3) بالاصل «الاعطار» وهو مصحف عن (الاعصار) .

أَوْ أَنَّهَا زَرَدٌ [نَظِيمٌ] (1) لِلصَّبَا   لَمَّا سَرَتْ وَهْنًا بِعَرْفٍ عَابِقِ
وَكَأَنَّمَا الأَشْجَارُ فِي أَوْرَاقِهَا   غِيدٌ مُلَفَّعَةٌ بِخُضْرِ بَخَانِقِ (2)
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ البَلَابِلُ إِذْ شَدَتْ
شَهِدَتْ بِتَوْحِيدِ الإِلَهِ الخَالِقِ.

— 63 —

وقال رحمه الله تعالى مجيبا بعض أحبته :

[الوافر]

أَسِحْرٌ قَدْ سَرَى مِنْ جِيدِ رِيمِ   أَمِ العَرْفُ الأَرِيجُ مِنَ النَّسِيمِ
أَمِ الشِّعْرُ الذِي قَدْ رَقَّ مَعْنًى   وَأَضْحَى فِتْنَةَ العَقْلِ السَّلِيمِ ؟
نَعَمْ دُرُّ البَلَاغَةِ قَدْ تَبَدَّى   بِجِيدِ الطِّرْسِ فِي عِقْدٍ نَظِيمِ
وَأَرْهَفَ حُسْنُهُ طَبْعًا بَلِيدًا   يُجَاذِبُهُ لِمَعْنًى مُسْتَقِيمِ
وَلَوْلَا ذَاكَ لَمْ يُهْزَزْ يَرَاعِي   وَمَا رِيئَتْ نَتَائِجُ مِنْ عَقِيمِ
فَيَا مَنْ شِعْرُهُ أَضْحَى لِذِهْنِي   كَنُورِ البَدْرِ لِلَّيْلِ البَهِيمِ
تُوَافِيكَ التَّحِيَّةُ مَا تَغَنَّى   حَمَامُ الدَّوْحِ فِي غُصْنٍ قَوِيمِ

— 64 —

قال رحمه الله تعالى : وقلت في الغرض المذكور:

[الوافر]

طَائِرُ الفِكْرِ قَدْ شَدَا وَتَغَنَّى
مُذْ هَصَرْتَ القَرِيضَ نَحْوِيَ غُصْنًا

1) في المخطوطة «نسيم» وهو محرف عن (نظيم) . وبهذه اللفظة وحدها يستقيم البيت معنى ووزنا . أي أن هذا الماء المغضن شبه الدرع المحكمة النسج والسرد من طرف ريح الصبا . ومنه قول بعضهم : نسج الريح على الماء زرد ...
2) البخنق هو البرنس الصغير والبرقع ، جمعه : بخانق . شبه الاشجار بالغيد الملتحفة ببرانس خضر .

لَيْسَ نُكْرًا فَأَنْتَ رَوْضُ نِظَـــــام
مِنْ فُرُوعٍ لَهُ الأَزَاهِــرُ تُجْتَنَـــــى

وَإِذَا كُنْتَ لِلْبَيَـــانِ سَحَابــاً   فَجَدِيرٌ بِأَنْ نَرَى مِنْكَ مُزْنَا
ذَاكَ شِعْرٌ لَهُ البَلاَغَةُ تَـــاجٌ   وَبِسِحْرِ البَيَانِ كُحِّلَ جَفْنَا
شَاكَلَ الخَطُّ حُسْنَهُ فَاهْتَدَيْنَا   أَيَّ حَـالٍ كَسَى المُعَطَّلَ حُسْنَا
وَيُرَى مِنْهُ ذُو اخْتِفَاءٍ بِلَفْظٍ   فَحَسِبْنَا الهِلاَلَ (1) دُجْنَـــا
أَنْتَ بَحْرُ النِّظَامِ تَلْفِظُ دُرًّا   اعْتَلَى قِيمَةً وَشَنَّفَ أُذْنَـــا
وَلِحُرِّ (2) الكَلاَمِ تَمْلِكُ رِقًّا   وَعَلَى غَيْرِكَ القَرِيضُ تَجَنَّى

— 65 —

وقال رحمه الله معتذرا عن عشيَّة أنس للأجلّ الأعدل محمد ابن الخوجة الجزائري :

[مجزوء الكامل]

وَحَيَاةِ رَأْسِكَ وَهِيَ عِنْـــ   ـدِي مِنْ أَكِيدَاتِ الأَلِيَّهْ (1)
إِنَّ الذِي فِي ذَا الرَّبِيـــــ   ـعِ نَظَمْتَ فِي هَذِي العَشِيهْ
فَابْسُطْ لَهُ عذرًا وســــا   مح بِالسَّمَاوَاتِ العَلِيَّـــهْ

1) إن القرينة والوزن والمعنى ووجه الشبه يقتضي أن يقرأ ما بين القوسين (مزق) وقد جاءت هذه الكلمة في المخطوط بتعريقة غير منقوطة .
2) يقول المسعودي : إن الحر البليغ من الكلام انقاد لك وأصبح طوع أمرك فأنت مالك رقه أو هو عبد لك .

1) الألية : القسم .

— 66 —

وقال رحمه الله مخاطبا المذكور :

[الطويـــل]

سَرَتْ وهْيَ بَدْرٌ وَالغَدَائِرُ (1) جُونُ (2)   وَقَدْ هَجَعَتْ لِلنَّائِمِينَ جُفُـــون
تَمِيسُ بِقَدٍّ قُدَّ (3) صَبْرِي لِنَيْلِـــه   وَخِصْرٍ ، وَلَكِنَّ النِّطَاقَ عُيُـــونُ (4)
وَتَسْحَبُ عَنْ هَامِ المَجَرَّةِ (5) ذَيْلَهَـــا   وَتَجْرِي لِدَمْعِ الصَّبِّ فَهْوَ هَتُـــون
وَتَبْسَمُ عَنْ ثَغْرٍ تَنَاسَقَ نَظْمُـــهُ   تَجُولُ الحُمَيَّــا فِيهِ وَهْــوَ مَصُـــون
فَمَنْ لِي بِمَنْ يُرْوِي ظَمَائِيَ مِنْ لَمًى(6)   بِـهِ (وأبي) مَاءُ الحَيَاةِ مَعِيـــنُ
وَمِنْ أَعْيُنٍ تَحْكِي النَّبَاتَ الذِي لَـــهُ   (عُيُونٌ عَنِ السِّحْرِ المُبِينِ تُبِيـــن)

1) الغدائر هي ظفائر شعر النساء ، مفرده : غديرة .
2) الجون : شديد السواد وهو جمع مفرده جون بفتح الجيم .
3) قد : مزق ، أي أفنى اصطباري .
4) من قول المتنبي :
وخصر تثبت الابصار فيه   كأن عليه من حدق نطاقا
على أن شاعرنا أجاد التصرف وأبدع في التوليد .
5) المجرة : مجموعة من الكواكب النيرة تلوح كقبة بيضاء ، وقد تمثل بها المسعودي في قصائده غير مرة .
6) اللمى بتثليث اللام : سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن .

وَمِنْ حَاجِبٍ لِلصَّبْرِ أَعْظَمَ حَاجِبِ
أَنُوناً حَكَى أَمْ خُطَّ فيه مَنُونُ ؟

وَخَدٍّ حَكَى الوَرْدَ [الجَنِيَّ] (7) لَطَافَةً
وَمَنْ يَجْتَنِي وَالسَّمْهَرِيُّ (8) يَصُونُ

[بَلِيتُ] (9) وَلاَ عَوْناً سِوَى عُذَّلِي بِهَا
وَلاَ مُسْعِدٌ إلاَّ الرَّقِيبُ يَبِينُ (10)

وَقَوْماً مِنَ الوَاشِينَ قَدْ ضَلَّ سَعْيُهُمْ
وَكُلٌّ عَلَى وَصْلِ الحَبِيبِ ضَنِينُ (11)

وما لي على فرطِ السهاد مُسَامِرٌ
ولا لي على (شَحْطِ) (12) المَعِينِ مُعِينُ

سَقَى اللهُ بَابَ البَحْرِ قَطْرًا وَإِنْ [همى](13)
بِمَقْطَرِهِ (14) دَمْعٌ عَلَي ثَمِينُ

وحيًا به [وَرِيماً حَوَى] (15) نُورَ نَاظِرِي
وَنَارَ فُؤَادِي وَهْوَ فِيهِ رَهِينُ

7) بالاصل «الحيي» وهو لا يلائم المقام ولا يتفق مع قرينة العجز المردد لمفهوم «الجني» . وإنما هو «الجني» أي الذي حان اجتناؤه أو الغوض الحديث العهد بالاجتناء ، وفي العجز ما يؤكد هذا المعنى ويردده ، فهو يستبعد إمكانية قطفه وجنيه نظرا لوجود القد الشبيه بالرمح .
8) السمهري : الرمح الصلب .
9) بالاصل «فليت» ولا يستقيم المعنى معه .
10) بالاصل «يمين» وهي محرفة عن (يبين) أي يلوح ويظهر ، أي لا مسعد يجده ويلوح لنظره سوى الرقيب . ونسبة المين والكذب الى الرقيب مستبعدة لان الرقيب أصدق الناس .
11) «ضنين» : بخيل ، أي أن وصل الحبيب غير هين عليهم .
12) في الاصل «سقط» وهي محرفة عن (شحط) وهو البعد .
13) كلمة غير واضحة بالاصل يمكن تقديرها بما ذكر وهو ما يناسب الدمع في صورة الحال وفي عرف الشعراء .
14) «بمقطره» : نهج المقطر كائن قرب باب البحر بالعاصمة كان يسكنه الاجانب ، به الحانات وديار اللهو و ....
15) في المخطوط «رمقا» حووا ، ولا معنى لهما . والاقرب أن «رمقا» محرفة عن (ريما) أي ضبيا ، وتأتي حينئذ «حوى» بصيغة الافراد ، وهو بالتالي ما يستلزمه إعادة الضمير عليه بصيغة المفرد المذكور «هو» في عجز البيت .

عَزِيزَةُ قَوْمٍ يُكْرِمُونَ جَلِيسَهُمْ
وَيَحْظَى لَدَيْهِمْ عَاشِقٌ وَحَزِينُ

يُقِيمُونَ بِالإِنْجِيلِ زَائِرَ دَيْرِهِمْ
فَيَفْتِنُ تَرْجِيعٌ لَهُمْ وَحَنِينُ

وَيَسْقُونَ مِنْ رَاحٍ كَأَنَّ حُبَابَهُ
عُقُودٌ لِدَمْعٍ نَظَّمَتْهُ جُفُونُ

وَفَاتِكَةِ الأَلْحَاظِ سَحَّارَةِ الوَرَى
تَقُولُ لِقَلْبِ الصَّبِّ : كُنْ ، فَيَكُونُ

تُذَكِّرُ في تَعْذِيبِ عَمْرٍو (16) لِمُدْرِكٍ
وَهَذَا مَزِيدٌ وَالحَدِيثُ شُجُونُ

تَقُولُ : أَتَرْضَى اليَوْمَ أَنَّكَ ثَالِثٌ
فَقُلْتُ : نَعَمْ «سِي سِي (17) قَرَاتْسِي بُونُ»

سَتَرْتُ عَنِ الوَاشِينَ بِالْقَلْبِ اسْمَهَا (18)
وَبَاحَتْ بِهِ لِلنَّاظِرِينَ عُيُونُ

وَعَمَّيْتُهُ فِي النَّظْمِ عَنْ كُلِّ نَاثِرٍ
عُقُودَ وِدَادِي غَادِرٌ (19) وَخَؤُونُ

16) بالاصل «عمرى» وهو محرف عن (عمرو) ، والشاعر يستشهد بحدث تاريخي ويشير الى علمين وهما (عمرو) (ومدرك) ، ولعل عمرا هذا هو عمرو بن هند الذي اشتهر ببطشه وقسوته وكان مقتله على يد سميه عمرو بن كلثوم الشاعر .
17) «سى سى قراتسى بون » كلمات إيطالية معناها (نعم نعم أحسنت طيب) .
18) الوزن لا يستقيم إلا إذا جعلنا همزة «اسمها» قطعية ، وهو قبيح ، ولكنه مألوف لدى المسعودي ، وكان بإمكانه تفادي ذلك بأن يقول :
ستزت عن الواشين في قلبي اسمها ...
19) من حق «غادر» وما عطف عليه أن يكون مجرورا بصفته بدلا من «ناثر» المجرور ولكن المسعودي كثيرا ما يرتكب الاقواء في قوافيه .

فَأحْرُفُهُ فِي العَدّ لاَ شَكّ أرْبَــــــعٌ
وَفِي الشّطْرِ سِتّ فِي الحُرُوف تَكُونُ (20)
وَبِالْقَلْبِ وَالتّصْحِيفِ تَشْرَبُ رِيقَـــــه
وَبُشّرْتَ بِالإسْعَافِ فَهْــوَ ضَمِيـــــنُ
وَيُسّرْتَ لِلْيُسْرَى وَدُمْتَ [مُحَصّنــاً] (21)
مَدَى الدّهْرِ لا تَسْطُو عَلَيْكَ عُيُـــون
وَدُونَكَهَا عَذْرَاءَ بِنْتَ عَشِيّــــــــة
تَزِيدُ عَلَى زُهْرِ الدّجَى وَتَزِيـــــــن
حَكَتْكَ أبَا عَبْدِ الإلَه شَمَــــائِـــلاً
وَأنْتَ بِهَا دُونَ الصّحَابِ قَمِيـــــن
وَدُمْتُمْ كَمَا تَخْتَارُ تَسْقِي عُهُودَكُـمْ
غَــوَادٍ مِنَ السّعْـدِ السّنِيّ هَتُــــون

إن شاء الله وهو المؤمل المرجوّ ، وعليكم السلام من مقتطف كتبها من كتائب الشواغل أخيكم محمد الباجي المسعودي أحسن الله حاله .

— 67 —

وقال أيضا مهنئا ومؤرخا بمولود ازداد للمذكور :

[الهــــزج]

دُمْ فِي أجَلِّ سُـــرُورٍ وَنِعْمَــةٍ وَحُبُــورِ
وَاهْنَأ بِنَجْلٍ أغَــرٍّ (1) يَبْقَى بَقَاء الدّهُـــورِ
واسْعَدْ لَهُ فَهْوَ سَعْـــدٌ تَارِيخُهُ كَالْبَشِيــرِ

— 68 —

وقال رحمه الله مخاطبا المذكور :

[الخفيــــف]

خَدَعُكَ الصّاحبَ الصّفِيّ خِيَانَه سِيّمَا السِّرُّ عِنْدَ مِثْلِي أمَانَهْ
أنْتَ عِنْدِي بِمَنْزِلِ العَيْنِ وَالعَيْــنِ فَلِمْ أنْتَ فِي الهَوَى خَوّانَهْ
سَرّكَ اللهُ بِالخَلاَصِ مِنَ الأسْــرِ وَسَامَرْتَ فِي الدّجَى رَيْحَانَهْ؟

— 69 —

وقال مخاطبا المذكور أيضا :

[الكــامـل]

قَسَمــاً بِمَنْ خَلَقَ الكَوَاكِبَ وَالسّمَـــا
مَا حِلْتُ حِيناً عَنْ وِدَادِكُمْ وَمَــــا
فَلِمَ المُحِبّ [يَجُبّ] (1) قَلْبَ مُحِبّـــه
وَيَرِيشُ مِنْ نَبْعِ القَطِيعَةِ أسْهُمَـــا
وَبَدَلْتُ فِي أغْرَاضِكُمْ فَوْقَ الّـــذي
فِي الوُسْعِ حَتّى خِلْتُ أنْ لَنْ أتْهَمَا (2)

---

20) يمزح المسعودي في هذه القطعة مع صديقه الشيخ محمد بن الخوجة ملاغزا إياه باسم فاتنته الذي يتركب من أربعة أحرف ، وهو (بريستا) وبالايطالية (presto) . وأنت إذا قلبته وأبدلت سينه شينا تجد (تشرب) وهو مصداق قول المسعودي في البيت الموالي : وبالقلب والتصحيف تشرب .
21) بياض الاصل ، أمكن تلافيه بكلمة «محصنا» كما تفيده قرينة العجز .

---

1) في المخطوط «أغيد» وصوابه «أغر» لان أغيد تأتي في مقام التغزل والمقام هنا مقام تهنئة لا غزل : ومن جانب اخر فـ «أغيد» تنافي وزن المقطوعة حيث تحوله من مجتث كما يجب أن يكون (مستفعلن فاعلاتن) الى مجزو الرجز (مستفعلن مستفعلن) .

---

1) في الاصل «يحب» وهو ينافي المراد وإنما هو مصحف عن «يجب» بالجيم ، أي يقطع لان القرينة الواضحة المتجلية في العجز تفيد التساؤل عن موجبات القطيعة والصد .
2) مخفف من (أتهما) وهو غير فصيح لتأثره بالعامية .

وَحَسِبْتُ أَنَّكَ لاَ تَقُولُ مُواجِهِي :
قَدْ صَحَّ يَأْسِي مِنْ وِصَالِكَ مِثْلَمَا

— 70 —

وقال مخاطبا المذكور محمد بن الخوجة :

[الطويل]

سَنَسْأَلُ رَيْحَانَ(1) الصُّدُورِ عَلَيْكُمُ
وَتَلْقَاهُ بَعْدَ الفَجْرِ رَأْيَ عِيَانِ
فَإِنْ بَحَّ فِي الكِتْمَانِ فَهْوَ إِلَيْكُمُ
وَإِنْ بَاحَ بِالنَّجْوَى فَسَوْفَ تَرَانِي

— 71 —

وقال رحمه الله والتزم فيه ما لا يَلْزَمُ :

[السريع]

يَا قَمَرًا أَبْصَرْتَ فِي مَأْتَمٍ   أَنْتَ مِنَ الفِرْدَوْسِ أَوْ أَنْتَ مَنْ
نَاشَدْتُكَ الرَّحْمَنَ فِي وَالِهٍ   إِلَيْكَ عَنْ سِرِّ الهَوَى مُؤْتَمَنْ
قَدْ فَعَلَتْ عَيْنَاكَ فِي قَلْبِهِ   مَا فَعَلَ الصَّمْصَامُ فِي رُسْتُمَنْ (1)
فَعِدْهُ تَفْدِيكَ نُفُوسُ العِدَا   وَلاَ تُمَاطِلْ وَعْدَهُ أَوْ تَمُنْ (2)

1) الريحان : نبات طيب ، ويظهر أن فيه تورية حيث إن المقصود امرأة تدعى «ريحان» كان ورد ذكرها في أبيات أخرى لهذا الشاعر .

1) رستمن : هو رستم قائد فارسي كسره سعد بن أبي وقاص قائد العرب في وقعة القادسية (637) .
القادسية : مكان بأرض العراق بين خندق سابور والعتيق ، في السنة 13 هـ وقعت حرب ضروس بالقادسية بين جيش الاسلام بقيادة ابن أبي وقاص وجيش الفرس بقيادة رستم . وكانت الغلبة للفرس في اليوم الاول من المعركة لأن خيل المسلمين أزعجها منظر فيلة الفرس . وفي اليوم الثاني جاءت النجدة للجيش العربي فركب الجند الجمال وبرقعوها وجللوها حتى صار لها شكل أخاف خيول الفرس فولت هاربة منهزمة . وفي اليوم الثالث حمل جيش الاسلام على الفرس حملة قوية موجهة الى سرادق رستم فقبض عليه هلال بن علفة وقتله وانهزم جيش الفرس شر هزيمة ..
2) كلمة تمن تقرأ بالتخفيف للوزن .

— 72 —

وقال رحمه الله تعالى وبعثها لأخص أحبابه الشيخ محمد ابن الخوجة الجزايري وكان المسعودي إذ ذاك بحمام الأنف :

[الطويل]

وَلله مَا هَاجَتْ لِتُونِسَ أَوْبَتِي
وَمَا هَمَلَتْ مِنْ أَجْلِهَا سُبْلُ(1) عَبْرَتِي(2)
وَمَا هَيَّجَتْ أَشْوَاقَهَا وَتَأَجَّجَتْ
وَمَا بَرِحَتْ تَزْدَادُ فِي كُلِّ لَحْظَةِ
وَقَدْ طَالَمَا أَصْلَتْ فُؤَادِي عَلَى لَظَى
فِرَاقٍ أَلِيمٍ كَيْ تُجَدِّدَ مِحْنَتِي
وَمَا تُونِسٌ تَثْنِي عِنَانِي وَمَنْ بِهَا
وَلَكِنَّمَا بِئْرُ الحَجَّارِ (3) قَضِيَّتِي
سَقَى اللهُ ذَاكَ الحَيَّ صَوْبًا مِنَ الحَيَا
وَحَيَّا حَيَاةَ النَّفْسِ طِيبَ تَحِيَّةِ
وَخَصَّ فِنَاءَ الحِبِّ دَارَ مُحَمَّدٍ
وَجَادَ عَلَيْهَا الصَّوْبُ لَكِنْ بِرَحْمَةِ
فَلِلَّهِ ذَاكَ الظَّبْيُ يَرْتَعُ حَوْلَهَا
وَمَا رَاتِعٌ إِلاَّ بِجَأْشِي وَمُهْجَتِي

1) في المخطوط «سبك» وهو محرف عن (سبل) مخفف من سبل جمع سبلة وهي المطرة الواسعة من قولهم أسبل المطر والدمع ، أي هطلا .
2) العبرة : الدمعة .
3) «بئر الحجار» : حي بقلب مدينة تونس .

فَيَا سَالِبَ الأَرْوَاحِ حَتْماً بِـــرِقَّـــةٍ
فَرَحْمَاكَ رَحْمَاكَ الدَّنِيفَ (4) بِعَطْفَةِ
وَيَا طَالَمَا أَفْنَى فِي (5) حُبِّكَ رُوحَـــهُ
فَهَلْ تَعِدَنْ مُضْنَاكَ مِنْكَ بِرَوْحَـــةِ
فَتُوصِلُ (6) مَقْطُوعَ السُّرُورِ بِأُنْسِكُـــمْ
وَتَجْمَعَ مَفْرُوقَ الوِصَالِ بِعِزْمَـــةِ
أَهْدِي سَلاَماً طَابَ نَشْرُ عَبِيــــرِهِ
كَمَا طَابَ ذِكْرَاكُمْ [إِلَيَّ] (7) بِصَفْوَةِ
وَمَا جُدِّدَ الشَّوْقُ الكَمِينُ بِقَوْلِنَـــــا
وَلِلَّهِ مَا هَاجَتْ لِتُونِسَ أَوْبَتِــــــي

— 73 —

وقال رحمه الله وعزّها بثانية وذلك لأن المخاطب تشاغل عن رد الجواب بأمور تسلب الألباب :

[الطـويـل]

إِذَا كَانَ مَدْحِي فِيكُمُ بِقَصِيدَتِــــي
(وَلِلَّهِ مَا هَاجَتْ لِتُونِسَ أَوْبَتِــــــي)
قَدْ أَوْرَثَتْنِي صَدّاً وَبُعْداً وَجَفْـــوَةً
فَإِنِّيَ رَاضٍ عَنْكُمُ بِالسَّلاَمَـــــةِ

4) «الدنيف» : الدنف : من لازمه المرض وأضناه .

5) الياء من «في» زائدة عن حروف التفعيلة ، فينخرم بها الوزن ، وهو عيب ملحوظ في شعر المسعودي ومزر بمحاسنه .

6) الفصيح والصحيح «فتصل» لان وصل مضارعه يصل لا يوصل . أما أوصل يوصل فلا يتفق مع المعنى المراد ، وهكذا لا يتحاشى المسعودي العبث بالصرف أيضا بدافع الضرورة .

7) في الاصل «إليكم» ولا شك أن «إلي» هي التي تتناسب مع المعنى . ولعل (لدي) في هذا المقام أفصح . ولكننا نثبت «إلي» لانها هي التي أرادها المسعودي وحرفت في النسخ .

وَيُقْنِعُنِي أَنِّي أَمُوتُ بِهَجْرِكُـــمْ
سَعِيداً شَهِيداً لاَ أُبَالِي بِمِيتَتِــــي
وَإِنْ كَانَ مَرْضَاكُمْ أَمُوتُ صَبَابَـــةً
بِهَجْرِكُـمُ أَنْجِزْ بِحَقِّكَ قِتْلَتِـــي(1)
وَإِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ تَعَمَّدْتُ فِعْلَـــهُ
فَلِي شُفَعَاءٌ مِنْكُمُ بِالْمَحَبَّـــةِ
وَإِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِالْوَسِيلَةِ إِنَّنِـــي
دَخَلْتُ حِمَى جَاهٍ طَوِيلِ الذُّؤَابَـــةِ
وَإِلاَّ بِحَقِّ الفَاءِ وَالطَّاءِ بَعْدَهَـــا
وَحَقِّكَ مَعْهَـا أَنْ تَمُـنَّ بِعَطْفَـــةِ
أَيَا سَالِبَ الأَرْوَاحِ قَدْ جِئْتُ شَاكِيـــاً
إِلَيْهِ وَمِنْهُ هَلْ تُزِيلُ شَكِيَّتِـــي
وَتَقْضِي عَلَيْكَ مِنْكَ عَدْلاً بِلاَ رُشَـــى
وَإِنْ كُنْتَ تَقْضِي لِي عَلَيْكَ بِقُبْلَـــةِ
فَيَا حَبَّذَا الحُكْمُ المُطَاعُ وَعِزَّ مَـــا
إِذَا كَانَ فِي الجِيدِ الصَّقِيلِ كَفِضَّـــةِ

1) تصرف المسعودي تصرفا شاذا وإن كان لا يخلو من طرافة في صوغ الجملة ، وذلك بدافع من ضرورة الشعر ؛ فعمد الى إلغاء بعض حروف الربط ، فكان عليه أن يقول : وإن كان مرضاكم أن أموت صبابة .
وكذلك أهمل ربط جواب شرط «إن» بالفاء وقدم الجار والمجرور عليه .

— 74 —

وقال رحمه الله يعاتب الشيخ محمد ابن الخوجة الجزائري المذكور عن تخلفه بالقدوم إليه :

[الطويل]

فَدَيْتُكَ بِالأَمْوَالِ وَالآلِ وَالأَهْلِ
وَعِشْتَ قَرِيرَ العَيْنِ فَرْدًا بِلاَ مِثْلِ

ذَكَرْتَ اشْتِيَاقاً ثُمَّ أَعْقَبْتَ (1) بَعْدَهُ
بِعَادًا وَأَبْدَلْتَ القَطِيعَةَ (2) بِالوَصْلِ

فَهَلْ أَنْتَ مِمَّنْ يَدَّعِي الشَّوْقَ قَلْبُهُ
وَيَحْتَجَّ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ (3)

— 75 —

وقال رحمه الله تعالى مسترجعا من الشيخ المذكور ديواني البحتري والورغي :

[الطويل]

أَمَنْ مجده فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ (1) وَالْفَرْغِ (2)
وَمَنْ نَالَ فِي الْعَلْيَاءِ فَوْقَ الذِي يَبْغِي

1) في المخطوط «أغفلت» وهو مناف للمعنى المراد وإنما هو محرف عن «أعقبت» . يقول : إنك ذكرت اشتياقك ولهجت به ولكنك اثر ذكرك انتهجت البعاد وسلكت سبيل الجفاء . ومما يدل على ذلك قوله في العجز : «وأبدلت القطيعة بالوصل» .
2) الظاهر أن الشيخ ابن الخوجة أبدل الوصل بالقطيعة لان الباجي المسعودي يعاتبه بسبب القطيعة والهجر .
3) في هذا البيت تضمين بتصرف لقول المتنبي :
وما أنا ممن يدعي الشوق قلبه ... ويحتج في ترك الزيارة بالشغل

1) السماكان : كوكبان نيران يقال لاحدهما السماك الرامح لان أمامه كوكبا صغيرا يقال له راية السماك ورمحه ، ويقال للآخر الاعزل لانه لا شيء أمامه .
2) هو اسم كوكبين يشكلان إحدى منازل القمر .

وَيَا فَخْرَ أَهْلِ الْغَرْبِ يَا مَنْ مَحَلُّهُ
مِنَ اللُّطْفِ مِثْلُ الخَالِ فِي عَطْفَةِ الصُّدْغِ

تَفَضَّلْ عَلَى الخِلِّ الوَثِيقِ وِدَادُهُ
بِدِيوَانِ شِعْرِ البُحْتُرِيِّ مَعَ الوِرْغِي

— 76 —

وقال رحمه الله تعالى مقرظا قصيدة الشيخ محمّد ابن الخوجة الجزايري ويهنّئه بالعدالة :

سيدي الأوحد الأودّ ، وعضدي وساعدي الأشدّ ، لمّا تأمّلت ما أمليت من درر فكرك ، تطفلتُ عن أن أحذُوَ حذْوَك ، وأغترفَ من بحركَ ، وان كنتُ في ذلك كمُهدي العود لبلد الهند أو حامل العنبر ، للبحر الأخضر ، وأين الثريا من يد المتناول . ولكن نظركم بعين الرضى يُوسعُ العُذْر ، ويستكثر من وَدُوده النَّزْرَ :

[الطويل]

أَهَذِي سَمَاءٌ زُيِّنَتْ بِالْكَوَاكِبِ
وإلاّ لآلٍ فِي نُحُورِ الكَوَاعِبِ

وَأَزْهَارُ بُسْتَانٍ تَضَوَّعَ نَشْرُهَا
وَإِحْسَانُهَا أَمْ هِيَ زُهْرٌ (1) الثَّوَاقِبِ

بَلَى هِيَ من أَفْكَارِ فِكْرٍ مُهَذَّبِ
تُنَازِلُ مَنْ شَاءَتْ بِإِيمَاءِ حَاجِبِ

هُوَ الْفَاضِلُ النِّحْرِيرُ وَالْفَطِنُ الذِي
مَعَالِيهِ مِنْ فَوْقِ السُّهَا (2) بِمَرَاتِبِ

1) الزهر : ثلاث ليال من أول الشهور كالغرر والثواقب : النجوم المضيئة .
2) السهى والسها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى . ومنه المثل «أريها السهى وتريني القمر» . يضرب للذي يسأل عن شيء فيجيب جوابا بعيدا .

مُحَمَّدٌ بْنُ الخُوجَةِ الفَاضِلِ الرِّضَى
سَلِيلُ الكِرَامِ شَمْسُ [هَدْي] (3) المَغَارِبِ
حَلِيفُ طِلاَبِ العِلْمِ يَحْسَبُ نَيْلَهُ
أَلَذَّ وَأَشْهَى مِنْ وِصَالِ الحَبَائِبِ
إِذَا أَعْضَلَتْ إِحْدَى النُّكَاتِ يَحُلُّهَا
بِذِهْنٍ كَحَدِّ المَشْرَفِيَّةِ ثَاقِبِ
سَيَبْلُغُ مَا يَرْجُوهُ مِنْ كُلِّ مَطْلَبٍ
وَتَنْظُرُهُ فَوْزًا بِأَعْلَى المَرَاتِبِ

— 77 —

وقال أيضا يهنيه بشهادة البحيرة (1) :

[الوافر]

هَنِيئاً بِالبُحَيْرَةِ وَهْيَ بَدْءٌ ... لِكُلِّ مَقَامِ عِزٍّ فِيهِ خِيرَهْ
وَكُلُّ مُسَافِرٍ لِطِلاَبِ مَجْدٍ ... فَأَوَّلُ مَا يُقَدِّمُهُ البُحَيْرَهْ (1)

— 78 —

وَقَالَ أَيْضًا مجيبا له عن استدعائه إياه لعهد أنس :

[الوافر]

سَلاَمٌ لاَ تُشَابِهُهُ الدَّرَارِي ... وَلاَ الرَّوْضُ المُطَرَّزُ بِالبَهَارِ
وَوُدٌّ لاَ نَفَادَ لَهُ وَشَوْقٌ ... إِلَى عَلْيَاكَ لَيْسَ بِذِي اقْتِصَارِ
إِلَى ابْنِ الخُوجَةِ الفَذِّ المُعَلَّى ... فَرِيدِ العَصْرِ طُولَ الاِفْتِخَارِ
نَعِمْتُ بِقُرْبِهِ حِيناً وَلَكِنْ ... عُيُونُ الدَّهْرِ تَطْلُبُنَا بِثَارِ

3) بياض في الاصل يمكن سده بما ذكر .

1) لعله أراد بـ «البحيرة» المعاليم الجمركية وربما كان ذلك مصطلحهم في عصر المسعودي .

عَسَى فَضْلُ الإِلَهِ [يُدِيل] (1) مِنْهَا
وَيَجْمَعُنَا عَلَى وِفْقِ اخْتِيَارِ

— 79 —

وقال أيضا يستنهضه :

[الوافر]

أُخَيَّ العِشْرُونَ مِنْ شَعْبَانَ وَلَّتْ
وَهَا شَمْسُ المَسَرَّةِ قَدْ تَجَلَّتْ
وَجَادَ لَنَا الزَّمَانُ بِطِيبِ يَوْمٍ
بِهِ أَيَّامُ عُمْرِي قَدْ تَحَلَّتْ
نَعِمْتُ بِوَصْلِ أُخْتِ البَدْرِ لَكِنْ
لَهَا فَضْلٌ عَلَيْهِ أَيْنَ حَلَّتْ
وَلِمْ لاَ وَهْيَ تَجْمَعُ كُلَّ حُسْنٍ
وَفِيهَا أَلْسُنُ الشُّعَرَاءِ كَلَّتْ
فَتَاةٌ مِنْ بَنَاتِ التُّرْكِ مَاذَا ... عَلَيْنَا مِنْ سُيُوفِ اللَّحْظِ سَلَّتْ
وَتَخْطُرُ فِي مَلاَبِسَ مِنْ جَمَالٍ
ثِيَابَ الصَّبْرِ وَالسُّلْوَانِ أَبْلَتْ
وَشَمْسُ الرَّاحِ مُشْرِقَةٌ عَلَيْنَا
وَسَيْفُ كُؤُوسِنَا لِلْهَمِّ فَلَّتْ (1)
وَرَبَّابٌ يُجِيبُ نِدَاهُ عُودٌ
بِتَرْجِيعٍ عَلَى الأَشْجَانِ دَلَّتْ (2)

1) بياض في المخطوط يمكن سده بما ذكر كما يدل على ذلك حرف الجر بعدها . من قولهم أدال الله من فلاه ، أي نزع الأمر والسلطان من يده .

1) في المخطوط «فصلت» مع ذكر احتمال أنها «سلت» . والذي يقتضيه الوزن والمعنى والقافية : «فلت» .

2) زيدت التاء للضرورة لان الضمير يعود على مذكر وهو الترجيع .

وقال حين اجتماعه بأحمد فارس الشدياق (1805 — 1887م) صاحب الجوائب ★ :

[الطويل]

يَميناً بِمَنْ لاَقَى عَلَى غَيْرِ مَوْعِدِ
لِمَنْ فَضْلُهُ لِلْحُبِّ فِي الْقَلْبِ غَارِسُ
لأَنْتَ بِذَاكَ الْقُطْرِ سَحْبَانُ وَائِلٍ (1)
وَأَنْتَ بِمَيْدَانِ الْيَرَاعَةِ فَارِسُ

— 81 —

وقال أيضا معاتبا بعض أحبابه :

[السريع]

ياعاتباً في الحبّ لاتَعْتَبِ حبّكمْ المشهورُ من مذهبي
أيْأسني التوبةَ من حبّكم طلوعكم شمسا من المغربِ

★ ولد فارس الشدياق بعشقوب من قرى لبنان ، وتخرج في مدرسة عين ورقة ، ثم انصرف الى التحصيل والتنقيب ، فترامى صيته الى مسامع الاميركان فدعوه ليعلمهم اللغة العربية فانطلق الى مصر ، ثم انتدب الى مالطة للتعليم في مدرسة الاميركان ، ثم سافر الى أوروبا فصادفه المشير أحمد باشا باي في باريس فدعاه الى بلده ، فلبى الدعوة ، وأقيم في تونس رئيس التحرير في جريدة الرائد الرسمي التونسي . وهناك أسلم فدعي أحمد فارس وطار صيته في الاقطار العربية لعلمه وأدبه ثم قصد الآستانة وأنشأ فيها صحيفة الجوائب .

للشدياق آثار كثيرة من أشهرها «الجاسوس على القاموس» و «سر الليال في القلب والابدال» و «الساق على الساق في ما هو الفارياق» .

أما فنه فقد اتبع الاسلوب السهل الذي يسير مع الحياة من غير تسلسل منطقي ، وهو يتقصى جزئيات الامور ويستخدم في تحليله ومناقشاته الاسلوب القصصي . أما شعره فتقليدي مع انه أكثر من نقد تلك الاساليب .

1) سحبان ابن وائل : من أكبر فصحاء العرب .

وقال أيضا مخاطبا الأكتب محمد التطاوني لمّا ألحق في نظم الشيخ بيرم الثاني أبياتا في ذكر السلاطين :

[الطويل]

وَقَدْ أَلْحَقَ التَّطَاوِنِيّ مُحَمَّدٌ
خَلاَئِفَ جَاءَتْ بَعْدَ هَذَا الْمُعَظَّمِ
فَقَالَ وَلَمْ يَلْحَقْ بِقَوْلِهِ شَأْوَ مَنْ
مَقَالُهُ فِيهِم كَالْجُمَانِ الْمُنَظَّمِ (1)
أَتَى بَعْدَهُ عَبْدُ العَزِيز وَيَا لَهُ
إمَامًا حَوَى بالعزّ فَضْلَ التَّقَدّمِ
أَتَى قُبَّةَ الإسْلاَم وَهْيَ عَلَى شَفَا
يَقُولُ أيَا دَارًا لِمَيَّة فَاسْلَمِ
بَدَا أَمْرُهُ مِنْ حَيْثُ مَا كَانَ صِنْوُهُ
إلَيْهِ انْتَهَى بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ فَاعْلَمِ
أَعَدَّ مِنَ الأَجْنَادِ وَالعُدَدِ الَّتِي
تَجَرّعَ فِيهَا الرّوسُ كِيسَانَ عَلْقَمِ

1) في البيت الاول والثاني يشير المسعودي الى منظومة للشيخ بيرم الثاني بعنوان «نظم الجمان بسلاطين ال عثمان» وهي التي عمد محمد التطاوني إلى وضع تتمة ألحقها بها . لكنها انحطت عنها مرتبة وقصرت دونها شأوا كما يشعر بذلك قول المسعودي . ثم روى لنا أبياتا منها كلها إسفاف وضعف فهل هذه الابيات التالية المحكية عن التطاوي هي من نظمه حقا أم هي كما يغلب على الظن منتحلة عليه من طرف المسعودي على سبيل التهكم والظرف كما كان يفعل الاستاذ حسين الجزيري صاحب جريدة النديم في سرده أشعارا سخيفة معزوة الى المرحوم الشيخ معاوية التميمي .

وَلَكِنْ لأمْرٍ شَاءَهُ اللهُ خَلْقَـــــه
سَرَى لَهُ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمِ (2)
فَسَاقُوهُ سَوْقاً والسَّمَاءُ (3) تَجُـــودُه
فمنهـل مزن والمحاجـر بالـــــدم
وَقَامَ مُرَادُ الخَلْقِ بَعْدَهُ لِلَّتِـــــي
مَرَامُهَا شَأْنُ كُلِّ خِرْقٍ (4) مُعَمَّــمِ
وَلَكِنْ مُرَادُ الحَقِّ بَيَّنَ عَجْـــزَهُ
فَعُوِّضَ مِنْ عَبْدِ الحَمِيدِ بِضَيْغَـــم
بِلَيْثٍ هَصُورٍ لاَ يُبَالِي بِمَنْ عَـــدَا
حَوَالَيْهِ مِنْ ذِئْبٍ وَكَلْبٍ مُـذَمَّــمِ
فَوَجَّهَ نَحْوَ الرُّوسِ وَجْهَ اهْتِمَامِـــه
يَجُرُّ خِضَمّاً مِنْ خَمِيسٍ عَرَمْـــرَمِ
وَلَكِنْ لِسُوءِ الحَظِّ خَانَتْ ثِقَاتُـــهُ
فَأَصْبَحَ صُلْحُ الرُّوسِ أَجْزَلَ مَغْنَـــمِ
وَيَا رُبَّ صُلْحٍ هُوَ لِلْحَرْبِ عُـــدَّةٌ
كَمَا اغْتَرَّ ذُو ضِغْنٍ بِبَادِي التَّبَسُّـــمِ
لأمْرٍ قَصِيرٌ مَا تَعَمَّدَ جَدْعَـــــه
لأنْفٍ (5) أَشَمَّ لاَ يُسَامُ بِمَرْغَـــم
بِهِ اسْتَعْزَلَ الزَّبَّاءَ وَهِيَ أَعَزُّ مِـــنْ
أَعَزِّ عَزِيزٍ كَانَ لِلْعِزِّ يَنْتَمِـــي

---

2) في هذا البيت يلاحظ ضعف وتفكك في التركيب : «شاءه الله خلقه» يريد شاء الله خلقه فجعل «خلقه» بدلا من الضمير في «شاءه» وهو غاية في التعقيد . و «سرى» له : يريد «الدوس» الاعداء ، والصحيح صيغة الجمع أي سروا .
3) بالاصل «وسراء» والصواب ما ذكر .
4) إنما أراد أخرق ، أي أحمق لا يحسن التصرف .
5) تركيب معقد ملتو ، يريد : لامر ما تعمد قصير جدعه لانف أشم . وهو ينظر الى المثل المشهور : لامر ما جدع قصير أنفه . وفي النص الاصلي تحريف واضح إذ جاء فيه (جزعه) بدلا من «جدعه» .

فجرعها كَأْسَ الرَّدَى فَصَّ خَاتَمِ (6)
وَلَمْ يُغْنِهَا قَرْعُ لِسِنِّ التَّنَــــدُّمِ
كَذَاكَ نَرَى الرُّوسِيَّ إنْ شَاءَ رَبُّنَـــا
يَخِرُّ صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَــــمِ (7)

— 83 —

وقال مجيبا الشيخ محمَّد السنوسي القاضي عن أبيات استعار بها منه بعض الكتب :

[مجزوء الرّجز]

يَا سَيِّدًا شَرَّفَنِـــي   بِنَظْمِهِ السَّامِي الأجَلّ
وَمَنْ غَدَا لِي مُخْلِصًا   فِي قَوْلِهِ مَعَ العَمَـــلْ
هَاكَ ابْنَ زَيْدُونَ مَعَ الرّ   سُولِ مَعْ رَقْمِ الحُلَلْ
أمَّا ابْنُ بَسَّامٍ وَمَنْ   أحَلَّكُمْ هَذَا المَحَلْ
مَا هُوَ فِي مِلْكِي وَلاَ   نَظَرْتُهُ إلاَّ عَجَـــلْ

— 84 —

وقال مكاتبا الشيخ محمد السنوسي (*) حفيد القاضي محمد السنوسي:

[الوافــر]

---

6) في هذا الصدر تقديم وتأخير في قوله : «الردى كاس» بدلا من (كاس الردى) . وفيه شذوذ وخرق للوزن وقواعد العربية ، ولعل المسعودي تعمد ذلك على سبيل الحكاية التهكمية لطريقة التطاوني في النظم كما أسلفنا .
7) يبدو لنا من خلال هذه القصيدة أن المسعودي كان يجيد السخرية والتهكم اللاذع بما أبرزه لنا من تصوير لبعض العقليات السخيفة .

★ قرض بهده القصيدة قصيد الشيخ محمد السنوسي . والشيخ محمد بن عثمان السنوسي أصيل بلد الكاف . ولد بتونس سنة 1266 وهو عالم لوذعي أديب عهد إليه بعد ممارسته التدريس بمهمة تحرير «الرائد الرسمي» الجريدة الرسمية للدولة التونسية ، والكتابة من جمعية الاوقاف ، ثم قلد كتابة المجلس المختلط العقاري والقضاء بالمجالس العرفية الجنائية بالوزارة . وله عديد من التاليف أشهرها: مسامرات الظريف لحسن التعريف والرحلة الحجازية والباريسية وجمع دواوين المتأخرين من الشعراء التونسيين وديوان الشاعر محمود قابادو .

نظامك أيها العلم السنوسي   بفضل الآل تاج للرؤوس
يفوق وحقكم عقد اللآلي   [ويعلو الجيد] (1) ينشد بالنفوس
فقد أبدعت إذ أودعت فيه   مفاخر للفروع وللأسوس
وصرت رفيق حسان وكعب [وغيرهما] (2) بذا العلق النفيس
جزاك الله أحسن ما يجازي   به من أذكر اللذ قد تنوسي

— 85 —

وقال رحمه الله مكاتبا المذكور :

[الطويل]

أما بعد تسليم وأزكى تحية
يحلان نادي نابغ العصر والمصر
محمد الفذ السنوسي من غدا
يضيف فخارا [لا يضاهى] (1) على فخر
فإن المحب اشتاق ما قد جمعته
لمحمود قابادو من النظم والنثر
وجمعكم ما شت من نظم غيره
وتقريظه المزري بعقد من الدر
فجد بهما فورا لمخلص ودكم
محمد الباجي ودم شامخ القدر

1) في المخطوط «ويعلق جيدا» وهو لا يستقيم مع الوزن والمعنى .
2) سقطت كلمة في أول العجز : هي على أصح تقدير «وغيرهما» كما يدل على ذلك ما تبقى منها وهو «ما» .

1) بياض وسط العجز يمكن تسديده بقولنا : (لا يضاهي) أو (لا يبيد) أو (لا يعد) مما ينسجم مع الوزن والمعنى .

— 86 —

وقال رحمه الله تعالى مؤرخا تمام طبع ديوان الشيخ قابادو★ الذي جمعه الحفيد المذكور :

[المجتث]

ديوان شعر لطيف   قد فاق فيه الشريف
محمود وهو الذي لا   يلفى إليه رديف
المفتي الهمام المفدى   الفذ البليغ اللطيف
وازداد بالطبع حسنا   للسمع منه (شنوف)
[بمدح] (1) قوم كرام   بالود والعهد يوفوا(2)
فاجن الأزاهر واشكر   عني فشكري طفيف
وقد نظمت ارتجالا   تاريخه : ذا شريف(3)

[طبع سنة 1295]

★ محمود قابادو : أديب وشاعر وعالم . ولي التدريس والقضاء والافتاء . وتوفي في رجب سنة 1288 . وله ديوان شعر مطبوع جمعه الشيخ محمد السنوسي .
1) في المخطوط («بقوم») وهو محرف عن «بمدح» كما يقتضيه المعنى لانه يشير الى مدائح قابادو .
2) من حق هذا الفعل المضارع أن يرفع بثبوت النون فحذفها الشاعر دون أي موجب سوى الضرورة ولو قال «أوفوا» بصيغة الماضي لتفادى ذلك مع ارتكاب إقواء خفيف .
3) طبع ديوان قابادو سنة 1295 . ولا يستقيم التاريخ الابجدي إلا بجعلنا دالا بدلا من الذال من «ذا» فيكون التاريخ المطابق حسب المصطلح المغربي : دا شريف .

— 87 —

وقال رحمه الله مقرظا للحفيد السنوسي المذكور في تهنئة المشير بدخول عام 1294 هـ وكان القائد إذ ذاك بحمام الأنف :

[الكامل]

وَافَتْ تُجَرِّرُ ذَيْلَهَا الدَّيْجُورِي
فَانْجَابَ صُبْحُ الوَصْلِ لِلْمَهْجُورِ

وَأَتَتْ تُذَكِّرُ عَهْدَ أُنْسِي بِالْمَهَا
وَزَمَانَ لَهْوِي بِالظِّبَا وَالْحُورِ

مَيَّاسَةُ الأَغْصَانِ تَحْسَبُ أَنَّهَا   نَشْوَى بِرَاحٍ مِنْ كُؤُوسِ مُدِيرِ

تَشْدُو بِلَحْنِ المَوْصِلِيِّ وَمَعْبَدٍ
وَمُخَارِقٍ (1) فِي نَغْمَةِ المَاخُورِي

فَتُعِيدُ مَيْتَ الصَّدِّ حَيّاً مِثْلَمَا
أَحْيَا السَّنُوسِي النَّظْمَ بَعْدَ دُثُورِ

جَرَّ اليَرَاعَ يَضُمُّ أَشْتَاتَ العُلَى
نَصْباً لِنَاظِرِهَا لِنَفْخِ الصُّورِ

1) مخارق : مغن شهير في أوائل دولة العباسيين تعلم على إبراهيم الموصلي وتوفي في سر من رأى (842) .

وَسَمَا لِتَخْلِيدِ المَآثِرِ وَالْحُلَى
لِلْغَابِرِينَ وَشُهَّدٍ وَحُضُورِ

وَتَقَلَّدَتْ مِنْهُ البِلادُ نَفَائِساً
وَفَرَائِداً بِالرَّائِدِ المَشْهُورِ

تُزْرِي بِأَزْهَارِ الرِّيَاضِ وَحُسْنِهَا
فِي عَيْنِ كُلِّ مُحَقِّقٍ وَبَصِيرِ

أَمُحَمَّداً وَابْنَ الذِينَ عُلُومُهُمْ
فِي القُطْرِ مِثْلُ يَلَمْلَمٍ وَثَبِيرِ

شَرَّفْتَنِي بِفَرِيدَةٍ أَبْدَعْتَهَا
عَامَ انْتِزَاهِ الصَّادِقِ المَنْصُورِ

فَظَلِلْتُ مِنْ طَرَبٍ أَمِيلُ كَأَنَّنِي
نَشْوَانُ مَاءِ الكَرْمَةِ المَعْصُورِ

وَكَأَنَّ مَا أَتْلُوهُ مِنْ أَبْيَاتِهَا   نَظْمُ الفَرَزْدَقِ أَوْ نِظَامُ جَرِيرِ

فَنَظَمْتُ مَا يَرْجُو المُحِبُّ بِقَوْلِهِ
عَنْ كَاسِدٍ لِلْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ

دَاعٍ لَكُمْ بِسَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ   وَإِعَانَةٍ وَمَبَرَّةٍ وَسُرُورِ

— 88 —

وقال مسترجعا من الشيخ البشير ابن الخوجة كتاب «جيش التوشيح» :

مَقَامَ أَعَزِّ المُحِبِّينَ ؛ وَنَاظِمِ السِّحْرِ المُبِينِ ، المُزْرِي طِرْسُهُ بِالْمُحَيَّا [وضاح] (1) الجبين ، أُهْدِي لِتِلْكَ الحَضْرَةِ مَا يُنَاسِبُ مِنَ التحية ؛ وَأَقُولُ وَإِنْ نَبَا السَّهْمُ عَنِ الرَّمِيَّةِ :

1) في المخطوط : «أو صباح» إصلاحه ما أثبتناه .

[الطــويـل]

عَلاَمَ أُعَنّى فِي الغَرَامِ وَأُسْهَدُ
وَقَدْ جَاءَ بِالبُشْرَى البَشِيرُ مُحَمَّدُ

وَأَرْسَلَ مِنْ آيَاتِ سِحْرٍ يَرَاعُهُ
كَتَائِبَ يَفْنَى الدَّهْرُ وَهْيَ تُخَلَّدُ

بِهِنَّ وِدَادُ الجَيْشِ يَقْصُدُ كُتْبَهَا
وَدُمْتَ عَلَى مَرِّ الجَدِيدَيْنِ تُحْمَدُ

— 89 —

وقال رحمه الله مهنئا الشيخ محمد الرياحي بولاية الكتابة :

[البسيـط]

وَرِثْتَ مَا نِلْتَ مِنْ فَضْلٍ أَباً فَأَبَا
وَرَامَ غَيْرُكَ أَنْ يَسْمُو لَهُ فَأَبَى

أَلَسْتَ شِبْلَ الأُلَى (1) سَادُوا وَكَانَ بِهِمْ
جِيدُ العُلَى يَلْبَسُ اليَاقُوتَ وَالذَّهَبَا

[هلالهم](2)أَنْتَ فَاعْجَلْ كَيْ [تُرَى قَمَرًا](3)
تَغْشَى بِطَلْعَتِكَ الكُتَّابَ وَالأُدَبَاء

لاَ زِلْتَ تَسْلُكُ سُبْلَ المُهْتَدِينَ كَمَا
تَرْجُو لِتَبْلُغَ مِنْ مَلْكِ العُلَى الأَرَبَا

1) بمعنى «الذين» .
2) كتبت هذه الكلمة في المخطوط هكذا «هل لا لهم» وصوابه ما أثبتناه كما تفيده قرينة القمر بعده .
3) نقص بالاصل يمكن إكماله بما ذكر .

— 90 —

وقال مهنئا الأكتب الحاج حمّودة بوسن بولاية ابنه الكتابة :

[الكـامـل]

بُشْرَايَ هَا قَدْ نِلْتُ غَايَةَ مَطْلَبِي
إِذْ زَانَ (1) عِقْدُ نِظَامِنَا بِالطَّيِّبِ

ذِي المَجْدِ وَالآدَابِ وَالخُلُقِ الَّتِي
تَسْرِي كَمَسْرَى الرَّاحِ فِي مُتَقَطِّبِ

فَاللهُ يَمْنَحُهُ الإِعَانَةَ وَالهَنَا
وَيَشُدُّ أَزْرَ أَبِيهِ مِنْهُ بِأَنْجَبِ

— 91 —

وقال رحمه الله تعالى :

[الكـامـل]

خُذْ يَا غَرَامِي بِالعِنَانِ وَسِرْ بِهِ
وَاطْرَحْ مَقَالَةَ عَاذِلِي طَرْحَ الحِذَا

هَلاَّ رَثَى لِتَأَسُّفِي وَتَلَهُّفِي
أَوْ كَانَ [كَفْكَفَ](1)وَبْلَ دَمْعِي وَالرَّذَا(2)

1) اضطر الشاعر الى استعمال «زان» بدلا من «ازدان» وهو عين ما وقع فيه في قصيدة قافية تقدمت .

1) في المخطوط «كبكب» وهو محرف عن «كفكف» كما يفيده المعنى .
2) «الرذا» يريد به «الرذاذ» وهو المطر الخفيف ، رخمه في غير ما نداء للضرورة . قال ابن مالك :
ولاضطرار رخموا دون نداء .

لَوْ قِيلَ لِلْحُسْنِ اقْتَرِحْ مَنْ تَصْطَفِي
لِيَكُونَ تَاجاً لِلْمِلاَحِ لَقَالَ : ذَا

يَا صَاحِبَيَّ إِذَا رَضِيتُمْ مَذْهَبِي
فَتَمَسَّكَا بِزِمَامِهِ وَبِهِ خُذَا

وَسَلاَ حُسَامَ اللَّحْظِ مَنْ أَمْضَاهُ فِي
سَفْكِ الدِّمَاءِ وَمَنْ أَحَدَّ وَأَشْحَذَا

وَسَلاَ الرُّضَابَ العَذْبَ مَنْ أَجْرَاهُ فِي
تِلْكَ الثَّنَايَا سُكَّرًا وَتَبَرْزَذَا (3)

وَأَحَالَهُ رَاحاً فَحَالَ كَأَنَّهُ
قَلَبَ الحَقَائِقَ سَاحِرًا وَمُشَعْوِذَا

لَوْ مَنَّ حَتَّى بِالْخَيَالِ جَعَلْتَهُ
لِعَظِيمِ مَا بِي شَافِياً وَمُعَوِّذَا

أَوْ ضَنَّ صُنْتُ عَنِ العِقَابِ جَنَابَهُ
مُسْتَسْلِماً مُتَذَلِّلاً مُتَلَذِّذَا

الذَّنْبُ لِي مَكَّنْتُهُ مِنْ مُهْجَتِي
فَاخْتَارَ قَتْلِي فِي هَوَاهُ وَأَنْفَذَا

فَلْيَهْنِنِي أَنِّي الشَّهِيدُ وَكُلَّ مَنْ
يَفْنَى عَلَى حُكْمِ الصَّبَابَةِ هَكَذَا

3) التبرزذ : السكر ، فارسي معرب .

وقال مجيبا شيخ الإسلام البيرمي عن أبيات استعار بها منه « ديوان مالك ابن المرحل » ★ :

[الكامل]

أَهْدِي السَّلاَمَ إِلَى أَعَزِّ جَنَابِ   وَأَخُصُّ جَمْعَ السَّادَةِ الأَحْبَابِ
وَأَوَدُّ أَنْ كُنْتُ المُسَلِّمَ لاَثِماً   لِجَلاَلِهِ لِلْبَابِ وَالأَعْتَابِ
وَافَى لِيَ النَّظْمُ الفَصِيحُ فَهَزَّنِي   هَزَّ النَّسِيمِ وَزَادَ فِي الإِطْرَابِ
وَالرَّوحِ أَنْعَشَهَا وَسَرَّحَ نَاظِرِي   فِي رَوْضَةٍ ذَهَبِيَّةِ الأَثْوَابِ

نَظْمٌ كَنَظْمِ العِقْدِ يَحْسُنُ تَحْتَهُ
مَعْنَاهُ حُسْنُ المَاءِ تَحْتَ حَبَابِ

وَابْنُ المُرَحِّلِ مَالِكٌ يَا مَالِكِي
وَنِظَامُهُ السَّامِي إِلَى الإِعْجَابِ

لاَ عَهْدَ لِي وَحَيَاتِكُمْ بِجَمِيعِ ذَا
لاَ زِلْتَ فِي زُلْفَى وَحُسْنِ مَآبِ

وَبَقِيتَ كَهْفاً لِلْمَعَالِي يَلْتَجِي
بِجَنَابِكُمْ أَبَداً أُولُو الأَلْبَابِ

★ أجابه بهاته الابيات معتذرا عن عدم تمكنه من الاستجابة لرغبته في إعارته ديوان مالك بن المرحل لكونه لا يملكه .

— 93 —

وقال أيضا مسترجعا من الشيخ المذكور كتاب « جيش التوشيح » :

[الكامـــل]

يَا عُمْدَتي فِي ذَا الزّمَانِ وَعُدّتِـــي
مَهْمَا ثَنَى دَهْرِي عِنَانَ جَمُـــوحِ
هَـا قَدْ سَطَا جَيْشُ الهُمُومِ بِخَاطِـري
فَابْعَثْ لَهُ جَيْشاً مِنَ التّوْشِيـحِ

— 94 —

كَانَ عَشِيَّة، عِنْدَ شَيْخِ الإسْلاَمِ المَذْكُور بِسَانِيَتِهِ بِالعِبْدلِيَّة، وتجاذبا أطراف الحديث، ما بين قديم وحديث، وتطارحا من الأخبار، ما يفوق نسمات الأسحار، على صفحات الأنوار. وكان من جملة ما أورده الشيخ بيرم. لعلي بن الجهم. يصف فوّارة في قصر جعفر المتوكل:

وفوارة تردّ على السحاب أمطارها.

فكلّنا عجب منه، واعترف بالتقصير عنه. ولمّا رجع صاحب الديوان إلى منزله بالعبدليّة، وكانت ليلة مقمرة مضيّة، جلس حول فوّارة. تشبه الهالة ضياء واستدارة، والنسيم عليل بليل، فتذكّر ما كان فيه من وصف الفوّارة، فنظم بديهة بقدر ما تنساب داره.

[الطويل]

وَفَوّارَةٍ فِي رَوْضَةٍ مِثْلِ هَالَـــة
عَلَى غُصُنٍ مِثْلِ اللّجَيْنِ قَدِ اعْتَـلَى

سَهِرْنَا عَلَيْهَا وَالنّجُومُ كَأَنّهَــا
أَقَاحُ رِيَاضٍ رَاقَ فِي أعْيُنِ المَـلاَ
وَلَمّا تَدَانَى الفَجْرُ خَافَتْ ذُبُولَـهُ
فَسَاقَتْ لَهُ السَّلْسَالُ طَلاً وَوَابِـلاَ

— 95 —

وقال أيضا في ذلك :

[البسيط]

وَدُمْيَةٍ وَقَفَتْ بَيْنَ الغُصُونِ لَهَـا
قَدٌّ لَطِيفٌ وَرِدْفٌ كَادَ يُرْدِيهَـا
لَمّا رَأَتْ أعْيُنَ الأزْهَارِ غَامِـزَة
سَقَتْهُمُ البَارِدَ السَّلْسَالَ مِنْ فِيهَـا

— 96 —

وقال مجيبا الشيخ حسونة حافيز عن قصيدة هنّأه بها بعرس ابنه سنة 1278 هـ.

[الطويل]

سَرَتْ كَدُكَاءِ عِنْدَ مُنْبَلِجِ الصّبْحِ
وَإلاّ كَبَدْرِ التَّمِّ أشْرَقَ فِي جُنْحِ
وَحَيّتْ فَأحْيَتْ مَيّتَ الصّدّ وَالجَفَـا
وَمُنْجَدِلاً فِي مَهْمَهِ العَذْلِ وَالنّصْحِ
فَلَبّيْتُ دَاعِي حُسْنِهَا بَعْدَ أوْبَتِـي
وَجَدّدْتُ إجْلاَلاً لَهَا عُقْدَةَ الصّلْحِ

وَقُلْتُ لِشَيْبٍ قَدْ أَلَمَّ بِلِحْيَتِي
رُوَيْدَكَ فِي ظُلْمِي وَعَطْفَكَ فِي فَضْحِي

تَرَفَّقْ قَلِيلاً بِي وَقِفْ لِيَ سَاعَةً
لَعَلِّي أَرَى تَكْرَارَ يَوْمِيَ بِالصَّرْحِ

وَعَلِّي أَرَى بَلْقَيْسَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ
فَأَسْلُو بِهَا أَوْلَيْتَ عَنْ لَيْلَةِ السَّفْحِ

وَعَنْ لَيْلَةٍ جَادَتْ بِجَمْعِ أَحِبَّتِي
وَأَوْلَتْ سُرُوراً قَدْ شَفَى القَلْبَ من [لَفْحِ](1)

وَهَيْهَاتَ أَنْ يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهَا
فَأَخْلاَقُهُ [وَقْفٌ] (2) عَلَى البُخْلِ وَالشُّحِّ

جَلَوْنَا بِهَا الأَذْهَانَ بِالنَّغْمَةِ الَّتِي
أَنَافَتْ عَلَى إِسْحَاقَ (3) فِي جَوْدَةِ الصَّدْحِ

وَسَامَرْتُ إِخْوَاناً تَفُوقُ نُجُومُهَا
مَعَالِيهِمُ وَالرَّوْضَ فِي طَيِّبِ النَّفْحِ

حُلِيَّ الدُّنَى فَخْرَ اليَرَاعِ وَمَنْ لَهُمْ
شُفُوفٌ عَلَى هَامِ الثُّرَيَّا مَعَ النَّطْحِ (4)

إِذَا هَزَّ عَسَّالَ اليَرَاعَةِ مِنْهُمُ
[كَمِيٌّ](5) كَفَى مِنْ غَيْرِ طَعْنٍ وَلاَ جَرْحِ

1) في المخطوط «سبح» وهو محرف عن «لفح» كما تفيده القرينة .
2) بالاصل «رقب» وهو محرف عن «وقف» كما يتضح ذلك من القرينة .
3) يشير الى إسحاق بن إبراهيم الموصلي المطرب الشهير على عهد العباسيين .
4) (النطح) نجم في إحدى منازل القمر . والشفوف : الزيادة .
5) في المخطوط «كمحى» وتصويبه «كمي» وهو الشجاع أو هو لابس السلاح لانه يكميه أي يخفيه عن الانظار .

وَأَقْنَى وَأَغْنَى عَنْ حُسَامٍ وَصَارِمٍ
بِحُسْنٍ وَإِحْسَانٍ [غَنِيَّ عَنِ الْمَدْحِ] (6)

وَلاَ سِيَّمَا حَسَّانُ وَهْوَ حَسُونَةٌ
(حَفِيدُ الأَدِيبِ البَارِعِ) (7) المَاجِدِ السَّمْحِ

فَتًى فَاقَ فِي أَقْرَانِهِ كُلَّ عَاكِفٍ
عَلَى الدَّرْسِ وَالتَّقْرِيرِ وَالْمَتْنِ وَالشَّرْحِ

وَنَالَ مِنَ الآدَابِ أَشْمَخَ رُتْبَةٍ
[وَإِنَّ مِنَ السَّعْدَانِ نَابِتَةُ الطَّلْحِ] (8)

وَأَحْرَزَ مِنْ خِدْرِ القَرِيضِ خَرِيدَةً
تُزَانُ بِعِقْدٍ مِنْ تَهَانٍ وَمِنْ مَدْحِ

أَتَتْنِي عَلَى وَهْنٍ فَسُرَّتْ قَرِيحَتِي
[بِتَقْرِيضِهَا نَقْضاً عَلَى الرَّدِّ وَالقَدْحِ](9)

فَمَا [و] أَنَا وَالحَالُ الْمُشَاهَدُ شَاهِدٌ
يُعَارِضُ جِدَّ القَوْلِ بِالْهَزْلِ وَالْمَزْحِ (10)

بَقِيتَ كَمَا تَرْضَى وَدُمْتَ مُؤَمَّلاً
وَسَاعَدَكَ الإِسْعَافُ بِالوَبْلِ وَالسَّحِّ

6) بالاصل «(غني الكدح)» ولا معنى له ، وإنما هو تحريف عن «غني عن المدح» .
7) في المخطوط «حفيظ البارع» وإصلاحه وإتمامه «حفيد الاديب البارع» لان البراعة من خصائص الاديب .
8) نص العجز في المخطوط : «وأين من السعد أن نبتة الطلح» . وصوابه : ما ذكر .
وفيه إشارة الى المثل : مرعى ولا كالسعدان .
9) نص العجز بالاصل : «تقريضها نقض عن الرد والقدح» وهو لا يستقيم معنى ولا وزنا .
10) توخي المسعودي هنا على عادته اقتضاب التركيب فقد كان من حقه أن يقول :
«فما أنا بالذي يعارض جد القول بالهزل .
فحذف بالذي» .

وقال مسترجعا كتاب « أدب الكاتب » من بعض أحبّته :

[المنسرح]

مِنْ أَدَبِ الكَاتِبِ تَرْجِيعُ مَا   طَالَعَ قَبْلَ طَلَبِ الطَّالِبِ
فَامْنُنْ بِهِ وَانْهَجْ بِهِ غَيْرَهُ   وَحَاشَا تَنْسَى أَدَبَ الكَاتِبِ

— 98 —

وقال مهنئا السيدأحمد بن الآغة بمولود :

لا زلتم الدهر في هنا ، وبلوغ مراد ومنى ، في أيّام زاهرة زاهية ، ذات سناء وسنى :

[الكامل]

وَرَدَ الْبَشِيرُ بِمَا أَقَرَّ الأَعْيُنَا
وَشَفَى النُّفُوسَ وَهَزَّ غَايَاتِ المُنَى (1)
وَتَقَسَّمَ النَّاسُ المَسَرَّةَ بَيْنَهُمْ
قِسَماً فَكَانَ أَجَلَّهُمْ حَظّاً أَنَا

وها أنا وإن لم آت في حَلْبَة الهناء مجليّاً ، فقد جئت مصليّاً ، وأنشدت مُهَنّياً :

[الكامل]

بِالتَّهَانِي وَبِالمَسَرَّةِ حَيَّا   فَلْيُقِمْ فِي السُّرُورِ مَادَامَ حَيّا

1) كذا ورد في المخطوط ولعله «هزرايات المنى» لان «هز الغايات» لا معنى له . وربما كان سبب ذلك أن الناسخ أو المملي عليه كان ألثغ في حرف الراء .

أَطْرَبَ النَّفْسَ حِينَ وَافَى بَشِيرٌ   بِغُلاَمٍ لَكُمْ زَكِيّاً سَرِيّا
فِي سَمَاءِ عُلاَكُمُ لاَحَ بَدْرًا   مُشْرِقاً نَيِّرًا سَنِيّاً مُضِيّا

مُصْطَفَى مُرْتَجًى يَعِيشُ مَصُوناً
سَيِّدًا أَوْرَعاً شَرِيفاً رَضِيّا

لِيُرَى سَابِقاً لِشَأْوِ أَبِيهِ   بَالِغاً فِي العُلَى مَكَاناً قَصِيّا
صَانَهُ اللهُ مِنْ هِلاَلٍ تَبَدَّى   مِثْلَ عِيدٍ لَنَا تَبَدَّى جَلِيّا
وَسُرُورٌ عَمَّ الأَحِبَّةَ حَتَّى   بَهَرَ العَيْنَ مِنْهُ نُوراً سَنِيّا
فَأَخَذْنَا مِنْهُ بِأَوْفَرِ حَظٍّ   شَرَحَ الصَّدْرَ وَالأَعَادِي بُكِيّا
دُمْتُمُ فِي العُلَى شُمُوسَ نَهَارٍ   تَلْبَسُ الأَمْنَ بُكْرَةً وَعَشِيّا

— 99 —

وقال مؤرخا بناء داره بتونس :

[مجزوء الرّجز]

تَمَّ البِنَاءُ وَانْتَظَمْ   بِحَمْدِ مَنْ أَسْدَى النِّعَمْ
لِبِنْيَةٍ كَأَنَّهَا   ثَغْرُ مُحِبٍّ مُبْتَسِمْ
تُسْكَنُ مَعْ سَعَادَةٍ   وَجَمْعِ شَمْلٍ مُنْتَظِمْ
بِالمُصْطَفَى وَآلِهِ   وَصَحْبِهِ أَهْلِ الكَرَمْ
أَرِّخْ لَهَا : تَمَامُهَا   فِي رَجَبِ الفَرْدِ الأَصَمْ (1)

1) في البيت تاريخ أبجدي لبناء دار المسعودي وهو يقابله سنة 1265هـ. وكانت داره هذه تقع بزنقة القلش حي بئر الحجار وكان لهذه الدار منفذ من الزنقة ومنفذ آخر على شارع باب البنات يستعمل عند الركوب في الكروسة .

— 100 —

وقال أيضا في ذلك★ :

[مخلع البسيط]

[إهْنَأْ] (1) بِهِ مَنْزِلاً سَعِيداً ... لأَعْيُنِ النَّاظِرِينَ قُرَّهْ

وَاسْكُنْهُ في غِبْطَةٍ [حميدا] (2) ... وَأَنْتَ فِي العِزِّ وَالْمَبَرَّهْ

وَهَاكَ تَارِيخَهُ وَحِيداً ... بِالأَمْنِ وَالْيُمْنِ وَالْمَسَرَّهْ (3)

— 101 —

وقال رحمه الله يصف قربص ، حين أقام به للتداوي :

[متقارب]

عليلٌ غَرِيبٌ ولاَ مُونِسُ ... يَحِنُّ لِرُؤْيَاكِ يَا تُونِسُ

★) مؤرخا إنشاء غرفة جديدة بعلوّ داره .

1) في الاصل «أهني» والصواب ما أثبتناه ، يقال : هنى به يهنأ ، أي فرح .

2) في الاصل «حميدة» وهو تشويه ، إذ نحن هنا ازاء قافية ثانية متكررة في اخر كل عجز من المقطوع .

3) التاريخ الابجدي في هذا البيت يشير الى سنة 1267 هـ. وهو لا يطابق التاريخ الاول فلعل هذا التاريخ الثاني جعل لاستقرار الشاعر في الدار التي كان قد تم بناؤها سنة 1265 هـ. وفي البيت الذي قبله إشعار بهذا إذ يقول :

واسكنه في غبطة حميدا .

★ أقام المسعودي بقربص مدة للتداوي والاستشفاء بالمياه المعدنية ولم يكن متعودا على مفارقة الاصدقاء والادباء ولم يألف الابتعاد عن العاصمة وكان كلما ذكر تونس هاج شوقه إليها واشتد حنينه الى مجالس الانس والادب ولم يكن بقربص في ذلك العهد من المرافق ما يسلي المسعودي عدا بعض المساكن المتواضعة والحمام العتيق « العراقة » والمسجد الصغير ، ولو عاش بقربص هذا الزمان وشاهد المنجزات الكثيرة الموجودة به مثل البريد والشرطة والمدرسة والنادي والحمامات العصرية والفنادق الانيقة والعمارات الشاهقة والمقاهي العامرة لجادت قريحته بأجمل الاوصاف ولاشاد بالعصر البورقيبي السعيد ونوّه بالدولة الفتية التي صيرت قربص مدينة استشفائية تشدّ إليها الرحال للتنزه والاستحمام .

وقد أرسل المسعودي هذا القصيد الى صاحبه أبي عبد الله محمد الطيب الرياحي .

يَمُوتُ إذَا مَا يَجُنُّ الدُّجَى ... وَيَحْيَا إذَا نَصَلَ الحِنْدِسُ

وَمَا حَالُ مَنْ نَزَحَتْ دَارُهُ ... وَقَرْبَهُ لِلْعَنَا قُرْبُصُ

فَلاَتَ اقْتِدَارٌ وَلاَتَ اصْطِبَارٌ ... وَلاَتَ افْتِرَارٌ وَمَنْ يَنْبِسُ

وَمِنْ دُونِ هَذَا تَطِيشُ الحُلُومُ ... وَتَدْمَى الكُلُومُ ولا تُحْبَسُ

قَرَارَةُ خِزْيٍ وَمَرْمَى هَوَانٍ ... وَنَارُ الهُمُومِ بِهِ تُقْبَسُ

وَمَا تَقَعُ العَيْنُ إلاَّ عَلَى ... مَرِيضٍ ثِيَابَ الضَّنَى يَلْبَسُ

وَزَمْنَى وَجَرْحَى يُسَقَّوْنَ مِنْ ... حَمِيمٍ تُحَمُّ بِهِ الأَنْفُسُ

[يُسَقَّوْنَ] (1) حَيْناً وَلاَ يَحْمَدُونَ ... وَعُذْرُهُمْ وَاضِحٌ إنْ نَسُوا

تَرَى كُلَّ ذِي عِلَّةٍ خَافِتاً ... يَئِنُّ إذَا ضَمَّهُ المِغْمَسُ

[يُلِينُ] (2) الجَلِيدَ وَيَشْوِي الجُلُودَ ... كَذَاتِ الوَقُودِ إذَا يُلْمَسُ

وَحِيناً تَرَاهُمْ كَأَهْلِ الإِكَامِ ... تَجُوبُ الجِبَالَ وَلاَ تَجْلِسُ

وَيَجْنُونَ مِنْ كُلِّ مُرٍّ بِهَا ... أُمُوراً تَجِفُ لَهَا الأَرْؤُسُ

وَيُضْحُونَ صَرْعَى خُمَارٍ إذَا ... حَسَرْهَا وَمَا دَارَتِ الأَكْؤُسُ

يُطِيفُ بِأَطْلاَلِهِ أَقْوَدٌ ... أَشَمُّ يُنَاجِي السَّمَا أَقْعَسُ (3)

يُطِلُّ فَتَحْسَبُهُ ظُلَّةً ... فَهَلْ قَوْمُ مُوسَى هُنَا [عَرَّسُوا] (4)

1) في المخطوط «يسمون» وهو محرف عن «يسقون» ، وهو ترديد لما جاء في البيت قبله . والحين : الهلاك ، أي يجرعون شرابا مهلكا .

2) في الاصل «يبيد» ولعل الاصح «يلين» ، يريد أن ذا الجلد تلين قناته وتخور عزيمته بمفعول ذلك الماء الحار .

3) وصف للجبل المطل على قربس . والاقود : الجبل الطويل .

4) في المخطوط «عرس» وهو لا معني له ، إنما هو «عرسوا» من عرس بالمكان إذا نزل به للاستراحة في اخر الليل أثناء السفر . يريد : أقاموا ههنا . يشير الى قوله تعالى بشأن بني إسرائيل : «وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم» سورة الاعراف ، آية 71 .

وَمَنْ حَوْلِهِ الْبَحْرُ لَكِنْ بِهِ ... عَوَاصِفُ صَرْصَرَ لاَ تَهْمِسُ
كَأَنَّ بِشَاطِئِهِ [حَرَّةً] (5) ... ثِيَابَ الحِدَادِ لَهَا مَلْبَسُ
فَلاَ البَرَّ بَرٌّ بِزُوَّارِهِ ... وَلاَ البَحْرُ بَحْرٌ وَلاَ يُونِسُ
وَلاَ نُزْهَةٌ غَيْرَ عَيْنِ التُّيُوسِ ... وَعَيْنِ السَّلاَحِفِ (6) ، لاَ قُدِّسُوا
مَكَانٌ سَحِيقٌ وَحُزْنٌ وَضِيقٌ ... وَقَمْرٌ يَسُوقُ العَنَا بَسْبَسُ
فَقُلْ لِلأَحِبَّةِ ، لاَ مَسَّهُمْ ... هَوَانٌ إِذَا انْتَظَمَ المَجْلِسُ
وَفَاحَ العَبِيرُ وَلاَحَ السُّرُورُ ... وَحَيَّاهُمُ الوَرْدُ وَالنَّرْجِسُ
إِذَا مَا شَجَاكُمْ ذِكْرُ حَبِيبٍ ... وَعِلْقُ مَوَدَّتِهِ الأَنْفُسُ
[فَقُولُوا] (7) بِمَا تَعْلَمُوا [عَنْ] أَخٍ ... مَحَاسِنُهُ بَيْنَكُمْ تُدْرَسُ
لَعَلَّ ادِّكَارَكُمْ مُنْعِشٌ ... قُوَاهُ الَّتِي قَارَبَتْ تَدْرُسُ
فَيَا فَالِقَ الحَبِّ يَا خَالِقِي ... وَأَنْتَ هُوَ المُسْعِدُ المُنْحِسُ
سَأَلْتُكَ يَا رَبِّ بِالمُصْطَفَى ... نَبِيِّ الهُدَى الطَّيِّبِ المَغْرِسِ (8)
وَبِالآلِ وَالصَّحْبِ وَالتَّابِعِينَ ... وَمَنْ فِي ثَرَى بَدْرٍ قَدْ عَرَّسُوا
وَبِالأَوْلِيَاءِ الأُلَى لَيْلُهُمْ ... بِنُورِ الهُدَى نَيِّرٌ مُشْمِسُ
تَدَارَكْ عُبَيْدَكَ وَانْظُرْ لَهُ ... بِعَيْنِ الرِّضَى فَبِهَا يُحْرَسُ
وَعَجِّلْ شِفَاهُ فَأَنْتَ القَدِيرُ ... إِذَا حَارَ بُقْرَاطُ (9) أَوْ هِرْمِسُ (10)

5) وردت في الاصل «ضرة» وإنما هي «حرة» وهي الارض ذات حجارة نخرة سود كأنما أحرقت بالنار . وفي البيت وصف واقعي لما شاهده من الصخور المسودة الواقعة على الشاطيء بقربص .
6) «عين التيوس» هي المعروفة بـ «عين العتروس» . و «عين السلاحف» هي عين الفكرون .
7) في المخطوط «فقالوا» و«من» وتصويبه كما ذكر . وعمد الشاعر على عادته الى حذف النون من المضارع المرفوع بدافع الضرورة .
8) يأبى الشاعر في مثل هذه القصيدة الرائعة إلا أن يرتكب إقواء فاحشا في قوله «الطيب المغرس» بكسر السين في قصيد مضموم القافية .
9) بقراط : طبيب يوناني .
10) هرمس : إله الفصاحة والتجارة والسرعة عند اليونان .

وَجَمْعٌ بِأَحْبَابِهِ شَمْلَهُ ... فَقَدْ طَالَ فِي قُرْبُصَ المَحْبِسُ
وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مَنْ بِهِ ... بُنُودُ الطَّوَاغِيتِ قَدْ نُكِّسُوا
وَآلٍ وَصَحْبٍ مَعَ التَّابِعِينَ ... لَعَلِّيَ فِي فَضْلِهِمْ أُغْمَسُ

— 102 —

وقال يصف العبدلية ★ :

[البسيط]

غَالِطْ زَمَانَكَ لاَ تَحْفَلْ بِمَنْ عَتَبَا ... وَدَعْ دَعَاوِيهِ إِنْ صِدْقاً وَإِنْ كَذِبَا
مَا خَادَعَ الدَّهْرَ إِلاَّ أَرْوَعٌ فَطِنٌ ... وَمَنْ يُغَالِبُهُ (1) فِي حُكْمِهِ غُلِبَا
تَصْفُو الْحَيَاةُ لِمَنْ أَغْضَى وَسَالَمَهُ ... وَقَادَ بِاللِّينِ مِنْ دُنْيَاهُ مَا صَعُبَا
هَلْ مَرَّ فِي الدَّهْرِ جِيلٌ غَيْرُ مُنْتَقِدٍ ... أَحْكَامَهُ فَاسْأَلِ التَّارِيخَ وَالْكُتُبَا
وَمِلْ إِذَا وَسْوَسَ الْخَنَّاسُ عَنْ عَجَلٍ ... لِلْعَبْدَلِيَّةِ وَاخْلَعْ عِنْدَهَا الْوَصَبَا
وَرَوْضَةٍ حَوْلَ [لُجِّ] (2) الْبَحْرِ رَاوَحَهَا ... صَوْبُ الغَمَامِ وَغَادَاهَا [النَّسِيمُ صَبًا] (3)

★ العبدلية : هي مصطاف المرسى والشاعر معجب به أيما إعجاب إذ أشاد به في عديد من قصائده وموشحاته . وقد نظم هذا القصيد في 16 جمادى الاولى 1283 هجري .
1) غفل الشاعر أو تغافل عن عمل(من) الشرطية، فترك المضارع بعدها في حالة رفع فأرضى بذلك الوزن وأغضب النحو ، وللضرورة أحكامها عند المسعودي .
2) في المخطوط : «لدى البحر» وإنما هو «لج البحر» ، ومنه قوله تعالى : «أو كظلمات في بحر لجيّ» .
3) ورد بالاصل : «نسيم الصبا» وهو لا يستقيم وزنا ، وإنما هو «وغاداها النسيم صبا» أي غاداها النسيم حالة كونه صبا أي هابًا من جانب الشرق .

وَدَبَّجَتْهَا سَمَا نِيسَانُ فَابْتَهَجَتْ
وَقَامَتِ الطَّيْرُ فِي أَفْنَانِهَا خُطَبَا
تَقُولُ: يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ [حَيَّ عَلَى] (4)
جِرْيَالَ (5) إِنْ جَالَ قَالَ الهَمَّ: وَاحَرَبَا
وَشَادِنٍ إِنْ شَدَا بِاللَّحْنِ تَحْسَبُهُ
[مُتَرْجِمًا](6) عَنْ ضَمِيرِ العُودِ إِذْ ضُرِبَا
يُصْغِي وَيُلْقِي عَلَى الأَسْمَاعِ مُضْمَرَ مَا
أَخْفَاهُ مِنْ قَبْلِ ذَا فِي جَوْفِهِ حِقَبَا
وَلِلنَّوَاعِيرِ وَالدُّولاَبِ هَيْنَمَةٌ
كَمِثْلِ إِلْفَيْنِ قَدْ خَافَا مِنَ الرُّقَبَا
هَذَا يَئِنَّ وَيَسْقِي الرَّوْضَ أَدْمُعَهُ
وَذَا يُوَلْوِلُ لَمَّا شَاهَدَ الطَّرَبَا
وَبِرْكَةٌ مَرِحَتْ حِيتَانُهَا وَغَدَتْ
كَأَنَّهَا فِي قُنُونِ المَاءِ بِنْتُ رُبَى (7)
[أَوْ دُمْيَةٌ] (8) مِنْ رُخَامٍ شِبْهُ غَانِيَةٍ
رِدْفًا وَقَدًّا وَثَغْرًا قَدْ حَوَى الشَّنَبَا
تَمُجُّ مِنْ ذَوْبِهَا مِثْلَ الجُمَانِ إِلَى
ذَوْبِ السَّحَابِ فَلاَ يُدْرَى الذِي غَلَبَا

4) في الاصل «عين علي» وإصلاحه ما ذكر .
5) «جريال» : من أسماء الخمر ، وقد منعه من الصرف كأنما أصبح علما ، وهو مظهر لدعابة الشاعر وظرفه ، حيث حاول مصطلح الصلاة والخشوع الى مفهوم الخمر واللهو .
6) في الاصل «مترجم» وهو خطا واضح .
7) شبه الشاعر البركة بالرابية الصغيرة أو بنت الربوة باعتبار تصاعد الماء واحديدابه فيها . والقنون : جمع قنة ، وهي الجبل الصغير .
8) في المخطوط «ودمية» . والاصح هو أن نجعل (أو) بدلا عن (و) لانه شبه البركة وفوران الماء فيها بالربوة الصغيرة أولا ، ثم بالدمية الرخامية ثانيا ، ثم بشجرة السرو الخ ... مستعملا في كل ذلك (أو) وهو ما يقتضيه المقام ، ولم يشذ عن ذلك إلا هذا البيت الذي تعين تصحيحه .

أَوْ سَرْوَةٍ مِنْ لُجَيْنٍ هَزَّهَا طَرَبٌ
فَانْثَالَ مِنْ فَرْعِهَا البِلَّوْرُ وَانْسَكَبَا
أَوْ بُنْدُقِيَّةُ مَنْ يَرْمِي بِلُؤْلُئِهَا
نَسْرَ السَّمَاءِ وَإِلاَّ البَدْرَ وَالشُّهُبَا
أَوِ الثُّرَيَّا [تَوَلَّتْ] (9) مِنْ مَعَارِجِهَا
لِلرَّوْضِ تَقْضِي بِهِ الحَقَّ الذِي وَجَبَا
فَامْزُجْ بِسَلْسَالِهَا [مَاءَ الحَيَاةِ] (10) وَضِفْ
لَهُ رُضَاباً يُحَاكِي الرَّاحَ وَالضَّرَبَا
مِنْ ثَغْرِ مَنْ سَبَتِ الأَلْبَابَ ثُمَّ رَنَتْ
إِلَى الوُشَاةِ وَقَالَتْ لِي [اتَّخِذْ سَبَباً] (11)
وَانْعَمْ بِوَصْلِيَ فِي رَوْضٍ حَكَى خُلُقِي
وَلاَ تُصِخْ لِمَقَالِ المَازِحِينَ صَبَا
بِذَاكَ فَالْهُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْكَ إِلَى
أَنْ يَرْدُدِ (12) الدَّهْرُ مَا قَدْ بَزَّ وَاغْتَصَبَا
فَالدَّهْرُ كَالدَّهْرِ وَالأَيَّامُ وَاحِدَةٌ
وَلاَ بَقَاءَ لِمَغْلُوبٍ وَمَنْ غَلَبَا:

9) في الاصل «تولت» وصوابه «تدلت» أي انحدرت ونزلت ، كما تفيده قرينة المعارج .
10) ورد في المخطوط «ماء الحياء» وهو لا يستقيم وإنما هو ماء الحياة ذلك الرحيق الاسطوري الذي يهب الخلود على حد قول عنترة :
لا تسقني ماء الحياء بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
وكأنما أراد الشاعر أن يشير الى أن تذوق الخلود في الدنيا إنما يتم عن طريق التأمل في محاسن الطبيعة والارتماء في أحضانها والامتزاج بها .
11) ورد في المخطوط «اتخذتم سبا» وتصويبه «اتخذ سببا» وفي نسخة أخرى : «وقالت لي اتل ختم سبا» إشارة الى قوله تعالى : «وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب» .
12) «يردد الدهر» : فك الادغام هنا له نهاية في الثقلة وللضرورة أحكام ، وقد كان بالامكان تفاديه .

أقام مدة بنابل للاستجمام فأنشد هذه القصيدة في وصفها :

[المجتث]

سَعَى بِكَأْسِ الشَّرَابِ مَنْ وَعْدُهُ كَالسَّرَابِ
أُنْسُ بَنِي العَصْرِ طُرّاً لَا البَدْرُ تَحْتَ السَّحَابِ
للهِ يَوْمٌ نَعِمْنَا مِنْ بَعْدِ طُولِ العِتَابِ
وَبَعْدَ هَجْرٍ وَصَدٍّ وَقَطْعِ رَدِّ الجَوَابِ
فَقُلْتُ: يَا مَنْ سَقَانِي مِنْ قَبْلُ خَمْرَ الرِّضَابِ
لِمْ لَا تَرِقُّ لِمَا بِي مِنْ [لَوْعَةٍ] (1) وَعَذَابِ
فَقَالَ لِي : أَنْتَ أَدْرَى بِحَالِ أَهْلِ التَّصَابِي
وَإِنْ تَجَاهَلْتَ فَادْرِي(2) سُلْوَانَ ذِي الاكْتِئَابِ
سَقَى رُبَاهَا سَحَابٌ يُزْرِي بِكَأْسِ الشَّرَابِ
وَجَادَهَا كُلَّ قَطْرٍ لأْلاَؤُهُ (3) كَالحَبَابِ
وَأَضْحَكَ الزَّهْرُ فِيهَا مَا فِي الرُّبَى وَالهِضَابِ
وَمَا بِسُحَيْرِهَا مَنْ تَخْتَالُ بَيْنَ الكِعَابِ (4)
تُصْبِي الحَلِيمَ إِذَا مَا شَامَتْهُ تَحْتَ النِّقَابِ

1) في الاصل «لوعتي» وإصلاحه «لوعة» حيث ذكر الضمير قبله ، وليس فيه إخلال بالوزن .
2) استبقى الياء في الامر من درى يدري الناقص لضرورة الشعر .
3) لالاوه : ضوؤه .
4) تركيب هذا البيت شاذ جريء في تحديه للقواعد المألوفة : (فما) هنا زائدة وإنما أراد : ومن تختال بسحيرها بين الكعاب . وقد أراد بالكعاب جمع كاعب ، وهو غير صحيح ، إنما يجمع كاعب على كواعب . قال تعالى : «وكواعب اترابا» . وسحير هو وادي سحير الواقع بضاحية نابل والمعروف بجماله الطبيعي الرائق .

وقال أيضا معارضا قصيدة لسان الدين بن الخطيب :

[الطويل]

وُقِيتَ العَنَا يَا حَادِيَ الرَّكْبِ بِالعِيسِ تَحَمَّلْ تَحِيَّاتٍ إِلَى دَارِ دَنِّيسِ
وَحَيِّ نَدَامَايَ الذِينَ أَلِفْتُهُمْ بِهَا وَعُيُونُ اللَّهْوِ تَرْنُو بِتَأْنِيسِ
وَأَيَّامَ لَذَّاتٍ تَقَضَّتْ بِقُرْبِهِمْ رَكَضْنَا بِهَا خَيْلَ السُّرُورِ بِلَا كَيْسِ
بِفُرْسَانِ أُنْسٍ يُقْبِلُونَ(1) إِذَا رَأَوْا ضِبَاءَ كِنَاسٍ فِي ثِيَابِ الطَّوَاوِيسِ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهْوِ نَفْسٌ مَشُوقَةٌ تَحِنُّ لإِنْجِيلٍ وَقَرْعِ نَوَاقِيسِ
وَتَصْبُو إِلَى ذِكْرِ الصَّبُوحِ وَفِتْيَةٍ شِعَارُهُمْ سَدْلُ الشُّعُورِ عَلَى الرُّوسِ (2)
إِذَا ذَكَرُوا شَرْعَ اليَسُوعِ تَمَسَّحُوا بِآثَارِهِمْ مَا بَيْنَ حَبْرٍ وَقِسِّيسِ
وَيَسْقُونَ مِنْ رَاحٍ كَأَنَّ نَسِيمَهَا رَسُولٌ إِلَى قَلْبِ المَشُوقِ بِتَنْفِيسِ
إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا يَقُولُ مُدِيرُهَا : «قَرَاتْسِي سِنْيُور أَفِيفَا أَيَا مُوس»(3)

1) في الاصل «يقولون» وهو محرف عن «يقبلون» ، وهو الذي يتفق مع الوزن والمعنى .
2) كان فتيان الاجانب يسدلون شعور رؤوسهم .
3) عجز هذا البيت عبارة عن تضمين لتعابير متعارفة من اللغة الإيطالية وهي هذه : grazie ; signore ; ew'va ; andiamoci

فتهتز أعطاف الندامى لقوله
كما هزت الإنجيل أسماع شميس (4)
لك الخير يا ماتيل(5) بادر بأوبة فإن أبي لولو عدو المفاليس
وإن ابن قسطنطين (6) حال وداده
لعلك ترثي أن تراني بلا كيس
فأنت كبير القوم غير مدافع تلاقي بنشر [للثياب] (7) بتنفيس
[لعل](8) الليالي أن تعود إليكم فنلبس أثواب الصفا خير ملبوس
وتلتذ من بير الحجار بشربة
ويقرع سمعي من خميس بتخميس (9)
هو المنزل الرحب الرفيع عماده
على الهضبة الشماء من قصر باديس (10)
لو أن لسان الدين عاناه (11) لم يقل
عسى وقفة بالركب يا حادي العيس

4) أراد بالشميس : الشماس ، وهو من بين رجال الكنيسة دون القسيس .
5) «ماتيل ولو لو» وغيرهما من أسماء الاجانب أصحاب الحانات في عهد المسعودي .
6) في المخطوط «قطنطين» وهو محرف عن «قسطنطين» الافريقي : مسلم تونسي تعلم في بغداد وسافر الى الهند وعاد الى تونس ثم تنصر فهرب الى إيطاليا ومات راهبا في كينو سنة 1087 ، وهو أول من نقل الى اللاتينية مؤلفات العرب الطبية .
7) في الاصل «لاثياب» وهو محرف عن «للثياب» لان نشر الثياب للزائر من علامات التكريم والتبجيل ويماثله بسط الرداء . وكثيرا ما نلحظ في أخبار العرب قولهم : بسط له رداءه ، وكذلك في سياق الحديث النبوي .
8) ورد في المخطوط «ممل الباهي» وإصلاحه : «لعل الليالي» وهو ما يتقضيه المعنى وتستدعيه القرينة .
9) «بير الحجار» هو النهج الذي كان به منزل الباجي المسعودي . و «خميس» أحد المطربين الذائعي الشهرة على عهد المسعودي وقد كان مولعا بفنه كما تشهد بذلك القصائد التي نوه فيها بشأنه وخاصة المرثية التي خصصها له (ص 86 من المخطوط) .
10) باديس : هو باديس الصنهاجي من بني زيري لقب بالمظفر ملك غرناطة (1073.1830) حارب العباسيين في إشبيلية محاولا احتلال الاندلس .
11) كذا في المخطوط وهو تحريف عن «داناه» كما تفيده القرينة لان المنزل يداني ولا يعاني . يقول : لو أن ابن الخطيب اقترب من هذا المنزل وعرفه لما قال شعرا في غيره .

وأنشد مضمنا للبيت الأخير :

[الوافر]

أحن لكم على شط المزار وأجعل ذكركم نقل العقار
وأهواكم وإن زعموا بأني سلوت أبعد ما عيل اصطباري
أيا قمري أتذكر حين كنا نبيت مع المسرة في إزار
وتذكر حالنا والدهر عبد وزند الأنس والإسعاف وار
إذ الأيام مشرقة سرورا وبدر السعد فاز على السرار
فمذ قلب المجن وتافستني عيون فيك ترغب في انكسار
أطعت حواسدي وأضعت ودي ونازعت الأعنة في نفاري
فوا أسفي ووا ظمئي ولهفي لري (1) النفس من بير الحجار
رباع صبابتي وربيع أنسي به كلفت نفس بلا سبق اختيار
وكم في الأرض من حسن ولكن
عليه لشقوتي وقع اختياري

1) بالاصل «يروى» وهو تحريف واضح ، والصحيح «لري النفس» كما نفهمه من المياق وهو قوله «واظمئي ولهفي» ، وفي نسخة أخرى «لما في النفس» .

وقال أيضا وأجاد :

[الوافر]

أشَاقَكَ (1) بَارِقٌ (2) في الجُنْحِ (3) سَارِي(4)
فَبِتَّ وَدَمْعُ جَفْنِكَ في انحدار

وَشِمْتَ (5) التونسيَّ فَصِرْتَ نَاس
لِصَبْرِكَ والتَّجَلُّدِ والوَقَار

تُقَلِّبُكَ الشجُونُ عَلَى فِرَاشٍ
كَأَنَّ بِحَشْوِهِ (6) زُرْقُ الشُّفَارِ (7)

تَذَكَّرْتَ العُهُودَ فَبِتَّ صَادِ (8)
أخَا ظَمَإٍ إلَى بِيرِ الحِجَارِ

أقَمْتُ بِهِ سِنِينَ وَمَا تَرَوَّتْ   بِهِ كَبِدِي وَلاَ خَمَدَتْ جِمَارِي

---

1) شاقني : هاجني وحملني على الشوق .
2) بارق : لامع ، يريد البرق .
3) الجنح : طائفة من الليل .
4) الساري : صفة للبرق المومض في الظلام من السرى . وهو السير في الليل . والمعنى : هل حرك أشجانك ما أبصرته من وميض البرق ؟
5) شمت الشيء : خمنته وقدرته ، أي تطلعت ببصرك الى التونسي فصرت ناسيا الصبر والتجلد والوقار . وتقتضي قواعد النحو أن تكون كلمة «ناس» منصوبة لانها خبر (صار) لكن المسعودي يتسامح في الاعراب ويوثر عليه الوزن .
6) بحشوه : حشو الفراش أو الحشية ما يحشى بالصوف أو الحلفاء أو غير ذلك لينام عليه الانسان (المضربة) بلغة العامة .
7) الشفر : أصل منبت شعر الجفن ، أي تتقلب على الفراش من الاحزان كأن حشية فراشك من الاشفار .
8) النحو يقتضي «صاديا» لا «صاد» ولكن للضرورة أحكام عند المسعودي . والصدى : العطش الشديد ، و «بير الحجار» حي مشهور كان بقلب مدينة تونس . يقول : إنه سكن حي بير الحجار دهرا ولم يشبع رغبته من سكناه .

سَقَى بِيرَ الحِجَارِ وَسَاكِنِيهِ   سُرُورٌ وَاكِفٌ (9) وَكَفَ القِطَارِ
وَحَيَّا بالسَّعَادَةِ كُلَّ بَدْرٍ   بِهِ يُجْلَى وَصَانَ عَنِ السِّرَارِ(10)
وبَيَّا(11) وَاضِحَ الخَدَّيْنِ غِرًّا   غَرِيرًا أغْيَدًا مَاضِي الغِرَارِ
عَزِيزَ النَّيْلِ ذَا حُسْنٍ عَزِيزٍ   صَغِيرٍ كَبَّرُوهُ عَلَى الصِّغَارِ
إذَا مَا مَاسَ يَمْزَحَ قَالَ قَلْبِي   خُفُوقًا مِنْ مُهَنَّدِهِ حَذَارِ

يَرَى تَعْذِيبَ مَنْ يَهْوَاهُ عَذْبًا
وَلاَ يَدْرِي الوِصَالَ ولاَ يُدَارِي (12)
أَبِيتُ [بِهِ] (13) عَلَى يَأسِي مُقِيمًا
يَدِي صِفْرٌ وَوَجْهِي ذُواصْفِرارِ
وَقَاصِرَةَ الحِجَالِ (14) إذَا تَبَدَّتْ
تَرَى التَّقْصِيرَ فِي البِيضِ القِصَارِ

تَصُدَّ مَلاَحَةً (15) وَتَتِيهُ صَدًّا   وَهَلْ لِلشَّمْسِ تُبْصَرُ مِنْ قَرَارِ
يُلاَحِظُهَا العَذُولُ فَيَصْطَفِيهَا   وَيَعْذِرُ كُلَّ خَلاَّعِ العِذَارِ
نَعِمْتُ بِهَا بِرَغْمِ أُنُوفِ قَوْمٍ   تُلاَحِظُنِي بِطَرْفٍ ذِي ازْوِرَارِ(16)
وَبِتْنَا وَالمُدَامُ لَنَا نَدِيم   يَسُرُّ وَنَحْنُ كَاليَدِ وَالسِّوار

---

9) وكف ، يكف : سال قليلا قليلا .
10) السرار : اخر ليلة من الشهر .
11) «وبيّي» كلمتا (حيّ وبيّ) متلازمتان يقال : حياك الله وبياك .
الغر : الشاب لا تجربة له . والغرير : هو ذو الخلق الحسن .
وأغيد الغلام معناه : لأنت أعطافه . والغيد : النعومة .
والغرار هو حد السيف . فشبه حيوية عيني الغلام ولمعانهما بحد السيف .
12) لا يداري : لا يلاطف .
13) بياض بالاصل وقع تلافيه بما أثبتناه وهو ما تقتضيه القرينة .
14) الحجال هنا جمع حجلة بفتحتين وهي ستر للعروس في جوف البيت «وقاصرة الحجال» بمعنى مقصورة في خدرها لا تبارحه على حد قوله تعالى : «حور مقصورات في الخيام» وربما أتى فاعل بمعنى مفعول في كلام العرب .
15) «تصد» : تعرض وتميل عني .
16) «ذي ازورار» : أي ينظر إلى شزرا .

إذا عاطيتُها كأسَ الحُميّا (17)   كساها حُلّةً من جُلّنار (18)

وألثمُها فيزدادُ اشتياقي   كأنّ اللثمَ من جنسِ العُقارِ (19)

وبنتُ الكرمِ يمزجُها ابنُ كرمٍ (20)

ويدري إذْ يُديرُ لمَنْ يُداري

وخامسُنا (21) خميسُ الزينِ يشدو

مُرادي يا عيونَ جنا القفارِ (22)

فتحسدُ مُقلتي إذْ ذاكَ سمعي

وتشهدُ بالفضيلةِ والفخارِ

فيا عصرَ التواصلِ هلْ إيابٌ   فتُطفي ما أواري منْ أوارِ (23)

ويُنظمُ شملُنا منْ بعدِ شتّ (24)

كما نهوى على وفقِ اختياري

لعلّ الله يجمعُنا سريعاً   وآخذُ منْ صروفِ الدهرِ ثاري

أخلائي اذكروا عهدي فإنّي   أحِنُّ لكُمْ على شحطِ المزارِ (25)

---

17) الحميا : الخمر .
18) الجلنار : زهر الرمان .
19) العقار : الخمر .
20) «ابن ألكرم» : اسم الساقي وهو مفتوح الراء في العامية .
21) خامسنا : فالخمسة هم الشاعر والحبيبة ومدير الكأس والخمر وخميس المغني الذي ينشد اغنية «يا عيوني» .
22) لعله : ظبا القفار . ولا معنى لـ «جنا القفار» .
23) وارى الشيء : أخفاه . الاوار : الحر الشديد ، العطش .
24) الشت : التفرقة .
25) شحط المكان : بعد .

— 107 —

وقال أيضا يصف أيّام أنسه (*) :

[الكامل]

يومٌ لهُ فضلٌ على الأيّامِ   مزجَ السحابُ ضياءَهُ بظلامِ

والبرقُ يخفقُ مثلَ قلبِ هائمٍ

والغيمُ يبكي مثلَ جفنِ هامِ (1)

وكأنّ وجهَ الأرضِ خدُّ متيّمٍ   وصلتْ سجامٌ (2) دموعَهُ بسجامِ

فاطلبْ ليومكَ أربعاً هنّ المنى   وبهنّ تصفو لذّةُ الأيّامِ

وجهَ الحبيبِ ومنظرًا مستشرفاً   ومغنّياً يشدو وكأسَ مُدامِ

— 108 —

وقال أيضا وأبدع :

[الرمل]

هاتِها كالتبرِ حُفّتْ باللآلي   وامزجِ الأيامَ منها بالليالي

بينَ أغصانٍ دوانٍ (1) وقفتْ   تطلبُ الغفرانَ من مولى الموالي

★ هذه الابيات ليست من نظم المسعودي مطلقا فقد أوردها الحصري في «زهر الآداب» منسوبة الى أبي الفتح البستي (214/2 ـ مصر 1925) . ولربما وجدت ضمن أوراقه أو في بعض كنانيشه فظنت خطأ من شعره .

وقد ورد البيت الخامس في المخطوط هكذا :

وجه الجيلب ومنظرا متشرفا ....

1) همت العين : صبت دمعها .
2) سجم الدمع : سال وانصب .

---

1) «أغصان دوان» : أي دانية .

وَدَوَالٍ (2) بَاسِطَاتٍ كَفَّهَـــا   تَخْطُبُ الصِّهرَ إلى بِنْتِ (3) الدَّوَالي
وَأغَانٍ وَمَغَانٍ حَوْلَنَـــا   تَبْذُلُ المَطْلوبَ مِنْ قَبْلِ السؤَالِ
وَجِنَانٍ [حَافِلٍ] (4) حَفَّتْ بِهِ   جَنَّتَانِ عَنْ يَمينٍ وَشِمَالِ (5)

— 109 —

وقال أيضا فيمن تدعى « فونة » (*):

[الوافر]

دَعَاني نَاظِري للحَتْفِ حَتْمًا   وَمَنْ يَرْعى الظِّبَا قَدْ يُتْلِفُونَهْ
كَلِفْتُ (1) بظَبْيَةٍ لَوْ قَابَلوهَا   بِبَدْرِ التَّمِّ مَا إنْ يُنْصِفُونَهْ
عَجِبْتُ لجَفْنِها وَسِنَانَ يَرْمِي   نِبَالاً للقُلوبِ وَيَأْلَفُونَـــهْ
وَكُنْتُ جَاهِلاً أصْلَ الغَرَامِ (2)   فَهَا أنَا فَائِقٌ مَنْ يَعْرِفُونَهْ
مَتَى أحْظَى بجَفْنِك إنَّ نَوْمِي   جُفُونِي للنِدَا لاَ يُسْعِفُونَهْ
وَنَمْزُجُ مِنْ رُضَابِكِ كَأْسَ رَاحٍ   عَتِيقٍ مِنْ قَدِيمٍ يُسْلِفُونَهْ (3)
وَخلاَّنٌ حَـــوَالَيْنَـــا وِدَادًا   لَهُمْ عَهْدُ الهَوَى لاَ يُخْلِفُونَهْ
وَنَهْزِمُ هَمَّنَا بخَمِيسِ لَهْوٍ (4)   وَأوْتَارِ عِذَابٍ يَرْدِفُونَهْ (5)

2) «دوال» : مفرده دالية .
3) بنت الدوالي : هي الخمر .
4) بالاصل «حامل» والجنان : جمع جنة ، وقد جعله مفرداعلى المألوف في اللهجة العامية .
5) والعجز مقتبس من قوله تعالى : «لقد كان لسبا في مساكنهم اية جنتان عن يمين وشمال» سورة سبا ، الآية 15) .

★ اسم امرأة وهو اسم شائع في العصر القديم .
1) كلف به : أحبه حبا شديدا وأولع به .
2) صدر هذا البيت مختل الوزن .
3) بالاصل «اسلفونه» وهو لا يستقيم وانما هو «يسلفونه» ، أي يتخذون منه السلاف ، وهو ما سال وتحلب قبل العصر ، وهو أجود الخمر . يقول : إن هذه الراح اتخذت من كرم قديم وكانت من نوع السلاف الرفيع .
4) خميس لهو : أي جيش لهو يهزم جند الهم ، وفيه توزية باسم خميس المغني .
5) «يردفونه» أي يتلونه ويتبعونه .

فَهَلْ يَا دَهْرُ تُسْعِفُ بِاقْتِـــرَاحٍ
وَتُغْمِضُ [مِنْ مُرَاقِبنَا] (6) جُفُونَـــهْ
أبِيتُ صَرِيعَ لَحْظٍ مَعْ رَحِيــقٍ   طَرِيحًا مُسْتَغِيثًا «يالَّ فُونَهْ» (7)

— 110 —

وقال أيْضاً فيمن تدعى « حنيفة » مطرّزا (*) :

[الطويل]

حَنَانَيْكِ رِفْقًــا يَا نَحِيفُ بِخَافِــقِ (1)
لأنِّي حَلِيفٌ للقُدُودِ الرَّوَاشِـــــقِ
نِبَالٌ رَمَتْنِي مِنْ حَوَاجِبِ قَوْسِهَـــا
فَهَا أنَا مُلْقًى بَيْنَ قَوْسٍ وَرَاشِـــقِ
[يُشَبِّبُ] (2) أشْوَاقِي إذَا هَبَّ شَمْــأَلٌ
عَلَيَّ بأنْفَاسِ الجَـزَائِرِ عَابِـــــقِ
فَهَلْ نَفْحَةٌ مِنْ قَلْبِهَا لأخَيِّهَـــــا
[بِجَفْنِي مِنهَا كَوْكَبٌ غيْرُ آبِــقِ](3)
تُرَى تَسْمَحُ الأيَّامُ مِنْهَا بِـــــزَوْرَةٍ
[فَنَحْظَى] (4) بِهَا مَا بَيْنَ نَهْدٍ وَعَاتِقِ

6) في المخطوط «عن تراقينا» وصوابه : «(من مراقبنا)» .
7) يستغيث بالمستغزل بها وهي «فونة» التي يبدو أنها كانت من مطربات ذلك العصر .

★ حنان الى مليحة جزائرية .
1) أي أرفق بقلبي الخافق .
2) في المخطوط «يشيب» والصواب «يشبب» . وكان على الشاعر أن يؤنث الشمال حيث كانت من أسماء الريح .
3) ورد العجز في المخطوط مشوها كل التشويه هكذا «يجفني منها كوكب عزايق» .
وبالاعتماد على الوزن يمكن تصويبه بما ذكر و«غير ابق» أي غير محتجب ومستتر .
4) في المخطوط «فتمضي» ولعل الاصح أن نقول (فنحطي) على حد قوله في قصيد له رائي (ص....).
وحلن عن العهد القديم وطالما   عبون بنا ما بين سحر الى نحر

— 111 —

وقال أيضا في ذلك [فيمن تدعى حنيفة] :

[الطويـــل]

حَرَامٌ عَلَى جَفْنِي المَنَامُ وَأَنْ يُـــرى
غَرَامِي يَحُولُ عَنْ هَوَى لُعْسَةِ الثَّغْرِ

[تُمَازِجُ كَأسِي مِنْ دُمُـــوعٍ كَخَدِّهَـــا
وَتَجْرِي عُيُونٌ مِنْ عُيُونٍ عَلَى صَدْرِي](1)

يَمِينًا بِذَاكَ الوَرْدِ وَالدَّعَجِ(2) وَاللَّمَى(3)
وَبِالمُنحَنِي وَالمُرْهَفَاتِ وَبِالخِصْـــرِ

فَإِنِّي عَلَى العَهْدِ القَدِيمِ وَحَبَّـــذَا
وَمَنْ لِي بِمَطْلَعِ الثُّرَيَّـــا مَعَ الفَجْـــرِ

تَلُوحُ وَقَلْبِي فِي جَمَالِهَا مُنْعِـــمٌ
وَنُمْسِي بِهَا فِي نَحْرِهَا وَهْيَ فِي نَحْرِي

1) ورد البيت بالمخطوط هكذا :
نمازج كاسي من دموعي كخدها وتجري عيون من عيون على صدر
والسياق يقتضي ما أثبتناه .
2) امرأة دعجاء : لها عين شديدة السواد مع سعتها .
3) اللمى بتثليث اللام : سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن .

— 112 —

وقال فيمن تدعى جنات وقد أحسن في التورية :

[الوافر]

أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَتَبِ الزَّمَـــانِ سَمَاعُ العُودِ وَالنَّغَمِ الحِسَانِ
وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَـــابٍ وَزَرْعٍ وَرَيْحَانٌ أَحَبُّ إِلَى الجَنَـــانِ

— 113 —

وقال أيضـا فيمن تـدعى « عَتُّـــو »★ :

[الطويل]

عُتُوُّكِ (1) قَدْ أَفْنَى اصْطِبَارِي يَا عَتُّـــو
فَهَا أَنَا بَعْدَ النُّسْكِ وَا لَهَفِي عُدْتُ

تَتِيهُ كَأَنْ لَمْ [تَبْرَحَنْ] (2) مِنْ مَكَانَةٍ
بِأَكْنَافِ قَوْمٍ خَيْرُ أَيَّامِهَا السَّبْـــتُ

وَتَشْدُو بِلَحْنٍ مَوْصِلِي كَأَنَّـــهُ
بِآذَانِنَا دُرٌّ نَظِيمٌ وَمَا مِنْـــتُ

عَلَى نَقْرِ طَارِ طَارَ قَلْبِي لِوَقْعِـــهِ
تَدَحْرَجَ فِي خَمْسٍ (3) لَهَا وَهِيَ السِّتّ

★ عتو : اسم لمطربة وراقصة إسرائيلية وهو اسم شائع عند الجالية الإسرائيلية بتونس .
1) نفد صبري من تكبرك الذي تجاوز الحد يا عتو .
2) في الأصل «تبرحي» وصوابه : «تبرحن» بنون التوكيد الخفيفة .
3) هي أصابعها الخمس التي يتدحرج بينها الطار ، وتأثير أثر ذلك تورية الشاعر بلفظ (الست) .

وَأمَّا إذَا قَامَتْ لِرَقْصٍ فَقُلْ لِمَــــــنْ
يُدِيرُ الحُمَيَّا هَاتِ قَدْ سَاعَفَ الوَقْتُ

أدِرْهَا وَعَاقِرْهَا (4) وَلاَ تَخْشَ عَاتِبــًا
لِصَرْفِ زَمَانٍ دَأبُهُ المَكْرُ وَالمَقْــتُ

رَأى أهْلَهُ يَشْكُونَهُ فَحَبَــاهُــم
بِ« عَتُّو» وَقَالَ : امضُوا فَحَسْبُكُمْ الصَّمْتُ

— 114 —

وقال أيضا :

[الرمــــل]

مَنْ مُجِيرِي مِنْ رُدَيْنِي (1) قَــــدُّه
[زُجُّهُ] (2) شَيْءٌ يُسَمَّى بِالــــزَّجَجْ

هَا دَمِي (3) مِنْ وَخْزَةٍ فِي خَــدِّهِ
ظَاهِرٌ مِنْ غَيْرِ تَبْيِينِ حُجَــج (4)

فَأعِيــذُوا (5)صَبَّهُ (6) مِنْ صَــدِّهِ (7)
قَبْلَ طَــيٍّ فِي لِوًى (8) أوْ مُنْعَرَجْ (9)

4) عاقر الخمر : أدمن شربها .

1) الرديني : هو الرمح المنسوب الى ردينة ، وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح .
2) وفي الاصل «زج» والصحيح ما أثبتناه ، وهو ما يقتضيه المعنى والوزن . والزج حديدة الرمح السفلى ، أما الزجج فهو دقة وطول في الحاجب وهو من صفات الجمال . شبه القد الرشيق بالرمح وجعل زجة ذلك الزجج في حواجب صاحبه .
3) أي هذا دمي ، فالهاء للتنبيه .
4) بالمخطوطة : مجج ، والصواب حجج : جمع حجة .
5) في المخطوط «فأعيذ» ولعل الصواب هو «فأعيذوا» لان الوزن والمعنى يقتضيان ذلك .
6) الصب : هو المحب المولع .
7) الصد أو الصدود : الاعراض عن الحب والميل عنه .
8) واللوى ما التوى من كثبان الرمل .
9) ومنعرج الرمل أو منعرج اللوى منعطفه ذات اليمين وذات الشمال . وقد أراد أن يدعو للمحب بالوقاية والحفظ وأن يعوذه من آفات صد الحبيب التي هي أخشى عليه من انطواء الرمال عليه وغيبوبته فيها .

— 115 —

وقال أيضا مداعبا لأحد المتنسّكيــن :

[الطــويــــل]

وَمَا العَيْشُ إلاَّ في اعْتِنَاقِ خَــــرِيدَةٍ
مُوَرَّدَةِ الخَدَّيْــنِ وَالفَــرْعُ فَاحِــمُ

وَمُصْفَرَّةٍ مِمَّا تُعَتِّــقُ رُومَــــــــةٌ
يَحِنُ لَهَــا فــي نُسْكِــهِ الحَــاجُ سالمُ

— 116 —

وقال أيضــاً :

[الطــويـــل]

خَرَجُــوا لِيَسْتَسْقُوا فَقُلْتُ لَهُمْ : قِفُوا
إنْ رُمْتُمُ مَطَــرًا بِغَيْرِ سَمَــاءٍ (1)

قَالُوا : أجَلَّ ففي دُمُــوعِك غُنْيَــةٌ (2)
لَكِنَّهَــا مَمْزُوجَةٌ بِــدِمَــاءِ

1) كل ما علاك فهو سماء ، ومعاني السماء كثيرة ومنها السحاب .
2) الغنية بضم الغين وبكسرها : الكفاء واليسار .

— 117 —

وقال أيضاً مخمساً بيتين * :

[الكامل]

لَمَّا تَغَيَّبَ عَنْ عُيُونِي ومَا دَرى
حَالَ الشَّجِيِّ بِبُعْدِهِ مُتَكَدِّرَا

نَادَيْتُهُ وَالدَّمْعُ مِنِّي تَفَجَّرَا
يَا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ بِهِ الْوَرَى

صِلْ هَائِماً قَدْ ظَلَّ فِيكَ مُحَيَّرَا

وَارْحِمْ عُبَيْدَكَ قَدْ أَضَرَّ بِهِ الْعَنَا
رُحْمَاكَ رُحْمَاكَ الْكَئِيبَ فَقَدْ فَنَى

فَاشْفَقْ عَلَيْهِ بِلَحْظِكَ وَالْمُنْحَنَى
وَامْنُنْ عَلَيْهِ بِقُبْلَةٍ تُبْرِي الضَّنَى

إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الْهَوَى أَنْ تُؤْجَرَا

★ تخميس هذين البيتين جاء غاية في الضعف معنى ومبنى ومن حق التخميس أو التشطير أن يكون في مستوى جودة الاصل ونحن هنا إزاء محاولة فاشلة .

— 118 —

وقال أيضاً وأحسن في التجنيس في مدح المغني «خميس» :

[الطويل]

نَدِيمَيَّ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمٌ مُبَارَكٌ
شَرِيفٌ عَلَى الأَيَّامِ وَهُوَ خَمِيس(1)

وَمَجْلِسُنَا قَدْ ضَمَّ مَنْ بِسَمَاعِهِ
تَلَذُّ(2) الْحَوَاسَ(3) الْخَمْسُ وَهُوَ خَمِيسُ

فَبَاكِرْ بِهِ كَأْساً كَأَنَّ حَبَابَهَا
لِجَيْشِ الْهُمُومِ الْوَارِدَاتِ خَمِيس (4)

— 119 —

وقال أيضا مشطرا أبياتاً من قصيدة ابن الجهم في رثاء خميس الزين :

[الطويل]

عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرصافةِ وَالْجِسْرِ
لِفَقْدِ خَمِيسِ الزينِ أَدْمُعُهَا تَجْرِي

وَأَسْعَدَهَا بِيضٌ نَوَاعٍ نَوَاعِمٌ
جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي

---

1) المراد بكلمة «خميس» في البيت الاول : يوم الخميس من الاسبوع ، و «خميس» في البيت الثاني هو خميس المطرب ، و «خميس» في البيت الثالث الجيش لانه خمس فرق . ويعكس لنا الشاعر في البيت الاول ما ذاع في المجتمع التونسي من التفاءل بيوم الخميس المسمى عندهم بالمبروك .
2) استعمل الشاعر «تلذ» بمعنى تلتذ ، كاستعماله «زان» بدلا من «ازدان» .
3) تخفف السين المشددة للضرورة .
4) الخميس هنا هو الجيش يقول : إن فقاقيع الخمر عبارة عن جند يكر على جند الهم .

أعَدْنَ لي الشَّوْقَ الْقَدِيمَ وَلَمْ أكُنْ
نَبَذْتُ الصِّبَا أوْ حُلْتُ عَنْ قَهْوَةٍ بِكْرِ
فَلاَ تَحْسَبَا أنِّي جَلِيدٌ وَأنَّنِي
سَلَوْتُ وَلَكِنْ زِدْنَ جَمْرًا عَلَى جَمْرِ

سَلِمْنَ وَأسْلَمْنَ الْقُلُوبَ كَأنَّمَا
تَخَطَّفَهَا صَقْرٌ وَطَارَ إلَى وَكْرِ
وَرُعْنَ [بِمَنْعَاهُ] (1) الْقُلُوبَ فَكُلُّمَا
يُشَكُّ بأطْرَافِ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

وَقُلْنَ لَنَا : نَحْنُ الأهِلَّةُ مَا لَنَا
هَوًى بَدْرُنَا بالرَّغْمِ مِنَّا إلى الْقَبْرِ
وَكُنَّا بِأُفْقِ الأنسِ وَاللَّهْوِ زِينَةً
نُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي إلَيْنَا وَلاَ نَقْرِي(2)

وَلاَ نَيْلَ إلاَّ مِنْ تَزَوُّدِ نَاظِرٍ
وَسَمْعٍ مِنَ الزَّيْنِ الْمُسَاجِلِ لِلْقُمْرِي
وَلاَ أمَلٌ يُلْهِي الْمَشُوقَ بِمَوْعِدٍ
وَلاَ وَصْلَ إلاَّ بِالْخَيَالِ الَّذِي يَسْرِي

أحِينَ أزَلْنَ الْقَلْبَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ
أعَلِّلُ نَفْسِي بِالسُّلُوِّ وَبِالصَّبْرِ
يَقُمْنَ لِنَعْيِ الزَّيْنِ حَسْرَى بِمَأْتَمٍ
وَأدْمَيْنَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ

---

1) في المخطوط «بمعناه» وصوابه «بمعناه» كما يفيده السياق .
2) يشير الشاعر الى «نار القرى» التي كان يوقدها العرب . يقول : إننا أضواء تهدي السارين في الليل وإن لم تكن من نيران القرى .

ألاَ قَبْلَ أنْ يَبْدُو الْمَشِيبُ بِلِمَّتِي
وَكُنْتُ كَقَيْسٍ وَامْرِىءِ الْقَيْسِ ذِي حِجْرِ(3)
وَلَكِنَّمَا أوْدَى الشَّبَابُ وَإنَّمَا
فَقَدْتُ خَمِيساً بَعْدَ خَمْسِينَ مِنْ عُمْرِي

وَحُرِّمْتُ صَيْدَ الْغِيدِ قَسْرًا لأنَّهَا (4)
تُصَادُ الْمَهَا بينَ الشَّبِيبَةِ وَالْوَفْرِ
أمَا وَبَيَاضٌ رَاعَهُنَّ لَرُبَّمَا
بَكَيْنَ كَمَا تَبْكِي الْخُنَاسُ(5) عَلَى صَخْرِ

وَحُلْنَ عَنِ الْعَهْدِ الْوَثِيقِ وَطَالَمَا
عَبَرْنَ بِنَا مَا بَيْنَ سَحْرٍ إلَى نَحْرِ
وَبِتْنَا عَلَى رَغْمِ الْحَسُودِ كَأنَّنَا
حَلَلْنَا مَكَانَ السِّرِّ مِنْ كَاتِمِ السِّرِّ

تَمَازَجَتِ الأرْوَاحُ مِنَّا فَخِلْتُهَا
خَلِيطَيْنِ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ وَالْخَمْرِ
وَإنْ حُلْنَ أوْ أنْكَرْنَ عَهْدًا عَهِدْنَهُ
وَدَهْرًا مَضَى وَهْوَ النَّفِيسُ مِنَ الْعُمْرِ

وَحَاوَلْنَ غَدْرًا بَعْدَ بُعْدِكَ فِي الثَّرَى
فَغَيْرُ بَعِيدٍ لِلْغَوَانِي وَلاَ نُكْرِ

---

3) (قيس : هو قيس بن الملوح أو مجنون ليلى ، وأراد بـ «امرىء القيس ذي حجر») امرأ القيس بن حجر .
4) كذا بالاصل ، وهو تركيب ضعيف منحط عن نفس القصيد الرفيع . وأغلب الظن أن النص كان «وإنما» فعبثت به أقلام النساخ ، وهو ينظر الى قول علقمة الفحل :
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له في ودهن نصيب
5) الخناس : هي الخنساء أخت صخر قتل أخواها فرثتهما وحرضت قومها على الاخذ بالثأر ، أسلمت مع قومها واشترك أولادها الاربعة في واقعة القادسية وفيها قتلوا .

كَفَى بِالْهَوَى شُغْلاً وَبِالشَّيْبِ رَادِعاً
وَبِالمَوْتِ تَهْدِيداً وَبِاللَّحْدِ فِي القَبْرِ

أَلَمْ يَكُ فِي مَعْنَاهُ يَا صَاحِ زَاجِراً
لَو أَنَّ الْهَوَى مِمَّا يُنَهْنَهُ (6) بِالزَّجْرِ

خَلِيلَيَّ مَا أَحْلَى الْهَوَى وَأَمَرَّهُ
وَمَا هُوَ إِلاَّ الشُّهْدُ قَدْ شِيبَ بِالصَّبْرِ (7)

[تَرَوْحَنَ] (8) حَتَّى بَثَّ لِي سِرَّ كُنْهِهِ
وَأَعْلَمَنِي بِالْحُلْوِ مِنْهُ وَبِالْمُرِّ

بِمَا بَيْنَنَا مِنْ رَحْمَةٍ هَلْ رَأَيْتُمَا
حَكِيماً دَرَى قَبْلِي بِمَا فِيهِ مِنْ سِرِّ

وَهَلْ شِمْتُمَا فِي حَالَتَيْهِ شَمَائِلاً
أَرَقَّ مِنَ الشَّكْوَى وَأَقْسَى مِنَ الْهَجْرِ

وَأَفْضَحَ مِنْ عَيْنِ المُحِبِّ لِسِرِّهِ
غَدَاةَ نَعَوْا مَنْ يَمْلأُ السَّمْعَ بِالدُّرِّ

تَبُوحُ بِمَا يُخْفِي الشَّجِيُّ مِنَ الْهَوَى
وَلاَ سِيَّمَا إِنْ أَطْلَقَتْ عَبْرَةً تَجْرِي

[تَنُمّ] (9) عَلَى أَيَّامِ أُنْسٍ بِهِ مَضَتْ
سَقَى عَهْدَهَا المُنْهَلُّ مِنْ وَابِلِ القَطْرِ

---

6) نهنهه عن الشيء فتنهنه : كفه عنه وزجره بالفعل أو القول فكف .

7) «الصبر» بكسر الباء : عصارة نباتية مرة ، ولا تسكن الباء منه إلا في الضرورة كما فعل الشاعر هنا .

8) في الاصل «يروحن» . و «تروحن» اتصف بالروحانية وخلص جوهره وتجرد من كثافة الجسد ولا أثر له في المعاجم التي لدينا . مما يفيد اشتقاق هذه الكلمة في عصور متأخرة .

9) في النسخة الاصلية «تسم» والصواب «تنم» من (نم) على الشيء إذا أظهره ودل عليه ففي الدموع إشارة الى عهود اللهو والانس المنطوية .

سَلاَمٌ عَلَى اللَّذَّاتِ بَعْدَكَ كَالصِّبَا (10)
وَبِاللهِ يَا رِيحَ الصَّبَا(11) عِنْدَمَا تَسْرِي (12)

تُبَلِّغُ خَمِيسَ الزَّيْنَ عَنِّي تَحِيَّةً
تَسِيرُ عَلَى الأَيَّامِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ .

— 120 —

وقال أيضا في رثاء من ذكر ★ :

[الطويل]

تَنَبَّهَ جَفْنُ الدَّهْرِ مِنْ سِنَةِ (1) الْغَمْضِ
فَعَطَّلَ مَيْدَانَ التَّصَابِي عَنِ الرَّكْضِ

وَأَقْذَى عُيُونَ الأُسْدِ مَعَ أَعْيُنِ المَهَا
وَوَارَى سُرُورَ الأَرْضِ فِي بَاطِنِ الأَرْضِ

وَخَالَسَنَا (2) وَاغْتَالَ عِلْقَ مَضِنَّةٍ
أَصَمَّ بِهِ النَّاعِي (3) أُولِي الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ

فَلاَ تَسْأَلاَنِي عَنْ فُؤَادِي وَحَالِهِ
وَلَكِنْ سَلاَ جَفْنَيَّ عَنْ لَذَّةِ الغَمْضِ

---

10) الصبا : الصغر .

11) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق ويقابلها الدبور .

12) هذا البيت والذي بعده لم يتقيد فيهما الشاعر بقيد فعلق قافية البيت الاول بالثاني وهو التضمين ولم يقم وزنا للنحو حيث ذكر الريح وهي مؤنثة فقال «تسري وتبلغ» فأشبه شعره لغة التخاطب . وهو مظهر لا شعوري للتحدي والتجديد في شعر المسعودي .

★ أغلب الظن أن الشاعر وإن رثى بها خميس المغني فقد عارض بها القصيد الشهير الذي طالعه :

هلم تنبه فجفن الدهر قد لاذ بالغمض
وأمكن فرسان التصابي من الكض

وفي طالع قصيد المسعودي إشعار بهذه المعارضة .

1) «سنة» : نعاس .

2) خلس الشيء : سلبه بمخاتلة .

3) نعى لنا فلانا : أخبرنا بموته .

خَلِيلَيَّ لِمْ حِلْتُمْ (4) عَنِ الْعَهْدِ وَالْوَفَا
وَفَرَّطْتُمُ فِي النَّفْلِ مِنْهُ وَفِي الْفَرْضِ
بَلَى إِنَّهَا الدُّنْيَا قَلِيلٌ مَتَاعُهَا
تُسِيءُ مَتَى سَرَّتْ وَتُغْضِبُ إِذْ تُرْضِي
كُؤُوسُ حُمَيَّاهَا سَرَابٌ بِقِيعَةٍ (5)
وَمَوْعِدُهَا وَقْفٌ عَلَى النَّكْثِ وَالنَّقْضِ
إِلَى اللهِ إِنَّا رَاجِعُونَ بِأَسْرِنَا
وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ
لَعاً (6) لِمَغَانِي اللَّهْوِ إِنْ خَمِيسُهَا
تَرَحَّلَ عَنْهَا فَاطْوِهَا بَعْدَهُ وَامْضِ
وَقُلْ لِلَيَالِي الأُنْسِ نُوحِيهِ وَالْبَسِي
ثِيَابَ حِدَادٍ سَابِغَاتٍ وَلاَ تَنْضِي
وَقُلْ لِمُنَاغِي عُودِهِ بِبَنَانِهِ
يَعَضُّ عَلَيْهَا حَسْرَةً أَيَّمَا عَضِّ
فَلَيْسَ لَهُ إِلاَّ مُرَاجَعَةُ الصَّدَا
وَتَعْزِيَةُ الأَوْتَارِ بَعْضاً إِلَى بَعْضِ
وَقُلْ لِخُدُودِ الطَّارِ لَطْماً عَلَى الَّذِي
رَمَى آلَةَ الأَلْحَانِ لِلْكَسْرِ وَالرَّضِّ
وَقُلْ لِلْمُغَنِّي نُحْ وَطَوِّحْ فَإِنَّمَا
وُجُودُكَ بَعْدَ الزَّيْنِ كَالْعَدَمِ الْمَحْضِ
وَقُلْ لِعُيُونِ الْغِيدِ غُضِّي عَلَى الْقَذَى
فَإِنَّ خَطِيبَ الطَّيْرِ قَالَ لَهَا: غُضِّي

4) كان الصحيح وقد ثنى الخليلين أن يقول «لم حلتما» ولكن للضرورة أحكامها عنده .
5) اقتباس من قوله تعالى : «كسراب بقيعة يحسبه الضمان ماء ...») سورة النور : اية 99 .
6) يقال للعاثر : «(لعا لك)» دعاء له بالخير .

وَجُودِي عَلَى وَرْدِ الْخُدُودِ بِلُؤْلُؤٍ
وَسَاجِلْ سَقِيطَ الطَّلِّ فِي النَّرْجِسِ الْغَضِّ
فَهَذَا خَمِيسُ الزَّيْنِ قَدْ غَالَهُ الرَّدَى
وَرَدَّ الْفِدَا بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَالْعِرْضِ

سَقَى لَحْدَهُ الْغَيْثُ المبَاكِرُ [إِذْ](7) هَمَى(8)
وَرَاحَ بِهِ الرَّيْحَانُ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَحَيَّاهُ بِالرِّضْوَانِ وَالأُنْسِ كُلَّمَا
شَجَا (9) ذِكْرُهُ الآرَامَ وَالأُسْدَ فِي الرَّبْضِ

إِلَهِي خَمِيسُ الزَّيْنِ قَدْ أَمَّ بَابَكُمْ (10)
وَمَنْ أَمَّهُ يُلْقِي الْمَزَاوِدَ لِلنَّفْضِ
شَفِيعاً بِمِيلاَدِ الْمُشَفَّعِ فِي الْوَرَى
إِذَا بَكَتِ الْعُبَّادُ مِنْ خَشْيَةِ الْعَرْضِ

وَجَاءَ بِهَذَا الْقَصْدِ جَذْلاَنَ رَائِقاً (11)
فَأَرِّخْهُ: يَقْصُدْ مَا يَرُوقُ وَمَا يُرْضِي (12)

7) في الاصل : «إن» والصحيح «إذ» وذلك قياسا على طالع الموشح الشهير :
جادك الغيث إذ الغيث همى
8) همى الماء أو الدمع : سال لا يثنيه شيء .
9) في المخطوط «(شجى)» بالالف المقصورة ، والصواب ما أثبتناه لان هذا الفعل من شجاه يشجوه : إذا أحزنه أو أطربه .
10) أم بابكم : قصد فضلكم .
11) جذلان : فرحان . و «رائقا» أي منعما مبتهجا ، تبعا لمصطلح اللهجة التونسية كما تقدم .
12) التاريخ الابجدي الحاصل من عبارته : «يقصد ما يروق وما يرضي» هو 888 وهو لا يتفق مع الواقع . فهل هنالك تحريف أو بالاحرى تبديل ؟

ومن توشيحاته يحن إلى ليالي المرسى :

[مخلع البسيط]

طـــالـــع

تَبَسَّمَ الزَّهْرُ في البِطَـاحِ ‏ وَافْتَرَّ عَنْ ثَغْـرِهِ الشَّنِيبْ(1)
وَهَـذِهِ نَسْمَـةُ الصَّبَـاحِ ‏ جَـاءَتْ بِتَسْلِيمَـةِ الحَبِيبْ

بـــيـــت

يَـا أَيُّهَـا المُغْرَمُ المُعَنَّـى ‏ مِثْلِـيَ بِالحُـورِ وَالعُقَـارْ
أَمِطْ سُتُورَ (2) الوَقَـارِ عَنَّـا ‏ فَمَا لَنَا نَحْـنُ وَالوَقَـارْ
أَمَّـا سَمِعْتَ الهَـزَارَ غَنَّى ‏ فَاسْتَلَبَ اللُّبَّ ثُـمَّ طَـارْ

طـــالـــع

فَمَا تَرَى فِي احْتِسَـاءِ رَاحِ ‏ فَاصِي المُنَى عِنْدَهَـا قَرِيبْ
مِنْ كَفِّ فَتَّانَـةٍ رَدَاحِ ‏ أَشْهَـى مِنَ الأَمْنِ لِلْمُرِيبِ(3)

بـــيـــت

صِيغَتْ مِنَ الحُسْنِ وَالصَّبَاحَـهْ ‏ وَأُلْبِسَتْ سُنْدُسَ الجَمَـالْ
تَخْتَالُ كَالغُصْنِ فِي الرَّجَاحَـهْ ‏ صَافَحَهُ صَيِّبٌ (4) فَمَـالْ
أَلْقَى اصْطِبَارِي لَهَا سِلاَحَـهْ ‏ وَالعَقْلُ قَدْ ظَلَّ فِي عِقَـالْ

---

1) رجل شنيب : أبيض الاسنان حسنها .
2) في المخطوط «سطور» والصواب ما أثبتناه .
3) المريب هو : المتخوف .
4) الصيب : السحاب ذو المطر ، أي صافح المطر الغصن فأماله .

طـــالـــع

بَيْضَاءُ تَزْهُو عَلَى المِـلاَحِ ‏ بِطَرْفِهَا الفَـاتِرِ العَجِيبْ
لَوْ أَنَّهَا تُسْعِفُ اقْتِرَاحِـي ‏ زَارَتْ وَلَوْ صَدَّهَا الرَّقِيبْ

بـــيـــت

يَـا شَاطِئَ المَرْسَةِ (5) السَّلاَمْ ‏ عَلَيْكَ يَا نُزْهَةَ العُيُـونْ
سَقَى مَيَادِينَكَ المُـدَامُ ‏ لاَ دِيمَةُ الوَاكِـفِ الهَتُـونْ
وَزَارَكَ الفِتْيَـةُ الكِـرَامُ ‏ لِلَّهْوِ وَالأُنْسِ وَالمُجُـونْ

طـــالـــع

كَمْ بِتُّ فِيهَا عَلَى اطِّـرَاحِ ‏ وَبُرْدُ أُنْسِي بِهَا قَشِيـبْ
أَخْتَالُ فِي بُرْدَةِ ارْتِيَـاحِ ‏ لَسْتُ بِصَاحٍ وَلاَ مُنِيـبْ

بـــيـــت

يَا هَلْ تَرَى هَلْ يُعَادُ أُنْسِي ‏ يَا دَهْرُ فِي قُبَّةِ الهَـوَا (6)
حِينَ اشْتَفَتْ (7) بِالمَزَارِ نَفْسِـي
مِنْ بَعْدِ مَا شَفَّهَا (7) الهَـوَى
وَأَكْؤُسُ الرَّاحِ فَوْقَ خَمْسِي(8) ‏ أَرَقَّ حَـالاً مِنَ الهَـوَا

طـــالـــع

وَالمَوْجُ فِي البَحْرِ بِالرِّيَـاحِ ‏ عَلَى بُرُوجِ السَّمَا يَثُـوبْ
وَفُضَّضَ الأُفْقُ وَالنَّـوَاحِـي ‏ بِصَفْحَةِ البَدْرِ إِذْ يَـذُوبْ

---

5) كذا في الاصل ، ويريد : شاطيء المرسى .
6) «قبة الهواء» : في شاطيء المرسى وهي مغنى شهير للهو والقصف .
7) اشتفى بكذا : نال به الشفا . شف الجسم : رق من النحول ، وشف النفس الهوى : أضناها وأنحلها .
8) في المخطوط «خمس» بدون ياء أي أصابعي الخمس .

بيت

بَاكِرْ إلىَ اللَّهْوِ يَا أنِيسِي   وَلاَ تُضِعْ سَاعَةَ السُّرُورْ
وَارْكَبْ إلىَ الأنْسِ مَعْ خَمِيسِ   وَلاَ تَخَفْ سَطْوَةَ الْغَفُورْ
فِي مُحْكَمِ المُنْزَلِ النَّفِيسِ   «وَهَلْ يُجَازَى إلاّ الْكَفُورْ»(9)

طالع

يَا تُونسَ الأنْسِ وَالْمِلاَحِ   وَجَنَّةَ المَاجِنِ الأدِيبْ
لاَ زِلْتِ رَبْعاً لِلانْشِرَاحِ   يَحْظَى بِإينَاسِكِ اللَّبِيبْ

— 122 —

وقال أيضا موشحا :

[مجزوء الرمل]

وَجْهُ هَذَا الدَّهْرِ بَاسِمْ   وَبَشِيرٌ بِالتَّهَانِي

بيت

فَأدِرْهَا يَا نَدِيمْ   خَمْرَةً تُبْرِي الْكَلِيمْ

طالع

بَيْنَ غِزْلاَنِ الصَّرِيمْ   وَالأغَانِي وَالْغَوَانِي
وَاجْلُ لِي رِيّاً (1) وَرِيم (2)   فَهُمَا نَيْلُ الأمَانِي

بيت

حَوْلَ رَوْضٍ وَغَدِيرْ   وَرَشَا (3) أحْوَى (4) غَرِيرْ

9) مقتبس من قوله تعالى : «وهل نجازي إلا الكفور» سورة سبا : اية 17 .

1) الرى : المنظر الحسن الجميل .
2) الريم : هو الظبي الخالص البياض .
3) الرشا مخفف : من رشأ ، وهو ولد الظبية .
4) أحوى : كانت به حوة وهي خضرة الى سواد أو حمرة الى سواد .

طالع

يُخْجِلُ الْبَدْرَ المُنِيرْ   يَا لَهُ مِنْ غُصْنِ بَانِ
صَاغَهُ المَوْلَى القَدِيرْ   وَبِهِ رَبِّي بَلاَنِي

بيت

إنْ تَبَدَّى أوْ رَنَا(5)   بَهَرَ الْعَيْنَ سَنَى

طالع

رِيقُهُ عَذْبُ الجَنَى   مَا عَلَيْهِ لَوْ سَقَانِي
رَشْفَةً تُبْرِي الضَّنَى (6)   وَتُدَاوِي خَفَقَانِي

بيت

يَا فَرِيدَ العَصْرِ يَا مَنْ   جُمِعَتْ فِيهِ الْمَحَاسِنْ

طالع

جَيْشُ صَبْرِي فِيكَ خَائِنْ   لِتَلاَفِي قَدْ رَمَانِي
كُلَّ مَا قُدِّرَ كَائِنْ   لِشُجَاعٍ أوْ جَبَانِ

بيت

يَا عَذُولِي لاَ تَلُمْ   هَكَذَا خَطَّ الْقَلَمْ

طالع

ذَاعَ مَا كَانَ انْكَتَمْ   فَامْضِ وَاتْرُكْنِي نُعَانِي
أنَا فِي العُذْلِ أصَمْ   خَلِّنِي أَلْهُو بِشَانِي

بيت

رُقَّ (7) لِلصَّبِّ الْكَئِيبْ   يَا أخَا الظَّبْيِ الرَّبِيبْ

5) رنا إليه وله : أدام النظر إليه بسكون الطرف .
6) ضني : مرض فتمكن منه الضعف والهزال والضنى هو المرض والهزال وسوء الحال .
7) «رق» : ارحم واعطف .

طـــالـــع

لاَ تَبِعْنِي يَا حَبِيـــبْ ظُلْماً فِي سُوقِ الهَــوَانِ
أنْتَ دَائِي وَالطَّبِيــبْ وَالرَّدَى نُصْبَ عِيَــانِــي

بـــيـــت

وَتَــلاَفَ مَــا مَضَــى بِالْحَنَــانِ وَالـــرِّضَــى

طـــالـــع

وَاطْفِ نِيرَانَ الغَضَــا بِالتَّلاَقِــي وَالتَّــدَانِي
وَاشْفِ قَلْباً مَرِضَــا قَبْلَ أن يُصْبِحَ فَــانِــي

بـــيـــت

زُرْ مُحِبّاً دَنِفَــا شَقَّــهُ طُــولُ الجَفَــا

طـــالـــع

أوْلِــهِ مِنْكَ الصَّفَــا وَوِصَــالاً مِنْكَ دَانِــي
وَأدِرْهَــا قَــرْقَفَــا مِــنْ رُضَــابٍ وَأوَانِــي

بـــيـــت

(.....................) (8)

طـــالـــع

وَاجْــلُ رَاحِي وَأرِحْنِــي بِعُقَــارٍ وَمَغَــانِي (9)
وَاسْقِنِــي وَاشْرَبْ وَغَــنِّ [ولدى شربي] (10) تَــرَانِي (11)

---

8) مكان هذا بالاصل بياض .
9) كذا في المخطوط .
10) في الاصل : «ولا شربي» وهو لا معنى له ، ولا يستقيم المعنى والوزن إلا بما ذكرنا ، فلقد كان أشار إلى نحوله وفنائه قبيل هذا البيت ، فلا غرو أن ترد الخمرة إليه الروح وتبرزه بعد الخفاء . وهو ينظر إلى قول أبي الطيب .

كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترنــي

11) هكذا في الديوان ولا يظهر معناه .

وقال أيضا موشحا :

[مخلع البسيط]

نَاشَدْتُكَ اللهَ يَا جِنَانِــي مَا حَالُ مَنْ فَارَقَ الجِنَانْ ؟
أمْ هَلْ إلى الْوَصْلِ وَالتَّدَانِــي مِنْ بَعْدِ ذَا الهَجْرِ لِي تَدَانْ ؟

بـــيـــت

مَنْ لِي بِأشْهَى الوَرَى لِنَفْسِي بِمُنْيَتِي عِلْقِيَ (1) النَّفِيسْ ؟
فَارَقْتُهُ بَعْدَ طُولِ أنْسِــي وَطَالَمَا بَاتَ لِي أنِيسْ
وَكَمْ شَفَى بِالوِصَالِ خَمْسِي ؟ وَالسَّعْدُ قَدْ حَلَّ فِي خَمِيسْ

طـــالـــع

أغْزُو بِهِ كُلَّ مَنْ عَنَانِــي وَفِي يَمِينِ الهَوَى العِنَــانْ
فَلَوْ رَأى حَالَنَا ابْنُ هَــانِي لَقَالَ قَدْ نِلْتُمُ التَّهَــانْ

بـــيـــت

يَا سَائِلاً يَمْـلا الجَوَابِـي هَلْ سَائِلٌ يَسْمَعُ الجَوَابْ (2)
مِنْ مُدْنَفٍ مُغْرَمٍ مُصَــابِ ذَاقَ مِنَ الْهَجْرِ طَعْمَ صَابْ
وَبَاتَ فِي رِبْقَةِ العَــذَابِ شَوْقاً لأخْلاَقِكَ العِــذَابْ

طـــالـــع

وَفِي ألِيمِ الْهَوَى يُعَانِــي وَالآنَ يَرْجُوهُ كَالأمَــانْ

---

1) العلق : النفيس من كل شيء .
2) «يا سائلا» خطاب للماء .

بـــــيـــــت

بَلِّغْ سَلاَمِي لِجَمْعِ شَمْلِـــي   بِاللهِ يَا نَسْمَةَ الشَّمَـــــــال
وَ[هَاتِ] (3) يَا نَفْحَةً وَقُلْ لِي   غُزْلاَنُ إِينَاسُ (4) أَيْنَ قَالَ؟ (5)
وَأَنْتَ يَا مُهْجَتِي وَكُلِّـــــي   لاَ (تَخْشَ) مِنْ صَبِّكَ الْكَلاَلْ

طـــــالــــــع

فَالْحُبُّ يَا بَدْرُ قَدْ سَقَانِـــي   كَأْساً مِنَ الْخَنْدَرِيسِ قَـــانْ
وَاجْتَمَعَ الرَّاحُ بِالْقِيَـــانِ   وَيَا خَلِيلَيَّ أَسْقِيَـــــــان

بـــــيـــــت

لَبِسْتُ ثَوْبَ السُّرُورِ ضَـــافِ   لَمَّا اعْتَنَى بِي أَبُو الضِّيَـــافْ
وَكُنْتُ مِنْ غَيْرِ مَا خِـــلاَفِ   لَوْلاَ تَلاَفِيهِ فِي تَـــلاَفْ
إِذْ لَفْظُهُ لِلْهُمُـــومِ شَـــافِ   وَفِي عُيُونِ الْوَرَى يُشَـــافْ

طـــــالــــــع

ذُو مَنْزِلٍ شَامِخٍ وَشَـــــانِ   بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْفِ كُلِّ شَانْ (6)
دَامَ مَدَى الدَّهْرِ فِي تَهَـــانِ   وَمَنْ يُنَاوِيهِ فِي هَـــــوَانِ

بـــــيـــــت

خُذْهَا عَلَى رَغْمِ مَنْ قَلاَهَا (7)   تَعْلُو عَلَى اللَّحْنِ فِي الْمَقَالْ
عَذْرَاءَ غَرَّاءَ فِي حُـــلاَهَـــا   وَسِحْرُ أَلْفَاظِهَا حَـــلاَلْ
لاَ يَشْتَكِي صَبُّهَا قِلاَهَـــا   مَهْمَا شَدَا مُغْرَمٌ وَقَـــالْ

---

3) في المخطوط «هاتي» بإثبات الياء والوزن يقتضي حذفها ، وكذلك من «تخشى» في البيت بعده .
4) و «غزلان إيناس» كذا بالاصل وأغلب الظن أنه اسم لبعض اليهود ممن كانت لهم بالشاعر صلة لهو وأنس .
5) قال : من القيلولة ، مضارعه يقيل .
6) الشانيء هو المبغض الحسود ، ويقرأ بالتخفيف «شان» للوزن .
7) فلى الرجل : أبغضه .

طـــــالــــــع

نَاشَدْتُكَ اللهَ يَـــا جَنَانِـــي   مَا حَالُ مَنْ فَارَقَ الجِنَـــانْ
أَمْ هَلْ إِلَى الْوَصْلِ وَالتَّدَانِـــي   مِنْ بَعْدِ ذَا الهَجرِ لِي تَدَانِ

— 124 —

وقـال أيضـا موشحـــا :

[مجزوء الرمل]

عَاطِنِي كَأْسَ الشَّمُولِ (1)   وَأَعِدْ ذِكْرَ الحلـول (2)

* * *

عَلِّـــلاَنِي وَاسْقِيَـــانِي   عَلَى أَلْحَانِ القِيَـــان
خَمْرَةً مِنْ دَارِ يَانِي (3)   عَرْفُهَا يَشْفِي العَلِيـــلْ

* * *

وَأَدِيرَاهَـــا مُـــدَامَـــا   ضَوْؤُهَا يَشْفِي النَّدَامَى
عُتِّقَتْ عَاماً فَعَـــامَـــا   صُنْعَ جِيلٍ بَعْدَ جِيـــلْ

* * *

عَلَّهَا تَشْفِي فُـــؤَادِي   مِنْ هَوَى مَنْ هِي مُرَادِي
التِي حَازَتْ مَقَـــادِي   رَبَّةِ الوَجْهِ الجَمِيـــلْ

* * *

مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ عَـــذْرَا   أَعْرَبَتْ عَنْ مُلْكِ كِسْرَى
يَسْلُبُ الأَلْبَابَ قَسْرًا (4)   طَرْفُهَا المَاضِي الصَّقِيـــلْ

---

1) الشمول : الخمر أو الباردة منها .
2) الحلول : كذا في النسخة الخطية ولعله «الخليل» .
3) اسم لبعض من اشتهر ببيع الخمور من الجاليات الاجنبية في ذلك العصر .
4) أي طرف عينها يسلب العقول قهرا .

أحْسَنُ النَّاسِ مُحَيَّا   أمْلَحُ العَالَمِ رِيَّا
حُبُّهَا جَارَ عَلَيَّا   دُلَّنِي كَيْفَ السَّبِيلْ

* * *

كَمْ ثَنَيْتُ القَلْبَ عَنْهَا   قَالَ لِي لاَ بُدَّ مِنْهَا
غِرَّةٌ غَرَّاءُ بَلْهَا (5)   لَيْسَ تَدْرِي مَا أقُولْ

* * *

هَلْ مُعِينٌ أوْ عَذِيرُ   أوْ مُجِيرٌ أوْ نَصِيرُ
فَأنَا الْيَوْمَ أسِيرْ   فِي رِضَا الْوَجْهِ الجَمِيلْ

* * *

رَبَّةَ التَّاجِ المُعَلَّى   هَلْ تَجُودُ بِالوَصْلِ أمْ لاَ
إنَّ صَبْرِي قَدْ تَوَلَّى   وَلَكِ الْعُمْرُ الطَّوِيلْ

* * *

كَمْ شُفِينَا وَاجْتَمَعْنَا   بِكُمُ حسّا وَمَعْنَى
عَنْ سِوَاكُمْ مَا نَزَعْنَا   وَعَلَيْكُمُ لاَ نَحُولْ

" " "

وَاصْطَبَحْنَا وَاغْتَبَقْنَا   وَارْتَشَفْنَا وَانْتَشَقْنَا
وَالْتَأمْنَا وَاعْتَنَقْنَا   وَاشْتَفَى مِنَّا الغَلِيلْ

5) بلها ممدود وقصره الشاعر . والمقصود أنها لا تحسن التحدث بلغة العرب فلم تفهم ما يقوله الشاعر لها .

— 125 —

وقال موشحا :

[الرمل]

قُمْ نُدِيرُ الرَّاحْ   مَا بَيْنَ الغُصُونْ   قُمْ نُدِيرُ الرَّاحْ
نَغْنَمُ الأفْرَاحْ   مِنْ قَبْلِ المَنُونْ   نَغْنَمُ الأفْرَاحْ
هَاتِهَا يَا صَاحْ   فَالْهَوَى فُنُونْ   هَاتِهَا يَا صَاحْ

إنَّ هَذَا اليَوْمْ   هُوَ يَوْمُ الطَّرَبْ   إنَّ هَذَا الْيَوْمْ
قُمْ نُدِيرُ الرَّوْمْ   يَابْنَ العَرَبْ   قُمْ نُدِيرُ الرَّوْمْ

وَاسْقِنِي وَاشْرَبْ   وَاشْدُ وَانْشَرِحْ   وَاسْقِنِي وَاشْرَبْ
وَاحْتَكِمْ وَاطْلُبْ   وَقُلْ لِي وَاقْتَرِحْ   وَاحْتَكِمْ وَاطْلُبْ
فِي الرِّضَى أرْغَبْ   يَا مُهْدِي الفَرَحْ   فِي الرِّضَى أرْغَبْ

ثَغْرُكَ المَنْظُومْ   مِنْهُ مَشْرَبِي   ثَغْرُكَ الْمَنْظُومْ
خَمْرُكَ المَخْتُومْ   قَدْ بَرَّحَ بِي   خَمْرُكَ المَخْتُومْ

يَا فَرِيدَ النَّاسْ   حُسْنًا وَدَلاَلْ   يَا فَرِيدَ النَّاسْ
قَدُّكَ المَيَّاسْ   يُزْرِي بِالعَوَالْ(1)   قَدُّكَ المَيَّاسْ
أنْتَ لِلْجُلاَّسْ   شَمْسٌ وَهِلاَلْ   أنْتَ لِلْجُلاَّسْ

1) العوالى : الرماح .

قَدْ بَدَا الْمَكْتُومْ   مِمَّا حَلَّ بِـــي   قَدْ بَـدَا الْمَكْتُومْ
مَنْ يُرَاعِي اللَّـوْمْ   فِي مِثْلِكْ غَبِـي   مَنْ يُرَاعِي اللَّـوْمْ

بَـاكِـرِ الْبُسْتَـانْ   فِي صُبْحِ الخَمِيس   بَاكِـرِ الْبُسْتَـان
اسْمَـعِ الأَلْحَـان   تُمْلَى مِنْ خَمِيسْ   وَاسْمَعِ الأَلْحَان
وَإِنَّـهُ سُلْطَـانْ   حُسْنٍ وَأَنِيـسْ   إِنَّـهُ سُلْطَـان

يُطْرِبُ المَغْـرُومْ   كَابْنَـةِ العِنَـبْ   يُطْـرِبُ المَغْرُوم
جَمْعُـهُ يَا قَـوْمْ   أَقْصَى مَا طُلِـبْ   جَمْعُهُ يَا قَـوْم

— 126 —

وقــال أيـضـــا :

[المضـــارع]

أَبْشِرْ بِشَهْرِ شَـوَّالْ   وَانْعَمْ بِيُسْرِ الأَحْـوَالِ
وعِشْ فِي خَيْرِ مِنْـوَالْ   فَالسَّعْدُ حَيًّا وَبَيَّـا

* * *

فَحَيَّهَلاَ عَلَى الأُنْـسِ   وَهَاتِ مَا تَهْوَى نَفْسِـي
وَنَادِ مُخْجِلَ الشَّمْـسِ   ذَاكَ الغَزَالَ النَّجْدِيَّـا

* * *

حَيَّ عَلَى كَأْسِ الصَّبُـوحِ   هَذَا شَذَا الرَّوْضِ يَفُـوحِ
وَالزَّهْرُ مُفْتَرٌّ يَلُـوحْ   بِسَاطُـهُ سُنْدُسِيَّـا

* * *

نُورُ الصَّبَاحِ وَضَحَـا   وَالنَّوْرُ قَدْ تَفَتَّحَـا
يَضْحَكُ عَمَّنْ قَدْ صَحَـا   وَصَارَ نَسْياً مَنْسِيَّـا

وَالقُضْبُ (1) تُومِي (2) بِالسَّـلاَمْ
وَالوَرْدُ بَادٍ فِي ابْتِسَـامْ
يَدْعُو لِكَاسَاتِ المُـدَامِ   الصَّبَّ المَشُوقَ الشَّجِيَّـا

* * *

فَاجْلُ (3) المُدَامَ فِي [القَدَحِ] (4)
وَحِدْ (5) عَنْ [صَاحِبِ النصْح] (6)
وَكُنْ عَلَيْهِ ذَا صَفْحِ (7)   وَعَنْ مَقَالِي رَضِيَّـا

* * *

فِي جَمْعِ أُنْسٍ سَالِـمِ   مِنْ غُرِّ أَهْلِ العَالَـمِ
فَهُمْ كَعِقْدِ النَّاظِـمِ   أَوْ كَنُجُومِ الثُّرَيَّـا

* * *

لاَ سِيَّمَا مِنْ كَفَّ مَـنْ   بِوَصْلِـهِ يَحْلُو الزَّمَـنْ
ذُو الخَلْقِ وَالخُلْقِ الحَسَن   وَالنَّغْمَـةِ الخَمِيسِيَّـا

* * *

أَحْلَى مِلاَحِ تُونِـسِ   بَدْرٌ غَدَا لِي مُونِـسِ
رَيْحَانُ أُنْسِ المَجْلِسِ   مِنْ عَدَمِ المُسَاوِيَـا

* * *

---

1) القضب : مخفف من القضب جمع قضيب وهو الغصن .
2) تومىء : تشير بالتحية .
3) من جلا يجلو العروس : أي عرضها في زينتها .
4) بالاصل «الصرح» والصواب القدح لان الخمر إنما تجلى في أقداحها .
5) حاد عن الطريق : مال عنه وعدل .
6) بالمخطوط «جانب السفح» والصواب «صاحب النصح» كما تفيده قرينة قوله فيما بعد «وكن عليه ذا صفح» . فهو يدعوه الى التسامح مع من يلومه في شرب الخمر .
7) صفح عنه : أعرض عن ذنبه .

المكتبة الوطنية

يُرْبِي عَلَى المُقَاتِـــلِ   بِسَهْمِ لَحْـظٍ قَاتِـلِ
بِحَقِّهِ يَا عَـاذِلِـــي   خَفِّفْ وَلاَحِظْ مَا بِيَـا

* * *

يَا فَاتِنـاً لِصَبِّـــهِ   بِهَجْـرِهِ أَوْ قُـرْبِـــهِ
غَـنِّ المُعَـنَّـى وَاسْبِهِ   تجلى لِي لالـي لاليـــا(8)

— 127 —

وقـال أيضـا: *

[الزجـــل]

هَـاتِي الذَّهَبِيَّـــا   لِتَرُوقَ النَّفْـــس
قَبْلَ المَنِيَّـــا   يـا حبيب الأنـــس
كيــف السويـــا   كيـف الانحبـاس (1)
أرنِـــي الحيَلاَ (2)   إلىَ القَـاصِـرَات

* * *

رَوْضُ الرَّبِيـــعْ   تَحُلُّـهُ الأزْهَـــار
حلْـوٌ بَـدِيـــعْ   [زَانَهُ] (3) الأنْـوار
صَارَ فِي تَنْوِيـــع   كَـأسٌ وَالعُقَـــار
نَغْتَبِقْ لَيْـــلاَ   خِيفَـةَ الوُشَــاة

* * *

8) كذا ورد العجز في المخطوط ، ولعل إصلاحه «تجلى له يا لا ليا» وبذلك نطابق الوزن (مجزو الرجز : مستفعلن مستفعلن) ومدو عين البحر الذي نظمت فيه الاغنية الدالجة التي أشار إليها المسعودي : يا لا ليا .

★ لعل هذا الزجل نسب الى المسعودي خطأ .
1) كذا ورد في المخطوط .
2) «الحيلا» فصيحه «الحيلة» ولكن اللهجة العامية غلبت على الزجل .
3) في المخطوط : «ناره» .

قَلْبِي مُضْنَـــى   مِنْ ظَبْيٍ الصَّرِيم
زَادَتْنِي المِحْنَـــى   اشْفِي يَا نَدِيـــم
ثُمَّ [أرحَنَـا](4)   جِسْمِـــي السَّقِيم
صَارَ عَلِيـــلاَ   كَيْفَ المَمَـــات

* * *

زَيْـنُ الخَــــدّ   زَانَـهُ العِـــذَارْ
صـار كَالــوَرْدْ   يَسْقِنِي العُقَـــارْ
مَـزَجَ الشَّهْــدْ   فَدَعْنِي يَـا خَمَّارْ
مِنْـهُ طَوِيـــلاَ   يَسْطَى (5) بِالثِّقَاتْ

* * *

نُطْـرِدَ الهَــمّ   بِاحْتِسَـــاءِ رَاحْ
تُذْهِبُ السَّقْــم   فَاصْطَبِحْ يَا صَاحْ
وَأقِيـلَ النَّــوْم   وَاغْنَمْ الأفْـرَاحْ
عِنْـدَ (6) تحـويـلا   قَاطِعَ اللَّــذَّات

* * *

نحـو (7) عبـــاب   زَرَدَ النَّسِيـــم
مِنْـه أثْـــوَاب   شَارِدَاتُ الرِّيــم
فِيـه أتْـــرَاب   حسـن النعيـــم
حَقَّـه ليـــلا   بعـد الميقـــات

* * *

4) في الاصل «أرحنى» وصوابه : «أرحنا» تبعا للقافية قبله . ويقف عند «أرحنا» ويستأنف الكلام في العجز هكذا : جسمي السقيم صار عليلا .
5) «يسطى» فصيحه «يسطو» ولكن العامية غالبة على الزجل .
6) لعل الصواب «عنه» ومع ذلك فالمعنى غير واضح .
7) لعل تصوبيه «نحذو» أي نحاذي .

المكتبة الوطنية

أيـن التمـــــاس   ليـأتـي شخـــوص
أضحــــو الجلاس   امكـــث وأجـــوص
ايــن الخنـــــاس   أيـن الخنـدريـــس
والسلسبيـــــــلا   اغنـم اللّــــذّات

* * *

حـــول بستــــــان   زانـــــــه (.......)(8)
مـــع غـــــزلان   (............) النبيـــل
عنـدي ســـان (9)   غصنـــه الأميل (10)
غنـي يا ليـــــلا   أيـن النجــــــاة

***

أين الأنيــسْ (11)   أيْنَ مَنْ يَقُــولْ
ذَاكَ خَمِيــسْ   فهو عندَ القَــوْلْ
مِثْلَ قِسِّيــسْ   أحْمَـدَ يصــول
كيـف لي حيــلا   أحســن الثقــات

***

ثَمْرَةَ القلْـــبْ   قَـارِعِ السَّمَــاعْ
أحمد العـــرَبْ   ذاك من كـــلاع (12)
لَصَفِيُّ اللّـبْ   فيكَـادْ يَتَـرَاعْ
قد فيه قيــــلا   عمي سالم مات (13)

8) في الاصل بياض ولعلها «نخيل» ، فيكون العجز : زانه نخيل .
9) «سان» لعله «سوسان» كما يقتضيه الوزن .
10) ربما حُرف عن «بميل» وعلى هذا يكون البيت :
عندي سوسان   غصنه بميل
11) في المخطوط «أنيس» .
12) في النسخة الاصلية «لكاع» ولعله «من كلاع» وكلاع قبيلة من الوسط .
13) «عمي سالم مات» مطلع أغنية في زمن المسعودي .

— 128 —

كان عنده شيخ كبير عجز عن أداء الجباية فخاطب في شأنه الوزارة وأرسله مصحوبا بهذا الرجز :

[الرجـــز]

قَدْ أقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى الحِمَارِ   مِثْلَ أبِي يَسَارَةَ الفَــزَارِي
مِنْ مَرِّ أعْصَارٍ عَلَى أعْصَـارِ   [وَلَيْلَةٍ] (1) كَرَّتْ عَلَى نَهَارِ
ألِفْتُهُ كَالضَّبِّ (2) [في] (3) الوجـار (4)
خَـالٍ مِنَ الدِّرْهَمِ وَالدِّينَـــارِ
إلاّ الذي تَرَاهُ مِنْ أطْمَـــارِ   أوْ شَيْخَةٍ (5) شَهْرَبَةٍ فِي الدَّارِ
يَلُوذُ مِنْهَا الغُولُ بِالفِــرَارِ   يَعُولُهَا مِنْ خِدْمَةِ الأشْجَارِ
وَيَسْأَلُونَ اللهَ فِي الأسْحَـارِ   لِمَنْ أعَانَ الشَّيْخَ ذَا الأعْذَارِ
سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَعُقْبَى الـدَّارِ .

— 129 —

وقال موشحا في مدح المشير محمد باشا بـاي :

[المضـارع]

مَنْ حَبَّسَ الأسْحَـارْ   عَلَى لِحَاظِ الغِيدْ

1) في المخطوط : «ليلته» .
2) الضب : حيوان صغير من الزحافات ذنبه كثير العقد ، ومن أمثالهم «أعقد من ذنب الضب» .
3) في الاصل «على» وما أثبتناه هو ما يقتضيه المعنى والوزن .
4) «الوجار» بفتح الواو وكسرها : جحر الضبع وغيره .
5) الشيخة الشهرية : زوجة هذا الشيخ .

وَأَلْبَسَ الأَقْمَارْ   تَمَايِماً فِي الجِيدْ

* * *

مَنْ أَنْبَتَ الوَرْدَا   فِي غُصُونِ البَانِ
وَرَوَّعَ الخَلْدَا   بِلَحْظِكَ الرَّانِي
أَضْحَى لَهُ غِمْدَا   قَلْبُ الشَّجِيِّ العَانِي
مُوَلَّهٌ قَدْ حَارْ   فِي مَهْمَهِ التَّفْنِيدْ
أَجْفَانُهُ أَنْهَارْ   وَخَدُّهُ أُخْدُودْ

* * *

لِلَّهِ مَا أَحْلَى   لَيَالِيَ الوَصْلِ
بُدُورُهَا تُجْلَى   فِي حِنْدِسِ العَذْلِ
وَكَأْسُهَا يُمْلاَ (1)   بِالغَنْجِ وَالدَّلِّ
وَنَحْنُ فِي مِضْمَارْ   مَعَ ابْنَةِ العُنْقُودْ
فِي فِتْيَةٍ أَخْيَارْ   وَطَالِعٍ مَسْعُودْ

* * *

يَا فِتْنَةً لِلنَّاسْ   فِي صُورَةِ الإِنْسِ
تَجَمَّعَ الجُلاَّسْ   لِلَّهْوِ وَالأُنْسِ
اشْرَبْ وَهَاتِ الكَأْس   وَابْسُطْ بِهَا نَفْسِي
وَالطِمْ خُدُودَ الطَّارْ   وَافْرُكْ أُذَانَ (2) العُودْ
وَقَبِّلِ المِزْمَارْ   بِثَغْرِكَ المَنْضُودْ

* * *

وَامْدَحِ المَوْلَى   مُحَمَّدَ المَنْصُورْ

1) في المخطوط «يحلى» والصواب ما أثبتناه كما تقتضيه القرينة .
2) تقرأ بقصر الهمزة لضرورة الوزن .

النَّيِّرَ الأَجْلَى   فِي ظُلْمَةِ الدَّيْجُورْ
مَنْ آيُهُ تُجْلَى   لِيَوْمِ نَفْخِ الصُّورْ
كَالقَطْرِ فِي الأَقْطَارْ   وَفِي العُلاَ كَالطَّوْدْ
وَالأَسَدِ الهَصَّارْ   عِنْدَ الخُطُوبِ السُّودْ

* * *

يَهْنِيكُمُ شَوَّالْ   وَافَاكَ بِالأَفْرَاحْ
فَالْبِسْ بِهِ مُخْتَالْ   مِنْ جَيِّدِ الأَمْدَاحْ
وَاعْرِضْ (3) عن العُذَّال   فِي الغِيدِ أَوْ فِي الرَّاحْ
وَاشْرَبْ عَلَى الأَوْتَارْ   مَعْ مُطْرِبَاتِ الغِيدْ
النُّهَّدِ الأَبْكَارْ   صَبَاحَ ثَانِي العِيدْ

— 130 —

ومما كتبه على عنوان كتاب نقيب الأشراف السيد العربي البشيري عندما نظم الشيخ قبادو عقد اللآلي المتقدم ذكره :

[السريع]

إِلَى الهُمَامِ القُدْوَةِ المُرْتَضَى   غَوْثِ المَهِيضِ وَمَلاَذِ العَشِيرِ
رُكْنِي وَكَهْفِي المُعْتَلَى سَيِّدِي   مُحَمَّدَ العَرَبِي .... البَشِيرِي(1)
لاَ زَالَ وَالأَنْجَالُ فِي نِعْمَةٍ   يَرْفُلُ فِي ثَوْبِ الهَنَا وَالسُّرُورِ

3) خفف الشاعر الهمزة القطعية من «أعرض» على عادته للضرورة .

1) هناك انخرام واضح في عجز هذا البيت .

— 131 —

وكتب رسالة نثرية معتذرًا لمدير المدرسة الصادقية الحاج العربي زروق عن عدم حضوره حفلة ختام السنة الدراسية سنة 1293 هـ. وكتب على عنوان الرسالة مايلى :

[الطـــويل]

أميـــر اللـــواء وافتَـــك من شاكرٍ لكُـــمْ
سطورٌ تُنَادي شَبَّ عمـــرٌو عن الطَّـــوقِ

تهنّـــي بهـــذا الامتحـــان وفَضْلِــــــــهِ
محمدًا العربـــي الشريـــفَ ابـــــن زَرّوقِ

بقيتَ كما يرجو المحبّ وأنت فـــــــي
زيـــادةِ عـــزّ سابقـــا غيـــرَ مسبـــــوق

— 132 —

(.................) (*)

[الرمـــــل]

تَوّجي يَا سُحْبُ نِيسَانَ الرّبَـى إنّهَا ذَاتُ قَرَارٍ وَمَعِيــــــنْ
وَمَحَــطّ لِرِحَالِ الأدَبَــــــا يَدْخُلُــوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينْ
وَيُجِيلُونَ أحَادِيثَ الصّبَـــــا فَيُمِيلُونَ جِيَادَ (1) الحَاضِرِينْ

* * *

★ موشح وكان طالعه بياض .

1) في المخطوط «فيملون» و «جياد» جمع جيد وهو العنق وهو غير فصيح وإنما يجمع على أجياد وجيود .

بسُرُورٍ مَرّ فِي هَذَا الحِمَـــى يَا لَهُ كُنَّـــا بِهِ فِي عُـــرُسِ
قُبّـــةُ (2) اللّهْوِ وَمَا أدْرَاكَ مَا هِيَ مِنْ بَيْتِ هَوًى لِلأنْفُسِ

* * *

ضَمّهَا البَحْرُ لَهَا مُعْتَنِقَـــا وَكَسَتْهَا حُلّةً أيْدِي الدّوَالْ
وَسَعَى البَدْرُ لَهَا مُنْطَلِقَـــاً فَوْقَ جِسْرٍ مِنْ لُجَيْنٍ وَلآلْ
وَتَرَى الشّاطِىءَ وَكُثْبَانَ النّقَـا جَمَعَتْ كُلّ مَهَاةٍ وَغَـــزَالْ

* * *

رُتّعاً نَشْوَى (3) وَمَهْمَا سُئِمَـا وَتَرُ العُودِ الشّجِيّ التّونِســـي
حَرّكُوا الطّارَ وَغَنّوْا نَغَمَــــاً صَاغَهَا زِرْيَابُ فِي الأنْدَلُسِ

* * *

هَلْ يُعِيدُ الدّهْرُ يَا صَاحِ زَمَانْ مَرّ فِي هَذَا المَقَامِ العبْدلي (4)
لمْ تَنَلْهُ الفُرْسُ فِي شِعْبِ بَوّان لاَ وَلاَ عُرْبُ اللّوَى أوْ حَوْمَلِ
تَتَلَقّى بِالتّهَانِي المِهْرَجَـــان وَإذَا النّورُوز (5) وَافَى فَانْقُلِ

* * *

قَدِمَ النّورُوزُ يَا لَلنّدَمَـــــا رَافِلاً فِي حُلَلٍ مِنْ سُنْدُسِ
لِيُوَشّي شَاطِىءَ المَرْسَى بِمَـــا يَبْعَثُ السّاقِي لِحَثّ الأكْؤُسِ

* * *

وَهْـــوَ ظَبْـــيٌ فَـــارِســـــيّ وَرَدَا
مِنْ لَدَى كِسْـــرَى شَهِنْشَـــاهِ جِهَـــانْ

2) قبة اللهو هي قبة الهواء بشاطيء المرسى .
3) نشوى استعمله جمعا لنشوان ، وهو لا يصح .
4) العبدلية : مدينة المرسى .
5) النوروز : أول يوم من السنة الشمسية والكلمة فارسية

فَأقِيمُوا رَسْمَهُ اللَّذْ عُهِـدَا   مِثْلَمَا قُمْتُمْ بِرَسْمِ المِهْرَجَانْ
وَأفِيضُوا وَهَلُمّوا للنِّـــدَا   وَانْحَرُوا هَدْياً لَهُ بِنْتَ الدِّنَانْ

* * *

حَوْلَ رَوْضٍ فِي رُبَاهَا [لَثَمَـــا] (6)
فِيهِ خَدُّ الْوَرْدِ ثَغْرُ النَّرْجِـــسِ
فَحَبَاهُ القَطْرُ لَمَّا احْتَشَمَـا   دُرَرًا مِنْ عَارِضٍ مُنْبَجِسِ

* * *

أصْبَحَ الزَّهْرُ لَهَا مُلْتَقِطَـا   بِكُؤُوسٍ مِنْ يَوَاقِيتِ الشَّقِيقْ
وَسَقَى شُحْرُورَهَا فَانْبَسَطَا   وَشَدَا لَحْناً عَلَى الغُصْنِ الوَرِيقْ
فَتَهَادَى طَرَباً وَاسْتَنْبَطَـا   صُنْعَ وَزْنِ الرَّقْصِ بِالْقَدِّ الرَّشِيقْ

* * *

فَصَبَا البَحْرُ وَمَاجَ وَرَمَـى   بِلآلِيهِ لِمَنْ فِي المَجْلِـسِ
وَالصَّبَا جَعَّـدَهُ وَرَسَمَـا   فِيهِ أشْكَـالَ الجَوَارِي الكُنَّسِ

— 133 —

وقـال رحمه الله وقد أحسـن:

[الوافـر]

إذَا ضَاقَتْ وَسِيعَاتُ المَسَالِكْ   وَأضْنَتْكَ المَصَائِبُ وَالمَهَالِكْ
تَذَكَّرْ أنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا   لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكْ

6) في المخطوط «ليتما» وصوابه ما ذكر .

— 134 —

[الكـامـل]

يَا أهْلَ بَدْرٍ بِالرَّسُولِ تَوَجَّهُوا   [لِلّهِ](1) فِي حَالِي وَحَلِّ عِقَالِي
ضَاقَ الخِنَاقُ وَجِئْتُ أرْجُو جَاهَكُـمْ
(. . . . .) (2) مِنْ الأكْفَـال
وَالْجَاهُ يُسْألُ عَنْهُ لَبّوا دَعْوَتِي   بِاللهِ فَوْرًا وَارْحَمُوا بِلْبَالِي
وَصَلاةُ رَبِّي وَالسَّلامُ عَلَى النَّبِي   خَيْرِ الوَرَى مَعْ صَحْبِهِ وَالآلِ

— 135 —

[الطـويـل]

تَشَفَّعْتُ بِالمُخْتَارِ فِي دَفْعِ كُرْبَتِـي
وَهَلْ شَافِعٌ عِنْدَ الشَّدَائِـدِ إلاّهُ
كَمَا جَاءَ فِي الأنْبَاءِ عَنْهُ مُصَحَّحـاً
وَفِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ قَدْ أنْزَلَ اللَّـهُ
عَلَيْهِ صَلاتِي مَعْ سَلامِي سَرْمَـدًا
إذَا ذُكِرَ فِي مَعْشَرٍ ..(1) الـــه
وَأصْحَابِهِ وَالآلِ مَعْ تَابِعِيهِـم
وَكُلَّ امْرِئٍ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ وَلاّهُ

1) في المخطوط «الى الله» وهو يجعل العجز من الطويل بينما الصدر والمقطوع كله من بحر الكامل .
2) بياض في الاصل .

1) مكان بياض في الاصل .

— 136 —

(.............)

[الوافـــر]

لَكَ الْحَمْدُ المُكَرَّرُ وَالمُوَالِي   عَلَى أَنْ كُنْتَ لِي بَرًّا حَفِيًّا
مَنَنْتَ بِذَا بِلاَ طَلَبٍ وَحَسْبِي   وَشُكْرُكَ وَاجِبٌ فَرْضٌ عَلَيًّا
وَلَكِنْ حَاجَةٌ فِي النَّفْسِ أَرْجُو   تُيَسِّرُهَا بِلاَ تَعَبٍ إِلَيَّا
مَعَ الإِسْعَادِ فِي الأُخْرَى وَهَذَا   وَذَا طَلَبٌ مَدَدْتُ بِهِ يَدَيَّا
وَفِي الأَمْثَالِ مَنْ أَعْطَى يُتَمِّمْ   فَأَتْمِمْ يَا كَرِيمُ وَكُنْ وَلِيًّا

— 137 —

(*) (.............)

[مخلع البسيط]

الحَمْدُ لِلّهِ وَهْوَ حَسْبِي   وَفَازَ مَنْ حَسْبُهُ الحَسِيبُ(1)
وَصَلِّ يَا خَالِقِي وَرَبِّي   عَلَى رَسُولِ الهُدَى الحَبِيبِ
وَكُلِّ آلٍ وَكُلِّ صَحْبٍ   وَتَابِعِيهِمْ مَعَ القَرِيبِ
وَبَعْدُ يَا مُبْدِئَ البَرَايَا   يَا عَالِمَ السِّرِّ يَا رَقِيبُ
يَسِّرْ بِلاَ مُهْلَةٍ مُرَادِي   وَدَاوِ قَلْبِي مِنَ الوَجِيبِ
وَأَجْزِلِ الفَضْلَ وَالْعَطَايَا   مِنْ كُلِّ مَا يَطْلُبُ الأَرِيبُ
ثُمَّ اخْتِمِ اللهُ لِي بِخَيْرٍ   يَا سَامِعَ القَوْلِ يَا مُجِيبُ

★ هذا طالع قصيد للعارف بالله الشيخ إبراهيم الرياحي .

1) ظاهرة الإقواء متجلية في قوافي هذا المقطوع اللهم إلا أن تقرأ بالسكون .

— 138 —

استغاثــة وتوسل

[الطــويــل]

إِلَيْكَ رَسُولَ اللهِ وَجَّهْتُ مَقْصِدِي
وَأَنْتَ وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ بِمَشْهَدِي
أَيُمْثِلُكَ التَّذْكَارُ فِي العَيْنِ وَالحَشَا
وَإِنْ رُمْتَ مَدْحاً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدِي
أَلَمْ يَنْزِلِ الذِّكْرُ الحَكِيمُ بِمَدْحِكُمْ
فَمَاذَا هِيَ يملي لِسانِي أويدي
أَلَمْ تَلْهَفِ الأَكْوَانُ بالشكْرِ وَالثَّنَا
أَمَا فِي «أَلَمْ نَشْرَحْ» بَلاَغٌ لِمهْتَدِي (1)
وَبُشْرَاكَ يَا خَيْرَ الأَنَامِ بِكَوْثَرٍ (2)
وَحَوْضٍ بِرَوْضَاتِ الْجِنَانِ وَمَوْرِدِي
أَلَمْ يَأْتِ فِي أَنَّكَ مُرْسَلٌ (3)   مِنَ الحَقِّ بِالحَقِّ الجَلِيِّ مُعَهَّدِ
وَآيَاتِ حَقٍّ مُحْكَمَات كَثِيرَةٍ
أَحَلَّتْكَ فِي طَوْدٍ مِنَ العِزِّ أَقْوَدِ
أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى
وَمَا حَمَلَتْ وَجْنَاءُ فِي ظَهْرِ فَدْفَدِ

---

1) يشير الى قوله تعالى : «وإنك لعلى خلق عظيم» .

2) كوثر : نهر في الجنة موعود به النبيء صلى الله عليه وسلم في سورة «إنّا أعطيناك الكوثر» .

3) إشارة الى ما تضمنته سورة يس من إثبات بعثة النبيء محمد صلى الله عليه وسلم .

وَأَوْفَى جَمِيعَ الخَلْقِ عَهْدًا وَذِمَّةً
وَأَكْرَمَ مَنْ يُدْعَى لِتَدْرِيجِ مَتْكَمِدِ

بِحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
وَخَصَّكَ بِالذِّكْرِ الحَكِيمِ المُتَجَدِّدِ

تَوَسَّلْ لَهُ حَتَّى يُفَرِّجَ كُرْبَتِي
وَيُسْرِعَ إِسْعَافِي وَيَأْخُذُ بِالْيَدِ

فَلِي ذِمَّةٌ إِذْ كُنْتُ أُدْعَى مُحَمَّدًا
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ فِي حَالَتِي بِمُحَمَّدِ

وَحَسْبِي صَلاَةٌ يَمْلأُ الأُفْقَ نُورُهَا
وَتَسْلِيمِ ذِي وِدٍّ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي

عَلَيْكَ عَلَى قَدْرِ المَقَامِ الَّذِي لَهُ
تَضَاءَلَتِ الأَكْوَانُ مِنْ عَرْفِهَا النَّدِي

وَآلِكَ الأَصْحَابِ مَعَ تَابِعِيهِمْ
وَمَنْ بِحِمَا عَلْيَاكِ مُسْتَمْسِكُ اليَدِ

— 139 —

لغز (*)

[الكامل]

ما اسْمٌ إِذَا صَحَّفْتَهُ يَا سَيِّدِي
عَادَ العُقُولَ وَصَادَقَ الأَرْوَاحَا

أَمَّا إِذَا صَحَّفْتَهُ وَعَكَسْتَهُ
وَحَذَفْتَ حَرْفًا مِنْهُ صَارَ سِلاَحَا

★ قال ملغزا فى اسم الشيخ «فتح الله» الاسكندراني لما قدم الى تونس وألحقته الدولة بالعمل في المطبعة الرسمية التونسية .

وَنَظِيرُهُ فِي صَحْنِ خَدِّ مُعَذَّبِي
مَهْمَا تَمَاجَنَ أَوْ أَدَارَ الرَّاحَا

حَازَ السِّيَادَةَ فِي الحَدِيثِ وَبَذَّهُ (1)
فِي الغَابِ قَرْمٌ لاَ يُرَامُ كِفَاحَا

وَحَسِبْتَهُ فِي «صَ وَالقُرْآنِ» قَدْ
أَلِفُوهُ إِنْ عَدُّوا لاَسُوسَ صِحَاحَا

ضَمَّنْتَ مَا جَا فِي النَّتِيجَةِ قَوْلَهَا
مَا فِي الضُّحَى أُنْساً لَهَا وَسَمَاحَا

وَاللهُ يَحْرِصُ عِزَّكُمْ وَجَلاَلَكُمْ
مَرَّ اللَّيَالِي غُدْوَةً وَصَبَاحَا

— 140 —

تقييد (*)

[الطويل]

وَمَا لِكِ ذَا المَجْمُوعِ وَاضِعِ خَطِّهِ
مُحَمَّدٍ المَدْعُوِّ فِي النَّاسِ بِالبَاجِي

أَتَاحَ لَهُ اللهُ السَّعَادَةَ دَائِماً
فَمَا زَالَ يَا ذَا الفَضْلِ بِالطَّامِعِ الرَّاجِي

1) البذ : المثل ، ويقال رجل فذ بذ : أي فرد قرم : السيد العظيم ، ج. : قروم .

★ بيتان كتبهما الشاعر على بعض كتبه الخاصة .

دع التقدم للأصاغر (*)

يا سَيِّدًا وَرِثَ السِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
أَرْخَى الظِّلَّ في سُدُولِهِ فَدَعِ التَّقَدُّمَ لِلأَصَاغِرِ

— 142 —

حرقة (*)

[الوافر]

أَرَى جَيْشَ الرَّدَى يَرْمِي نِصَالاً
وَيَصْلِي غَالِبَ الأَكْبَادِ جَمْرًا
فَلَمَّا اسْتَعْظَمُوهُ اغْتَالَ فَرْدًا
يَقُومُ بِرُزْءِ كُلِّهِمُ وَمَرًّا
أَمَا فِي فَقْدِ «إِبْرَاهِيمَ» خَطْبٌ
يَعُمُّ جَمِيعَ أَهْلِ الأَرْضِ طُرًّا
سَقَى الرَّحْمَانُ تُرْبَتَهُ سَحَابًا
مِنَ الرُّحْمَى وَرَضْوَانٍ أَبَرًّا

★ خاطب بهذين البيتين صديقه الشيخ محمد بن علي بن علي الرضا بن الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي أحد كتبه الدولة ويظهر أن الشاعر أراد تسلية صديقه عندما قعد به الحظ على التدرج في سلم الوظيف في الوقت الذي حظي فيه غيره من زملائه على طريق المحسوبية . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

★ دمعة على فقد أستاذه العارف بالله الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي رضي الله عنه .

ربة التاج

[الخفيف]

رَبَّةَ التَّاجِ وَالْجَبِينِ الْمُحَلَّى
أَيَّ شَرْعٍ قِتَالَ مِثْلِي أَحَلاَّ
بِصُدُودٍ عَنِ الْحَبِيبِ وَهَجْرٍ
عَبَسَ الصَّبْرُ عِنْدَهُ وَتَوَلَّى
وَجَمَالٍ مُوَشَّحٍ بِجَلاَلٍ
وَكَمَالٍ قَدْ صَانَهُ اللهُ جَلَّ
هِمْتُ لَمَّا أَطَلَّ مِنْكِ قَضِيبٌ
فِي كَثِيبٍ يَخْتَالُ تِيهًا وَدَلاَّ
وَجُفُونٍ لَوْ قَارَعَتْ بِحُسَامٍ
أَلْفَ سَيْفٍ لِقَدِّهِنَّ لأَبْلَى
وَقِسِيٍّ مِنَ الْحَوَاجِبِ رَاشَتْ
لِقِتَالِي مِنْ ذَلِكَ الْجَفْنِ نَبْلاَ
وَبِوَرْدٍ يَفْتَرُّ عَنْ لُؤْلُؤٍ رَطْبٍ
حَوَى سُكَّرًا حَلاَ لِي وَحَلَّ
وَضَمَائِي لَهُ وَيَا طُولَ وَجْدِي
لِمُعِينٍ أَوْلاَهُ فَرْعُكِ ظِلاَّ
.... طَوْدُ صَبْرِي لَمَّا
صَارَ دَكًّا مِنْ حُسْنِهَا إِذْ أَطَلَّ

هَلْ مُعِينٌ مُبَلِّغٌ لِسَــــــــــلاَمِ

مِنْ عَــذِيــرٍ أَوْ فِي غَــرَامِــكِ ذَلَّ

رَامَ يَوْمَ النَّوَى الوَدَاعَ فَهَــــالَــــتْ

سُحُبُ الدَّمْعِ دُونَ بَــــدْرٍ تَجَــلَّى

مَوْقِفٌ لِلْفِرَاقِ مَا نِلْتُ مِنْـــــــــهُ

غَيْـــرَ طَيْفٍ قَدْ زَارَ وَهْنًا وَوَلَّـــــى

يَا عَذُولِي ! وَلَسْتُ أُصْغِي لِعَــــذْلٍ

خَلِّنِـــــي . . . . ، وَإِلاَّ

قَدْ يَئِسْتُ الْمَتَابَ حِينَ تَبَــــدَّتْ

آيَــةُ الشَّمْسِ فِي الْمَغَارِبِ تَجَلَّــى

وَرَمَانِي النَّوَى إِلَى يَوْمِ طِــــــــبِّ

فِيهِ ثَأْرِي عَنِ الْحَبَائِبِ طَــــــلَّ

وَيَزِيدُ الْغَرَامُ فِيهِ ، دَهَـــــــانِي

مِنْهُ كَرْبٌ لاَ يَسْبِقُ السَّيْفُ عَــــذْلاَ

فَأَنَا فِي الهَوَى شَهِيدٌ ، وَحَسْبِـــــي

رَبَّةُ التَّاجِ وَالْحُسَــامِ الْمُحَلَّــــى

الفهــارس

فهرس القصائد حسب ورودها في الديوان

فهرس القصائد حسب الاغراض (*)

1 ـ الوصف والمساجلات والخواطر والمعارضات

(*) في هذا الجدول والجداول التي تليه الرقمان في كل واد : الاول على اليمين يشير الى رقم القصيدة والثاني على اليسار الى رقم الصفحة .

2 - التهاني

3 - المراثي

4 ـ الغزل والنسيب

5 ـ المديح والتوسل

6 - المنشات والمعالم القومية

7 - الشوق والحنين الى الوطن ومرابع الشباب

المكتبة الوطنية

فهرس القصائد حسب البحور

فهرس القصائد حسب القوافي

أ	
38	95

ب	
51	114
52	115
60	125
76	139
81	142
89	150
90	151
92	153
97	158
102	163
103	166
121	188
137	210

ت	
72	135
73	136
79	141
127	200

ج	
1	15
2	17
114	178
140	213

ح	
5	22
6	23
93	154
96	155
125	197
139	212

د	
7	26
8	28
9	30
11	38
13	43
19	55
23	63
24	64
49	111
53	116
54	117
55	118
74	138
88	149
129	203
138	211

ذ	
91	151

ر	
6	23
12	40
15	44
18	52
22	61
25	66
29	76
30	78
31	81
32	83
36	92
41	100
45	107
48	110
57	120
59	124
61	125
67	132
77	140
85	146
87	148
100	160
105	169
106	170
111	176
117	180
119	181
128	203
130	205
141	214
142	216

س	
16	46
80	142
84	145
101	160
104	167
118	181

ش	
4	19

ض	
120	185

غ	
75	138

ف	
14	44
27	70
35	89
46	108
86	147

ق	
47	109
62	126
110	175
131	206

المكتبة الوطنية

ك		ل		م		ن		هـ		ي	
133	208	42	103	17	50	10	33	20	58	3	18
		83	145	28	72	26	68	21	60	66	129
		94	154	39	97	33	85	95	155	98	158
		108	173	43	104	34	88	109	174	126	189
		124	195	44	105	37	93	116	179	135	209
		134	209	56	119	40	99	135	209		
		143	215	58	121	50	113				
				63	127	64	127				
				69	133	68	133				
				82	143	70	134				
				99	159	71	134				
				107	173	98	158				
				115	179	112	177				
						113	177				
						122	190				
						123	193				
						132	206				

مطبعة القومية للنشر

سحب من هذا الكتاب 3.000 نسخة في طبعته 1